بُسْتَانُ الْحُقُوقِ
فِي الْإِسْلَام

الجزء الأول

د. أمير محمد المدري

الطبعة الثانية

دار الكتب اليمنية

مكتبة خالد بن الوليد

بستان الحقوق في الإسلام

أمير بن محمد المدري

الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

مكتبة خالد بن الوليد
للطباعة والنشر والتوزيع
المركز الرئيسي صنعاء - شارع العدل
تلفاكس : (٢٢٤٦٩٤)
ت : (٢٢٧٨٥٥) ص . ب : (٢٣٧٠)
القرطاسية : (٢٧٠٩٦١)

دار الكتب اليمنية
للطباعة والنشر والتوزيع
صنعاء الدائري الغربي - جولة القادسية
تلفون: (٢١٥٢٤٣)
فاكس: (٢١٥٣٢٣)

فرع عدن كريتر - الميدان - تحت فندق العامر فرزة الشيخ عثمان ت :
(٠٢/٢٦٥٧٠٦)
مركز خالد بن الوليد - الدائرى الغربى-تقاطع شارع الرباط ت : (٢١٥٦٩٩)

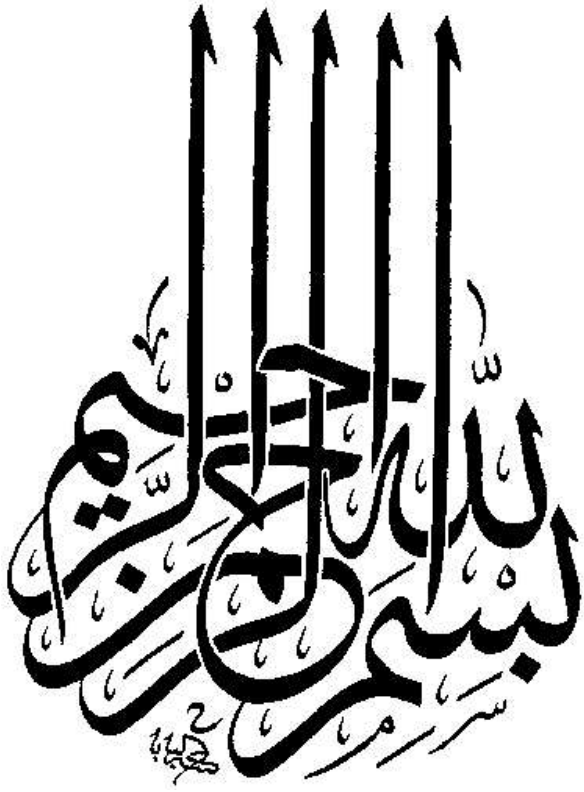
بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

المحتويات ٤
المقدمة ٧
تعريف الحقوق ١١
حق الله تعالى (١) ١٣
حق الله تعالى (٢) ٢٠
حق الله تعالى(٣) ٢٨
حق الله تعالى(٤) ٣٤
حقوق النبي المصطفى(١) ٤٤
حقوق النبي المصطفى(٢) ٥٦
حقوق النبي المصطفى (٣) ٦٦
حقوق زوجات النبي المصطفى ٧٤
حقوق الصحابة (١) ٨٣
حقوق الصحابة(٢) ٩٣
حقوق آل بيته-ﷺ- ١٠٣
حق الدين والدفاع عنه والدعوة إليه ١١٣
حقوق المسلم-رد السلام ١٢٥
حقوق المسلم-عيادة المريض ١٣٣
حقوق المسلم-النصيحة ١٤٤

حقوق الأخوة في الله ١٥٥
حقوق الأرحام ١٦٩
حقوق الوالدين ١٧٩
حقوق الأولاد(١) ١٨٩
حقوق الأولاد(٢) ١٩٨
حقوق الأولاد(٣) ٢٠٥
حقوق المسنين(١) ٢١٤
حقوق المسنين (٢) ٢٢٥
حقوق الأم (١) ٢٣٥
حقوق الأم (٢) ٢٤٣
ختاماً ٢٥٣

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أظهر لعباده من آياته دليلا، وهدى من شاء من خلقه فاتخذ ذلك عبرة وابتغى إلى نجاته سبيلا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المتفرد بالخلق والتدبير جُملةً وتفصيلا، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أبلغ الخلق بياناً وأصدقهم قيلا، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ وسلم تسليما.

وبعد:

يُعتبر موضوع الحقوق في الإسلام من أجلّ الموضوعات الفكرية التي تسهم في تحقيق العدل والحياة الفاضلة، ليس للعرب والمسلمين فحسب، بل لجميع بني الإنسان على هذا الكوكب. وقد أعلن الإسلام منذ نشأته مبادئه الأساسية في جميع الحقوق والواجبات الإنسانية، في مختلف الميادين الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، وقدّم الحلول الناجعة لمشكلات الحياة كلها. بل إن الإسلام سبق جميع الشرائع الوضعية في إعلان الحقوق والواجبات وتوطيدها.

ولقد أجمع العلماء قاطبةً على أن المقصد الكلي للشريعة الإسلامية هو تحقيق مصالح العباد في المعاش والمعاد، فما من حكم شرعه الله أمراً كان أو نهياً إلا وهو جالب لمصلحة، أو دارئ لمفسدة، أو جالب ودارئ في آن واحد. وهذه المصالح هي جماع حقوق الإنسان، التي تنحصر على اختلاف مسمياتها، وتنوع مقتضياتها في حفظ المصالح الخمس الكبرى، وهي حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، وحفظ ما يخدمها ويكملها من الحاجيات والتحسينيات، وهذه

الضروريات الخمس وما يخدمها ويكملها هي المصالح المقصودة للشارع من تشريع الأحكام، ولا يخرج عنها أي حكم من أحكام الشريعة الإسلامية أمراً كان أو نهياً. [حقوق الإنسان في الإسلام: عبد العزيز بن فوزان الفوزان]

إنّ غاية الإسلام الأساسية هي إقامة مجتمع سليم، مبني على أساس العدالة، ويتطلب هذا التوجه ـ بطبيعة الحال ـ الاهتمام برعاية الحقوق المتبادلة بين أفراد المجتمع. والملاحظ أن القرآن الكريم في تعبيره عن أداء حق الغير أو حق الجماعة، تارة يعبر عنه بطلب الإحسان، كما في قوله تعالى: ﴿ وأَحْسِن كَما أَحْسَنَ اللهُ إليكَ ﴾ [القصص ٢٨: ٧٧]، وتارة أُخرى يعبر عنه في صورة أمر آخر كقوله تعالى: ﴿ وَأَوفوا الكَيْلَ إذا كِلْتُمْ وزِنُوا بالقِسْطاسِ المُسْتَقِيم ذلكَ خيرٌ وَأحسَنُ تَأوِيلاً ﴾ [الإسراء ١٧: ٣٥]، وقد يعبر عن ذلك في صورة النهي كقوله تعالى: ﴿ وَلا تَأكُلُوا أَموَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بالباطِلِ وَتُدْلُوا بِها إلى الحُكَّامِ لتأكُلوا فَرِيقاً مِنْ أموالِ النَّاسِ بالإثم وأنتم تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة ٢: ١٨٨].

كلّ ذلك من أجل أن يسود العدل، وتُصان حقوق الآخرين من المصادرة. وبذلك نجد القرآن الكريم قد عُني بالجانب الاجتماعي من حياة الجماعة، عناية لا تقل عن عنايته بصلة الفرد بربّه، ولا يصور الفرد المسلم إنساناً منعزلاً في خلوة، أو راهباً في صومعة، بل يصوره دائماً في جماعة تترتب عليهم حقوق متبادلة.

ومن هنا فإن معرفة الإنسان ماله وما عليه من حقوق وواجبات لله تعالى ولعباده، والعمل بها من أهم المهمات وأوجب الواجبات.

هذا الكتاب:

الذي بين يديك أخي القارئ بإذن الله سيضع النقاط على الحروف فيما يخص معرفة الإنسان ماله وما عليه من حقوق وواجبات لله تعالى ولعباده.

هذا الكتاب:

تظهر أهميته في احتلال مسألة حقوق الإنسان ـ يوماً بعد آخر ـ أهميةً متزايدة في العالَم المعاصر. وقد ظهرت منظمات عالميّة أخذت على عاتقها الدفاع عن حقوق الإنسان وفق منظورها الخاص، ووفق أهداف ومصالح الجهات الممولة لها. وللأسف الشديد أنّ الكتب والإصدارات الإسلامية المؤلفة في هذا الحقل، من القلّة بحيث لا تتناسب مع تزايد الاهتمام العالمي بحقوق البشر. ومن هنا كان هذا الكتاب مساهمة متواضعة في هذا المجال.

هذا الكتاب:

مبدأه خُطب جمعة كنت ألقيتها في مسجد الإيمان، وأكرمني الله بجمعها في كتاب كي تعم فائدتها بإذن الله تعالى.

هذا الكتاب:

إلى أُناسٍ يحسبون أنّ لهم حقوقاً، وليست عليهم واجبات فهم يعيشون في قوقعة من أنانيتهم ومآربهم غير آبهين بالطرف الآخر وما ينبغي له وعليه.

هذا الكتاب:

بعد النجاح المبارك لكتاب بستان الخطيب فقد نفع الله به الفئام من الدعاة والخطباء وبلغ الآفاق بفضل الله تعالى وكرمه، فقد وجدت أن موضوع الحقوق قد يغفل عن طرحه للناس بعض الخطباء والوعاظ، ولذلك فقد يسّر الله بستاناً آخر أسميته «**بستان الحقوق في الإسلام**».

هذا الكتاب يحتوي على:

١- حق الله تعالى. (٣)

٢- حقوق النبي --ﷺ--. (٣)

٣- حقوق زوجاته --ﷺ--.

٤- حقوق آل بيته --ﷺ--.

٥- حقوق صحابته --ﷺ--. (٢)

٦- حقوق الأم.

٧- حقوق المسلم (٣)

٨- حقوق الأخوة.

٩- حقوق الوالدين

١٠- حقوق الأبناء ذكوراً وإناثاً. (٣)

١١- حقوق المسنين وكبار السن. (٢)

أسأل الله أن ينفع بها الإسلام والمسلمين وان يجعلها ذخراً لنا يوم نلقاه أنه ولي ذلك والقادر عليه. و على الله قصد السبيل، إنه نعم المستعان و الوكيل وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه الفقير إلى عفو ربه

أمير محمد المدري
اليمن ـ المهرة
Almadari_١@hotmail. com

تعريف الحقوق

تعريف الحقوق لغة:

قال الجوهري: «الحق: خلاف الباطل، والحق: واحد الحقوق، والحَقة أخص منه، يقال: هذه حقتي أي: حقي»[الصحاح (٤/١٤٦٠).].

وقال الفيروز آبادي: «الحق: من أسماء الله تعالى أو من صفاته، والقرآن، وضد الباطل، والأمر المقضي، والعدل، والإسلام، والمال، والملك، والموجود الثابت، والصدق، والموت، والحزم، وواحد الحقوق»[القاموس المحيط (٣/٢٢١).]

وقال المناوي: «الحق لغة: الثابت الذي لا يسوغ إنكاره»[التوقيف على مهمات التعاريف (ص ٢٨٧).]

تعريف الحقوق اصطلاحاً:

الحقوق لها معنيان أساسيان:

١- فهي أولاً تكون بمعنى: مجموعة القواعد والنصوص التشريعية التي تنظم على سبيل الإلزام علائق الناس من حيث الأشخاص والأموال.

فهي بهذا المفهوم قريبة من مفهوم خطاب الشارع المرادف لمعنى (الحكم) في اصطلاح علماء الأصول، أو لمعنى (القانون) في اصطلاح علماء القانون.

وهذا المعنى هو المراد عندما نقول مثلاً: الحقوق المدنية، أو القانون المدني.

٢- وهي ثانياً تكون جمع حق بمعنى السلطة والمكانة المشروعة، أو بمعنى المطلب الذي يجب لأحد على غيره.

وهذا هو المراد في مثل قولنا: إن للمغصوب منه حق استرداد عين ماله لو قائماً، وأخذ قيمته أو مثله لو هالكاً، وإن للمشتري حق الرد بالعيب، وإن التصرف على الصغير هو حق لوليه أو وصيه ونحو ذلك.

ويمكن تعريف الحق بمعناه العام بأن يقال: الحق هو اختصاص يقرر به الشرع سلطة أو تكليفاً. [المدخل الفقهي العام (٣/٩-١٠) لمصطفى الزرقاء.]

حق الله تعالى (١)

الحمد لله الذي خشعت له القلوب وخضعت، ودانت له النفوس ورقّت، وعنت له الوجوه وذلّت، أحمده سبحانه حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليما كثيرا.

وبعد. .

نعيش وإياكم مع سلسلة الحقوق في الإسلام، سلسلةٌ منهجية إيمانية مباركة، سلسلة تضيء الطريق للمسلم ليعرف ما له وما عليه، سلسلة تضع النقاط على الحروف وتبني مجتمعاً مسلما متحاباً، كل فرد فيه يعي واجباته نحو ربه ونبيه ودينه وأهله وجيرانه ومجتمعه. واليوم نعيش وإياكم مع أهم حق، وأسمى حق، وأعظم حق إنه حق الله تعالى.

فتعالوا بنا أيها الأحبة الكرام لنتعرف على حق الله جل وعلا.

ولكن أيها الأحبة الكرام قبل أن نعيش مع حق الله سبحانه وتعالى لا بد أن نعرف الله جل جلاله وتقدست أسماءه.

فإذا عرفنا الله أدّينا حقوقه، إذا عرفنا الله عبدناه حق العبادة وشكرناه حق شكره وقدرناه حق قدره.

إن في الدنيا جنة من لم يدخلها ولم يذقها لم يذق جنة الآخرة إنها معرفة الله.

من هو الله؟

إنه الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. خلق فسوى، وقدّر فهدى، وأخرج المرعى فجعله غُثاءً أحوى، السماء

بناها، والجبال أرساها، والأرض دحاها، أخرج منها ماءها ومرعاها، يبسط الرزق ويغدق العطاء ويُرسل النعم.

إنه الله رب السماوات والأرض، ورب العرش العظيم، فالق الحب والنوى، مُنزل التوراة والإنجيل والفرقان، هو الأول فليس قبله شيء، وهو الآخر فليس بعده شيء، وهو الظاهر فليس فوقه شيء، وهو الباطن فليس دونه شيء، يُنفّس الكرب، ويفرِّج الهم، ويُذهب الغم، ويقضي الدين ويُغني من الفقر.

إنه الله حبيب الطائعين، وملاذ الهاربين، وملجأ الملتجئين، وأمان الخائفين، يُحب التوابين ويُحب المتطهرين.

إنه الله الذي: - ﴿ - لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ - ﴾ - [القصص: ٧٠].

مع الله الذي له: - ﴿ - الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ - ﴾ - [الجاثية: ٣٦-٣٧].

إنه الله الذي: - ﴿ - خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ - ﴾ - [لقمان: ١٠].

إنه الله الذي: - ﴿ - يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ - ﴾ - [الرعد: ٨].

إنه الله الذي: - ﴿ - لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ - ﴾ - [الحشر ٢٢].

إنه الله الذي: - ﴿ - جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ - ﴾ - [يونس: ٥].

الحديث عن الله وعن معرفة الله.

حديث من الضعفاء عن ربهم القوي.

حديث من الفقراء عن ربهم الغني.

حديث عن الأذلاء عن ربهم العزيز.

إنه الله: إنه الملاذ في الشدة، والأنيس في الوحشة، والنصير في القلة، يتجه إليه المريض الذي استعصى مرضه على الأطباء، ويدعوه آملاً في الشفاء ويتجه إليه المكروب يسأله الصبر والرضا، والخَلَف من كل فائت، والعوض من كل مفقود. - ﴿ - الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ - ﴾ - [البقرة: ١٥٦] ويتجه إليه المظلوم آملاً يوماً قريباً ينتصر فيه على ظالمه فليس بين دعوة المظلوم وبين الله حجاب قائلاً: - ﴿ - إِنِّي مَغْلُوبٌ فانتَصِرْ - ﴾ - [القمر: ١٠].

ويتجه إليه المحروم من الأولاد سائلاً أن يرزقه ذريةً طيبة: - ﴿ - رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً - ﴾ -.

إنه الله:

إليه وإلاّ لا تُشدّ الركائب ... ومنه وإلاّ فالمؤمل خائب

وفيه وإلاّ فالغرام مضيّعٌ ... وعنه وإلاّ فالمحدث كاذب

من علَّق نفسه بمعروف غير معروف الله فرجاؤه خائب، ومن حدّث نفسه بكفاية غير كفاية الله فحديثه كاذب، لا يغيب عن علمه غائب، ولا يعزب عن

نظره عازب - ﴿ - وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ - ﴾ - [يونس: ٦١].

إنه الله جل جلاله: - ﴿ - كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ - ﴾ - [الرحمن: ٢٩].

سبحانه يغفر ذنباً، ويفرّج كرباً، يرفع قوماً، ويضع آخرين، يحيي ميتاً ويميت حياً، ويجيب داعياً، ويشفي سقيماً.

يُعز من يشاء، ويُذل من يشاء، يجبر كسيراً، ويُغني فقيراً، ويُعلم جاهلاً، ويهدي ضالاً، ويرشد حيراناً ويغيث لهفاناً، ويفك عانياً، يُشبع جائعاً، ويكسو عارياً، ويشفي مريضاً، ويُعافي مبتلىً، يقبل تائباً، ويجزي محسناً، وينصر مظلوماً، ويقصم جباراً، ويقيل عثرةً، ويستر عورةً، ويؤمن روعةً.

إنه الله: لو أن أشجار الأرض كلها من حين وجدت إلى أن تنقضي الدنيا أقلام والبحر وراءه سبعة أبحر تمده من بعده مداد فكتب بتلك الأقلام، وذلك المداد لفنيت الأقلام ونفد المداد ولم تنفد كلمات الخالق تبارك وتعالى الدالة على جلال الله وعظمة الله وكمال الله وكرم الله وجود الله: - ﴿ - وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ - ﴾ - [لقمان: ٢٦-٢٧].

إنه الله: التواب الرحيم، ذو الفضل العظيم، الواسع العليم، العزيز الحكيم، ابتلى إبراهيم بكلمات، وسمع نداء يونس في الظلمات، واستجاب لزكريا فوهبه على الكبر يحي هادياً مهديا، وحناناً من لدنه وكان تقياً، أزال الكَرب عن أيوب وألان الحديد لداود، وسخر الريح لسليمان، وفلق البحر لموسى، ورُفع إليه عيسى وشق القمر لمحمد -ﷺ-، ونجَّا هوداً وأهلك قومه، ونجَّا صالحاً من الظالمين، فأصبح قومه في دارهم جاثمين، وجعل النار برداً وسلاماً على

إبراهيم، وفدى إسماعيل بذبحٍ عظيم، وجعل عيسى وأمه آيةً للعالمين، ونجَّا لوطاً وأرسل على قومه حجارةً من سجيلٍ منضود، ونجَّا شعيباً برحمته، وأهلك أهل مدين بعدله، قال جل شأنه: - ﴿ - أَلاَ بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ - ﴾ - [هود: ٩٥].

إنه الله جل جلاله: الذي أغرق فرعون وقومه، ونجّاه ببدنه ليكون لمن خلفه آية، وخسف بقارون وبداره الأرض: - ﴿ - وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ - ﴾ - [القصص: ٨٢]، ونجّا يوسف من غياهب الجب، وجعله على خزائن الأرض.

إنه الله: الذي أضحك وأبكى، وأمات و أحيا، وأسعد وأشقى، وأوجد وأبلى، ورفع وخفض، وأعز وأذل، وأعطى ومنع، ورفع ووضع.

إنه الله: هدى نوحاً وأضل ابنه، واختار إبراهيم وأبعد أباه، وأنقذ لوطاً وأهلك امرأته ولعن فرعون وهدى زوجته، واصطفى محمد -ﷺ- ومقت عمه، فسبحانه عدد خلقه، وسبحانه رضا نفسه، وسبحانه زنة عرشه، وسبحانه مداد كلماته.

إنه الله: الذي أرغم أنوف الطغاة، وخفض رؤوس الظلمة، ومزَّق شمل الجبابرة ودمّر سد مأرب بفأرة، وأهلك النمرود ببعوضة، وهزم أبرهة بطير أبابيل، عذَّب امرأة في هِرَّة حبستها لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض، وغفر لامرأة بغيّ لأنها سقت كلباً كاد يموت من العطش.

إنه الله. . الذي من تقرّب إليه شبراً تقرّب إليه ذراعاً، ومن تقرّب إليه ذراعاً تقرّب إليه باعاً، ومن أتاه يمشي أتاه هرولة، فالباب مفتوح ولكن من

يلج؟ والمجال مفسوح ولكن من يُقبل؟ والحبل ممدود ولكن من يتشبث به؟ والخير مبذول ولكن من يتعرض له؟ فأين الباحثون عن الأرباح؟ وأين خُطّاب الملاح؟ أين عشّاق العرائس؟ وطلاّب النفائس؟ !

إنه الله: من أقبل إليه، تلقاه من بعيد، ومن أعرض عنه، ناداه من قريب، ومن ترك من أجله أعطاه فوق المزيد، ومن أراد رضاه، أراد ما يريد، ومن تصرف بحوله وقوته، ألان له الحديد، أهل ذكره هم أهل مجالسته، وأهل شكره هم أهل زيادته، وأهل طاعته هم أهل كرامته، وأهل معصيته لا يقنطهم من رحمته إن تابوا إليه فهو حبيبهم، وإن لم يتوبوا فهو رحيم بهم، يبتليهم بالمصائب ليطهرهم من المعايب، الحسنة عنده بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، والسيئة عنده بواحدة، فإن ندم عليها واستغفر غفرها له، يشكر اليسير من العمل، ويغفر الكثير من الزلل.

إنه الله: سبحانه من خالق عظيم، جوادٌ كريم، الكرم صفة من صفاته، والجود من أعظم سماته، والعطاء من أجلّ هباته، فمن أعظم منه جوداً؟ الخلائق له عاصون وهو لهم مراقب، يكلؤهم في مضاجعهم كأنهم لم يعصوه، ويتولى حفظهم كأنهم لم يذنبوا، يجود بالفضل على العاصي، ويتفضل على المسيء، من ذا الذي دعاه فلم يستجب له؟ أم من ذا الذي سأله فلم يعطه؟ أم من ذا الذي أناخ ببابه فنحّاه؟ فهو ذو الفضل ومنه الفضل، وهو الجواد ومنه الجود، وهو الكريم سبحانه ومنه الكرم.

فليته تحلو والحياة مريرةٌ ... وليته يرضى والأنام غضاب

وليت الذي بيننا وبينه عامرٌ ... وبيننا وبين العالمين خراب

إذا صح منه الود فالكل هيّن ... فكل الذي فوق التراب تراب

مَن استيقَن قلبه هذه المعاني لا يرهَب غيرَ الله، ولا يخاف سِواه، ولا يرجو غيرَه، ولا يتحاكم إلاّ له، ولا يذلّ إلا لعظمتِه، ولا يحبّ غيرَه.

أمّا الذين يهجرون القرآنَ، ويرتكبون المحرمّات، ويفرّطون في الطاعات والصلوات، أمّا الذين يتحاكمون إلى شرع غيرِ الله، ما قدروا الله حق قدره.

أمّا الذين يسخرون من الدّين، ويحاربون أولياء الله، ويستهزئون بسنّة سيّد البشر، ما قدروا الله حقَّ قدره. أسأل الله أن يوفقنا لطاعته، وأن يجنبنا معصيته، ، إنه خير مسؤول، وصلى الله وسلم على الرسول وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله الذي وفّق عباده المؤمنين للطاعات، ويسر لهم الخيرات والحسنات، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله خير من صام وقام، وشرع الشرائع وبيّن الأحكام، اللهم صلّ وسلم وبارك على إمام المتقين وسيد الخلق أجمعين وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

لا زال الحديث معكم عن حق الله تعالى، عن عظمة الله وجلال الله وكمال الله.

ما أحلى المجالس وما أطيب الأماكن إذا عُطّرت بذكر الله الواحد الأحد.

عظمة الله

سبحانه جل وعلا من أتته السماء والأرض طائعة، سبحان من أحاط علمه بالكائنات، واطّلع على النيات، عالمٌ بنهايات الأمور، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، علم ما في الضمير، ولا يغيب عنه الفتيل والقطمير، - ﴿ - لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ - ﴾ - [الشورى: ١١]. يُبدئ ويعيد، وينشئ ويبيد، وهو فعّالٌ لما يريد، سبحانه علم ما كان قبل خلق المكان. علم ما كان وما سيكون لو كان كيف يكون.

شكت خولة بنت ثعلبة للرسول أمرها، وأخبرته سرّها، وعائشة في طرف البيت لم تسمع همسًا، ولم تعلم حِسًا، لكن الله سمعها من فوق سبع

سماوات فأنزل الله قوله: - ﴿ - قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ - ﴾ - [المجادلة: ١].

فسبحان من وسِع سمعه السماوات والأرض.

روى البيهقي بسندٍ حسن عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: «ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام، وما بين كل سماء مسيرة خمسمائة عام، وغِلَظُ كل سماء مسيرة خمسمائة عام، وما بين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وما بين الكرسي والماء خمسمائة عام، والكرسي فوق الماء، والله سبحانه فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم». مستوٍ على عرشه، ويسمع ويرى كلّ شيء في ملكوته، ولا يخفى عليه شيء من أحوال خلقه، ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[الأنعام: ١٠٣].

روى الإمام أحمد في مسنده عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: « إن رجلاً عبد الله جل وعلا في جزيرة من البحر خمسمائة سنة، أخرج الله جل وعلا له من البحر عيناً عذبة يشرب منها، وأنبت له شجرة رمان، وكل يوم تخرج له حبة فيأكلها، وسأل ربه أن يقبضه ساجداً، فاستجاب الله له فقبض وهو ساجد، -اللهم إنا نسألك الميتة الحسنة يارب العالمين - فإذا كان يوم القيامة أُحضر بين يدي الله جل وعلا، فيقول الله جل وعلا لملائكته: ﴿ادخلوا عبدي الجنة برحمتي﴾.

فيقول العبد: يا رب! بل بعملي.

فيقول الله جل وعلا: حاسبوه، فيحاسب، فيوجد أن عبادة خمسمائة سنة طاشت بها نعمة البصر -أو قال: نعمة السمع-، ثم بعد ذلك يقول الله جل وعلا له: من الذي خلقك ولم تك شيئاً؟ قال أنت يارب.

من الذي قواك على العبادة؟ قال أنت يارب من الذي جعل في قلبك حب الإيمان وكراهية الكفر؟ من الذي جعل لك السمع والبصر والفؤاد واليدين والرجلين؟ من الذي استخرج لك من البحر المالح عيناً عذبة؟ من الذي استخرج لك من شجرة الرمان كل يوم حبة وهي لا تخرج في السنة إلا مرة؟ قال أنت يارب، ثم يقول جل وعلا بعد ذلك: اذهبوا به إلى النار، -رحماك يارب عفوك يارب هذا من عبدك خمسمائة كيف حالنا ونحن المخطئين ونحن المقصرين -فإذا ذُهب به إلى النار.

يصيح: يا رب! أدخلني الجنة برحمتك فيدخله الله الجنة برحمته ثم قال الرسول -ﷺ-: «لن يدخل أحد الجنة إلا برحمة الله».

وفي الصحيح أنه -ﷺ- قال: « لن يدخل أحدكم الجنة عمله قالوا: ولا أنت -يا رسول الله-؟ ! قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته».

إنّ امتلاءَ القلب بعظمة الله يولّد ثقةً مطلقة بالله، ويجعل المسلمَ هاديَ البالِ ساكنَ النفس مهما ادلهمّت الخطوب. إنّ استشعارَ عظمة الله تملأ القلب رضًا وصبرًا جميلاً، فلا يحزنُنا تقلُّب الذين كفروا وظلموا في البلاد، فإنهم مهما علوا وتجبّروا لن يصِلوا إلى مطامعهم، ولن يحقّقوا أهدافهم الدّنيئة، فالله هو القويّ الذي لا يُغلب.

أيها الأخ الحبيب

إن نظرة هادئة مدقّقة في السماء في ليلة صافية تملأ القلب رهبة وخشوعاً لذي العظمة والجلال والكمال، كتاب مفتوح جميل، جمال متجدد، جمال متعدد باختلاف الشروق والغروب، باختلاف الليل والنهار، بصفاء السماء تارة، وبضبابها وسحابها تارة أخرى.

ثم انظر معي إلى هذه النجمة التي انفردت وحدها في أفق السماء وكأنها عين طفلة جميلة تلمع بالمحبة والمودة والصفاء.

ثم أنظر في الأفق الآخر إلى هاتين النجمتين الوحيدتين المنفردتين وكأن كل واحدة منهما تناجي الأخرى.

ثم أنظر إلى هذه المجموعة المترابطة المتشابكة من النجوم وكأنها تشابكت وتراصت في عرسٍ بهيج سعيد، وهذا القمر المنير وهذا الليل السادل وهذا الفلك الدوار، وهذا الصبح الباهر وضوء الشمس المشرقة، كل هذا من صنع من؟ كل هذا من خلق من؟

الشمس والبدر من آثار قدرته ... والبر والبحر فيض من عطاياه
الطير سبحه والوحش مجده ... والموج كبره والحوت ناجاه
والنمل تحت الصخور الصم قدّسه ... والنحل يهتف حمدا في خلاياه
والناس يعصونه جهراً فيسترهم ... والعبد ينسى وربي ليس ينساه

أخي الحبيب عبد الله: انظر من جديد، وتفكر من جديد، ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاء بَنَاهَا *رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا* وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ [النازعات:٢٧-٢٩]. ﴿وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[الذاريات:٤٧]. ثم يقول ربنا جل وعلا وهو يخاطب العقول لكي تتفكر، ويلفت الأنظار لتتدبر، لتتعرف على الخالق العظيم سبحانه، فيقول: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ* وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾[الواقعة:٧٥-٧٦].

و يقول سبحانه: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ * وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى

عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ* لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس:٣٧-٤٠].

يقول علماء الفلك: لو أن الشمس تركت مدارها وارتفعت قليلا لتجمّد كل من على ظهر الأرض، ولو أن الشمس تركت مدارها ونزلت قليلاً لاحترق كل حي على ظهرها، كل هذا من صنع من؟ كل هذا من خلق من؟ أإله مع الله؟ ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

والشمس والقمر، كلنا رأى الشمس، وكلنا رأى القمر، لكنني أخاطبك من اليوم أخي الحبيب. . . أن تعاود من جديد النظر إلى الشمس والنظر إلى القمر لتوحد خالق الشمس والقمر: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ* فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[الأنعام:٧٥-٧٩].

انظر لتلك الشمس ... التي جذوتها مستعرة
فيها ضياء وبها ... حرارة منتشرة
وقُل من ذا الذي ... يخرج منها الشره
ذاك هو الله ... الذي أنعمه منهمرة
ذو حكمةٍ بالغة ... وقدرة مقتدرة

قال ربنا جل وعلا: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللهِّ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾[النمل:٨٨] .

الجبال تسير؟ نعم. . . والأرض تجرى؟ نعم. . . ولكنها ذلول مذللة، بل ستعجب إذا علمت أن العلم الحديث قد أثبت أن الأرض تدور حول نفسها بسرعة مذهلة قدرها العلماء بسرعة ألف ميل في الساعة الواحدة، الأرض ذلول تجرى وتدور دورة كاملة حول نفسها بسرعة تقدر بألف ميل في الساعة الواحدة، وتدور الأرض دورة ثانية تدور حول الشمس بسرعة قدّرها العلماء بسرعة تزيد (٦٥٠٠٠) ألف ميل في الساعة الواحدة. وتدور الأرض مرة ثالثة مع الشمس مع المجموعة الشمسية بسرعة قدرها العلماء بـ (٢٠٠٠٠)ألف ميل في الساعة الواحدة صنع من؟ خلق من؟ أإلهٌ مع الله؟

أمرٌ عجيب بل وأثبت العلم الحديث أن دورة الأرض حول نفسها هي التي نشأ عنها الليل والنهار، لو لم تدر الأرض حول نفسها لما رأينا ليلاً ولا نهار، لرأينا ليلا سرمدا أو نهارا سرمدا، ثم تدور الأرض حول الشمس وهذه الدورة نشأ عنها الفصول الأربعة الصيف والشتاء والربيع والخريف.

خلق الله لنا الأرض مذللة، ثم شق الله فيها الأنهار والبحار وزينها بالأشجار وأودعها الكنوز والخيرات قال سبحانه: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ* وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ* وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللهِّ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[إبراهيم:٣٢-٣٤].

وقال جل شأنه: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾[يس:٣٣-٣٥].

سبحانه من خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون آيات.

أنظر لتلك الشجرة ذات الغصون النضرة
كيف نمت من حبه وكيف صارت شجره
ابحث وقُل من ذا الذي يخرج منها الثمرة
ذاك هو الله الذي أنعمة منهمرة
ذو حكمةٌ بالغة وقدرة مقتدرة
سل الواحة الخضراء والماء جاريا
وهذى الصحارى والجبال الرواسيا
سل الروض مزدانا والزهر والندى
سل الليل والإصباح والطير شاديا
وسل هذه الأنسام والأرض والسما
وسل كل شيء تسمع التوحيد لله ساريا
ولو جن هذا الليل وامتد سرمدا فمن غير ربى يرجع الصبح ثانياً

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاء مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ * أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ

حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ * أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللهِ تَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[النمل:٦٠-٦٤]

البعرة تدل على البعير، وأثر السير يدل على المسير، سماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، أفلا يدل ذلك على اللطيف الخبير، وأمسك الإمام أحمد بالبيضة يوماً، بيضة من دجاجة فقال: هذا حصنٌ حصين أملس ليس له باب وليس له منفذ، ظاهرة كالفضة البيضاء وباطنه كالذهب الإبريز، وبينما هو كذلك إذا تصدع جداره وخرج منه حيوان جميل سميع بصير ذو صوتٍ حسن وشكلٍ مليح أإله مع الله؟

أسأل الله بمنه وكرمه أن يقوي إيماننا وأن يرفع درجاتنا إنه ولي ذلك والقادر عليه. وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

حق الله تعالى (٣)

الحمد لله المُنعم على عباده بعظيم آلائه، أحمده سبحانه على تعاقُبِ نعمائه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبد الله ورسوله أفضل رسله وخاتم أنبيائه، اللهم صلِّ وسلّم عليه وعلى آله وصحبه.

لا زلنا مع حق الله وجلال الله وعظمة الله.

أيها الأحباب: حق الله واضح وجلي في حديث معاذ بن جبل - رضي الله عنه - الذي رواه البخاري حين سأله النبي -ﷺ-: «**أتدري يا معاذ ما هو حق الله على عباده؟ قال معاذ قلت: - الله ورسوله أعلم. فقال حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، أتدري يا معاذ ماحق العباد على الله إذا فعلوا ذلك قال: - قلت الله ورسوله أعلم. قال: - ألا يعذبهم**».

نعم حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً.

العبادة

إنها العبادة فما هي العبادة؟ العبادة أصل معناها في اللغة: الذل، يقال: طريق معبد أي: طريق مذلل قد وطأته الأقدام، فأصل العبادة الذل والانكسار والخضوع لله علام الغيوب. ، فالعبادة لله هي كمال الذل مع كمال الحب لله جل وعلا.

وقد عرّف العبادة شيخ الإسلام ابن تيمية طيب الله ثراه فقال: «**العبادة هي اسمٌ جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة**»،

فالصلاة والصيام والزكاة والحج وبر الوالدين عبادة، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والإحسان إلى الجيران، والإحسان إلى اليتيم، والإحسان إلى الأرملة والمسكين، كل ذلك من العبادة، وحب الله ورسوله، وحب المؤمنين عبادة والحب في الله، والتوكل على الله والاستعانة والرجاء والتفويض والإنابة والخشية والمحبة والخوف، كل ذلك من العبادة.

إذاً فالعبادة تشمل الحياة بأسرها، فحياة المؤمن كلها عبادة إن صحت النية، وكان العمل موافقاً لهدى سيد البرية.

اسمع ماذا قال عليه الصلاة والسلام قال: « إن بكل تسبيحةٍ صدقة، وكل تحميدةٍ صدقة، وكل تكبيرةٍ صدقة، وكل تهليلةٍ صدقة، وأمرٍ بمعروف صدقة، ونهيٍ عن منكر صدقة – اسمع – وفى بضع أحكم صدقة – أي في جماع الرجل زوجته – وفى بضع أحكم صدقة» قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته فيكون له فيها أجر؟ ! فقال: « أرأيتم لو وضعها في الحرام أكان عليه وزر" قالوا: نعم قال: " ولو وضعها في الحلال فله بها أجر».

فحياة المؤمن حتى لقاؤه مع امرأته عبادة إن صحت النية وكان العمل موافقاً لهدى سيد البشرية.

مصداقاً لقوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

صور عبادة غير الله

حق الله أن نعبده فلا نشرك به شيئاً فهل هناك من المسلمون من يعبد غير الله؟ نعم، واليكم صور ذلك.

أولاً: من الناس من صرف العبادة لغير الله بتحكيم البشر ـ وتحكيم الأهواء والنزوات والشهوات والرغبات، تقول لأحدهم قال الله قال رسوله ويقول لك قال فلان وقال علاّن والله جل وعلا يقول: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [٥٠المائدة: ٥٠]. ويقول سبحانه وتعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠].

فمن الناس من انقاد بشرع مهازيل البشر ولم يذعن ولم يذل ولم يخضع لشرع خالق البشر ـ جل وعلا، وظن هؤلاء المساكين أنهم يوم أن نحّوا شريعة رب العالمين وشريعة سيد المرسلين وحكّموا شريعة مهازيل الخلق، وظنوا أنهم قد ركبوا قوارب النجاة، وسط هذه الرياح الهوجاء والأمواج المتلاطمة فغرقوا وأغرقوا وهلكوا وأهلكوا.

ثانياً: ومن الناس وهذا هو الصنف الثاني من صرف العبادة لغير الله في كثير من صورها، فذبح لغير الله ونذر لغير الله، وحلف بغير الله واستعان بغير الله، واستغاث بغير الله ولجأ إلى غير الله، وفوض الأمور إلى غير الله، يُنادون الأموات يا ولياه، يا علياه يا حسيناه وغيرها من الألفاظ والله يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٤] هناك الملايين ممن ينتسبون الآن إلى الأمة ممن يذهبون إلى الأضرحة والقبور، فإنهم يرددون قولتهم الخبيثة: إذا تعسرت الأمور، فعليكم بأصحاب القبور. تعالى من بيده البعث والنشور، وهو الذي يقول: ﴿أَمَّن يُجِيبُ

﴿الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

هناك من يقول إن زيارة إلى قبر الحسين - رضي الله عنه - تُعادل ثمانين حجة إلى بيت الله الحرام تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

هل يجيب المضطر إذا دعاه نبي أو ولي؟ لا والله، لا يجيب المضطر إذا دعاه إلا الرب العلي الذي لا يغفل ولا ينام، وهو الحي الذي لا يموت.

فأيها المسلم لا تسأل نبياً ولا تسأل ولياً وسل الحي الذي لا يموت فهو بيده الأمر كله صاحب الضر والنفع ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام:١٧].

ثالثاً: ومن الناس- وهذا صنفٌ ثالث- عبد الله جل وعلا وحده لا شريك له ولكنه عبد الله بغير هدى المصطفى رسول الله، عبد الله بالبدع، عبد الله بالضلالات، عبد الله بالعادات التي توارثها الأجيال عن الآباء والأجداد، وهذه العبادة أيضاً مردودة على رأس صاحبها، ولو ابتغى صاحبها وجه الله جل وعلا، لأنه لابد أن تكون العبادة خالصة لله، وأن تكون العبادة موافقة لسنة الحبيب رسول الله ، قال جل في علاه، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف: ١١٠].

الله جل وعلا؛ لا يقبل العبادة إلا إذا كانت خالصة له على هدى حبيبه المصطفى.

رابعاً: ومن الناس- وهذا هو الصنف الرابع- من فهم العبادة فهماً مبتورا ناقصا جزئياً، فالعبادة عنده لا تتجاوز ولا تتعدى الشعائر كالصلاة والصيام

والزكاة والحج، فهو يصلى في المسجد، ويحج بيت الله الحرام، ويؤدى الزكاة، ويصوم رمضان لكن إن تجاوز هذا المسلم المسجد ترى شخصية أخرى، وترى إنساناً آخر غش في المعاملات، ظُلم للجيران، ظُلمٌ للزوجة، سبٌّ ولعن وغيبة ونميمة، دعاء للظالم بطول العمر.

هناك من يبكي في صلاة القيام وقد أبكى والديه قبل الصلاة من العقوق أو ظلم زوجته قبل الصلاة.

الإسلام دين شعائر صلاة وصيام وزكاة وحج وغيرها وهذه الشعائر لا تقبل إلا بتحقق المشاعر والأخلاق والقيم والصدق والأمانة والوفاء وحب أهل الإيمان؛ فها هو رسول الله -ﷺ- يُصرح تصريحاً خطيراً حين سُئل عن امرأةٍ تصوم النهار وتقوم الليل - شعائرها مائة في المائة لكن ليس عندها مشاعر ولا أخلاق تؤذي جيرانها بلسانها فقال: هي في النار.

اللهم حسّن أخلاقنا وكمّل إيماننا يارب العالمين.

العبادة هي الأصل الأول الذي من أجله خلق الله الحياة، بل هي الأصل الذي من أجله خلق الله السماوات والأرض والجنة والنار، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ* مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ* إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦، ٥٨].

قال احد المفسرين: ليعرفون وآخر قال: ليوحدون.

ومن أجل العبادة أنزل الله الكتب وأرسل جميع الأنبياء والرسل، تدبر معي قول الله سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[الأنبياء: ٧]

ومن الناس من عبَد القمر والنجوم والكواكب، كقوم خليل الله إبراهيم، ومن الناس من عبد الجن، ومن الناس من عبد الملائكة، ومن الناس من عبد الحجارة والتماثيل والأصنام.

ويقول أبو رجاء العطاردى كما في الحلية لأبى نعيم بسند صحيح قال: كنا نعبد الحجر في الجاهلية من دون الله فإذا مررنا على حجر هو أحسن من الأول، ألقينا الأول وعبدنا الثاني من دون الله، فإذا لم نجد حجراً، جمعنا كومة من تراب، ثم أتينا بالغنم فحلبنا اللبن عليها وطفنا بها نعبدها من دون الله جل وعلا.

أنظروا إلى العقول عبدت الأصنام، عبدت التراب من دون الله جل وعلا، ومن الناس من عبَد الناس، عبَد البشر، فلقد عبد اليهود عُزيراً، ولقد عبَد النصارى عيسى ابن مريم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، والآن تُعبد الطواغيت في الأرض في كل مكان، إلا من رحم ربك جل وعلا، وهناك من يعبد الأفكار من دون العزيز الغفار.

يقول قائل:

آمنت بالبعث رباً لا شريك له وبالعروبة ديناً ما له ثاني

وقال آخر:

هبوني ديناً يجعل العرب أمة وسيروا بجثماني على دين بُرهم
سلام على كفر يوحد بيننا وأهلا وسهلا بعده بجهنم

كبرت كلمةٌ تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا. أسأل الله أن يوفقنا لطاعته، وأن يجنبنا معصيته، ، إنه خير مسؤول، وصلى الله وسلم على الرسول وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

هذا هو اللقاء الرابع مع حق الله جل جلاله، وحق الله تعالى أن نعبده ولا نشرك به شيئاً.

وهل هناك من عبد غير الله في هذه الأرض نعم هناك من عبَد الشمس من دون الله وما هدهد سليمان عنكم ببعيد يوم قال كما قال تعالى: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾[النمل:٢٤].

ومن الناس من عبد القمر والنجوم والكواكب، كقوم خليل الله إبراهيم، ومن الناس من عبد الجن، ومن الناس من عبد الملائكة، ومن الناس من عبد الحجارة والتماثيل والأصنام.

واليوم في عصر الذرة في عصر الحضارة في عصر العلم، تُعبد البقرة من دون الله، فإن في الهند اليوم حتى هذه اللحظة التي أكتب فيها وأتكلم فيها ما يقرب من نصف مليون بقرة تُعبد من دون الله جل وعلا. يقول زعيم الهند الكبير غاندي الذي يكرم على أعلى مستوى يقول: إنه سيظل على عبادة البقر أمام العام أجمع ثم قال: أن أمه البقرة أحب إليه من أمه التي ولدته، لأن أمه البقرة لا تطالبه بحقوقها مثل أمه التي ولدته فإنها تطالبه في الرعاية.

الحمد لله الذي هدانا للإسلام وعلّمنا الحكمة والقران، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

إن خطر الشرك عظيم، فإن الله سبحانه وتعالى يغفر أي ذنب إلا الشرك قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً ﴾[النساء: ٤٨]

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[الزمر:٦٥].

وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - لما نزل قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[الأنعام:٨٢]. فشقّ ذلك على أصحاب النبي -ﷺ-: وقالوا: يا رسول الله أينا لم يظلم نفسه؟ فقال المصطفى -ﷺ-: « **ليس هذا الذي تذهبون إليه، ألم** تقرأوا قول العبد الصالح: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان:١٣]. فخطر الشرك عظيم.

والله لو تخلّى الخلق جميعاً على ظهر الأرض عن عبادته واستكبروا عن عبادته سبحانه وتعالى، فإن الله غنى عن الخلق لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية بل إن الكون كله يعبده ويوحده، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهَّ وَاللَّهُّ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ* إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِّ بِعَزِيزٍ﴾ [١٥، ١٧]: فاطر].

الكون كله يعبد الله ويوحده ويسبحه بتسبيح يجهله الخلق، فوالله لو كشف الله تسبيح الكون لنا لطاشت عقولنا، ماذا لو سمعت الجدار الذي تجلس إليه يسبح والنملة تسبح ولو سمعت الهدهد يسبح والدواب والهوام والحشرات

والأشجار والأنهار والبحار. لذا تدبر قول الله جل وعلا: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [٤٤: الإسراء]. لماذا قال: إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا؟ ولم يقل: إنه كان عزيزاً حكيماً.

إنه كان حليماً بكم إذ لم يكشف لكم تسبيح الكون من حولكم، غفورا لكم على غفلتكم وعنادكم معه جل وعلا ، وتدبر معي قول الله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَّ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللهَّ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللهَّ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ*﴾ [١٨: الحج].

أيها الإنسان المغرور، أيها الإنسان الجحود.

أنظر إلى الكون كله لتتعرف على عظمة الله لتعبده، انظر إلى الكون كله لتتعرف على الله لتحبه، فمن عرف الله وأحبه وعلى قدر الحب تكون العبادة ويكون العمل.

عبد الله: انظر من الكون كله من عرشه إلى فرشه، ومن سمائه إلى أرضه، أنظر إلى السماء وارتفاعها، وإلى الأرض وأتساعها، وإلى الجبال وأثقالها، وإلى الأفلاك ودورانها، وإلى البحار وأمواجها وإلى كل ما هو متحرك، وإلى كل ما هو ساكن، والله إن الكل يقر بتوحيد الله، ويعلن الشكر لله.

يَدُ من التي خلقت السماء ورفعتها بلا عمد؟ يد من التي زينت السماء بالنجوم والشموع والكواكب والأقمار؟ يد من التي خلفت الأرض وأرستها بالجبال والأحجار؟ يد من التي خلقت فيها البحار والأنهار؟ يد من التي خلقت فيها الزهور والأشجار والثمار؟ يد من التي خلقت الإنسان في أجمل صورة

وأحسن تقويم؟ يد من التي امتدت إلى عين الإنسان فجعلتها في علبة عظمية قوية متينة حتى لا تتعرض العين إلى الفساد ثم ظللتها بالرموش لتعكس الرموش أشعة الشمس عن العين حتى لاتُؤذى ثم أحاطت العين بالأهداب حتى لا يتساقط العرق إلى داخل العين فتتلف، يد من؟ إنها يد الله الواحد الأحد جل جلاله.

يد من التي خلقت وجعلت ماء العين مالحاً ألا وهو الدمع حتى تقتل الميكروبات التي تتسرب إليها من جديد؟ يد من التي جعلت ماء الأنف حامضا لتتعلق به الأتربة والميكروبات فلا تؤذى داخل الإنسان؟ يد من التي خلقت أذن الإنسان بهذا الجمال والإبداع والإتقان، وجعلت ماء الأذن مُرا حتى لا تتسرب الحشرات إلى أذنك يا ابن آدم وأنت نائم؟ يد من التي خلقت الفم بهذا الجمال والإبداع وجعلت ماء الفم حلواً حتى يتذوق الإنسان الطيب من الخبيث والحلو من الحامض؟ يد من التي امتدت إلى كوز الذرة فرصت عليه هذه الحبات اللؤلؤية بهذا الإتقان والجمال والإبداع؟ يد من التي امتدت إلى سنبلة القمح فغلفتها بهذه الأغلفة الحصينة ومكنتها وحصنتها بشوك حتى لا تكون حبة القمح داخل الغلفة غذاء للطيور؟ وقد قدّر الملك أن تكون غذاء لك أيها الإنسان الجحود؟

والله لو أذن الله لحبة القمح أن تتكلم وأنصت إليها المخلصون لقالت: سبحان من جعلني طعاماً لفلان أبن فلان.

يد من التي امتدت إلى الماء العذب الفرات وإلى الملح الأجاج فجعلت بينهما برزخا وحجرا محجورا؟ يد من التي خلقتك أيها الإنسان وجعلت في حلقك في مكان يسمى البلعوم بوابة منيعة حصينة تسمى هذه البوابة بلسان المزمار، هذا

اللسان لو تعطّل لحظة عن وظيفته لهلكت أيها الإنسان الجحود، فوظيفة هذه البوابة أنها تسد القصبة الهوائية عند البلع وتسد البلعوم عند التنفس ولو أخطأ هذا العضو لحظة لسقطت جرعة ماء أو لقمة صغيرة إلى مجرى التنفس ولو أخطأ هذا العضو لحظة لسقطت جرعة ماء أو قلمة صغيرة إلى مجرى التنفس لهلكت أيها الإنسان المغرور؟ يد من التي خلقت هذا الكون كله بما فيه من جماد وجمال؟

لله في الآفاق آياتٌ لعل ... أقلّها هو ما إليه هداك
ولعل ما في النفس من آياته ... عجبٌ عجابٌ لو ترى عيناك
الكون مشحونٌ بأسرار إذا ما ... حاولت تفسيراً لها أعياك
قل للطبيب تخطّفته يد الردى ... يا شافي الأمراض من أرداك
قل للمريض نجا وعوفي بعد ما ... عجزت فنون الطب من عافاك
قل للصحيح يموت لا من علةٍ ... من يا صحيح بالمنايا دهاك
بل سائل الأعمى خطا وسط الزحام ... بلا اصطدامٍ من يا أعمى يقود خطاك
بل سائل البصير كان يحذر حفرة ... فهوى بها من ذا الذي أهواك
وسل الجنين يعيش معزولا بلا ... راعٍ ومرعى من ذا الذي يرعاك
وسل الوليد بكى وأجهش بالبكاء ... لدى الولادة ما الذي أبكاك
وإذا ترى الثعبان ينفث سمه ... فسله من يا ثعبان بالسموم حشاك
واسأله كيف تعيش يا ثعبان ... أو تحيا وهذا السم يملأ فاك
واسأل بطون النحل كيف تقاطرت ... شهداً وقل للشّهد من حلاك
بل سل اللبن المصفى من بين ... فرث ودم من ذا الذي صفاك
وإذا رأيت النبت في الصحراء ... يربو وحده فاسأله من أرباك
وإذا رأيت النخل مشقوق النوى ... فاسأله من يا نخل شق نواك

وإذا رأيت البدر يسرى ناضرا ... أنواره فاسأله من أسراك
وإذا رأيت النار شبّ لهيبها ... فاسأل لهيب النار من أوراك
وإذا ترى الجبل الأشم مناطحاً ... قمم السحاب فسله من أرساك
وإذا رأيت النار شب لهيبها ... فاسأل لهيب النار من أوراك
يا أيها الإنسان مهلاً ما الذي ... بالله جل جلاله أغراكا؟
سيجيب ما في الكون من آياته ... عجبٌ عُجابٌ لو ترى عيناكا
ربِّ لك الحمد العظيم لذاتك ... حمدًا وليس لواحد إلاَّكا

إن هذا الإله، ألا يستحق، ألا يستحق أن يُعبد؟ ألا يستحق هذا الإله العظيم أن يوّحد؟ ألا يستحق أن يُطاع؟ ألا يستحق أن يُمتثل أمره؟ ألا يستحق أن يُجتنب نهيه؟ ألا يستحق أن نقف عند حدوده؟ ألا يستحق أن نُطيع رسوله - ﷺ -؟

لماذا نعبد الله؟

أولاً: لأن العبادة حق الله علينا فهو خالقنا ورازقنا ومحيينا ومميتنا وحق السيد على العبيد طاعته وامتثال أمره. حق الله الذي أوجدك من العدم ولم تكن شيئا مذكورا، حق الله الذي ربَّاك بالنعم وأنت في بطن أمك في ظلمات ثلاث، لا يستطيع أحد من المخلوقين أن يوصل إليك غذاءك ومقومات نموك وحياتك، أدر لك الثديين، وهداك النجدين، وسخر لك الأبوين، أمدك وأعدك. . أمدك بالنعم والعقل والفهم، وأعدك لقبول ذلك والانتفاع به: ﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]. فلو حجب عنك فضله طرفة عين لهلكت، ولو منعك رحمته لما عشت، فإذا كان هذا فضل الله عليك ورحمته بك فإن حقه عليك أعظم

الحقوق؛ لأنه حق إيجادك وإعدادك وإمدادك، إنه لا يريد منك رزقاً ولا إطعاماً: ﴿لا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: ١٣٢]. وإنما يريد منك شيئاً واحدا مصلحته عائدة إليك، يريد منك أن تعبده وحده لا شريك له

ثانياً نعبد الله لأن العبادة غذاء لأرواحنا، فبدونها سنموت، بدون العبادة سنموت، كما مات أهل الجسد الذين قتلوا الروح قتلا، ماتوا وهم يتحركون بين الناس، إن الإنسان جسد وروح، ومستحيل أن يعيش الإنسان حياة طيبة سعيدة بالبدن دون الروح.

وأنتم تعلمون أن الغرب قد أعطى البدن كل ما يشتهيه من طعام وشراب وشهوات ونساء وملذات وعلم وتكنولوجيا إلى آخره، أعطى الغرب البدن كل ما يشتهيه البدن، وبقيت الروح في أعماق البدن، تصرخ تبحث عن دواء وغذاء فوقف الغرب أمام الروح عاجزاً لا يملك شيئاً، إذ لا يعلم دواء الروح وغذاء الروح إلا خالق الروح جلا وعلا: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٨٥].

وإن انتشار عيادات الطب النفسي وحالات الانتحار الجماعي والفردي في الشرق والغرب لمن أعظم الأدلة العملية على ما يعانيه الغرب في الجانب الروحي من قلق وشك وضنك واضطراب.

فنحن نعبد الله؛ لأن العبادة غذاء الروح، ومن عرف الله أحبه وشعرت روحه بالسعادة بل وشعر بدنه بالسعادة، لا يشعر المسلم بالأنس والسعادة إلا في رحاب الله وفي ذكر الله وفي الصلوات لله، وفي طاعة الله، وفي السجود بين يدي الله قمة السعادة للمسلم من عرف الله أحبه الله.

ثالثاً: نعبد الله طمعا في جنته وخوفا من ناره:

فهذا سيد الموحدين وقدوة المحققين محمد بن عبد الله يسأل الله الجنة ويستعيذ به من النار بل ويأمر أمته في كم هائل من الأحاديث الصحيحة أن يسألوا الله الجنة، وأن يستعيذوا به من النار.

وفى الحديث الجليل الجميل الرقيق الذي رواه أحمد والترمذي والبيهقي وابن حبان وأبو داود وغيرهم، وصححه شيخنا الألباني في صحيح الجامع من حديث أبى هريرة - رضي الله عنه - أن النبي -صلى الله عليه وسلم- سأل يوما صحابياً من أصحابه: « ماذا تقول في الصلاة؟ »- أي: ماذا تدعو أي: بماذا تدعو الله جل وعلا- فقال الصحابي: والله يا رسول الله إني أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار فإني لا أُحسن دندنتك ولا دندنة معاذ- الدعوات الجميلة التي تدعو بها أنت ومعاذ أنا لا أحسنها ولا أعرفها، إنما أدعوا الله بدعوتين أقول: اللهم إني أسألك الجنة، وأعوذ بك من النار فقال المصطفى -صلى الله عليه وسلم- : «حولها ندندن أنا ومعاذ»وفى رواية: « وهل نسأل الله إلا الجنة وأن يُعيذنا من النار».

حقوق الله علينا:

أولاً: العبادة:

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] وهذه لا يختلف فيها الناس: ﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً ﴾ [مريم: ٩٣] والله يطلب من الإنسان أن يقترب منه بالعبودية، ولا تقترب إلى الله ولا يحبك إلا إذا عبدته، وفي صحيح البخاري أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال عن الله عز وجل أنه قال: « وما تقرب إلي عبدي بأحب مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به».

دل الحديث على أنه كلما اقتربت من الله بالنوافل قربك، وأن أقرب الناس منه العابدون، قال عن الأنبياء: ﴿ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

ومن حق الله علينا الاستعانة به:

فلا نستعين إلا به سُبحَانَهُ وَتَعَالَى قال رسول الله -ﷺ-: « **وإذا استعنت فاستعن بالله** » وهذا فيه تفصيل لأهل العلم قالوا: يستعان بالبشر فيما يقدر عليه البشر، فلك أن تستعين بالإنسان أن يحمل معك غرضاً في سيارتك أو أن يوصلك مكاناً أو يدلك على مقصد، أو أن يبني معك بيتاً، لكن الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله حرام أن تستعين فيها بغير الله كالمشافاة والمعافاة، وطلب الرزق، والإماتة والإحياء، وتسهيل الأمور وتفريج الكرب، لا يستطيع عليها ولا يقدر عليها إلا الله قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ [النمل: ٦٢].

الحق الثالث الاستغاثة بالله:

قال تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ [الأنفال: ٩] قيل عن معروف الكرخي أنه كان يجلس في المجلس الواحد ويقول: واغوثاه! واغوثاه! أكثر من ألف مرة، فقيل له في ذلك، فقال أما سمعتم قول الله تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ [الأنفال: ٩] فلا تستغث إلا به سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، والناس يظنون أن بعض الناس له يد في الرزق والأجل، وأن بوجوده أو بحضوره أو بحصوله أو ببركته ينزل الغيث، وهذا شرك بالواحد الأحد، لا ينزل الغيث إلا الله، ولا يعلم ما في الأرحام إلا الله.

والحق الرابع من حقوق الله تعالى الرجاء:

نعم الرجاء: أن ترجو الواحد الأحد، فلا يرجى إلا هو سُبحَانَهُ وَتَعَالَى لدفع المكروه، وتجد بعض من يشرك في مسألة الرجاء يرجو غير الله أكثر من الله، ويقول للناس: أنتم الذي سهلتم هذه المسألة ولو لم تفعلوا ما تسهلت، وهذا

شرك بالمولى، فوالله الذي لا إله إلا هو إن لم يسهلها الله ما تسهلت، ويقول لي آخر: أنت الذي فعل وصنع، وأنت الذي قرر، وأنت الذي سهل، وأنت الذي يسر، ونسي الواحد الأحد، فمقاليد الأمور بيد الواحد الأحد، بيده تفل الحبال وتفتل، تبارك الله رب العالمين!

الحق الخامس الخوف من الله، قال تعالى: ﴿ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥] وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

إن الإنسان قد يخاف من الأسد، ويخاف من الثعبان، فهذا مركب في الفطرة، لكن بعض الناس يخاف من بعض الناس أن يمنعه الرزق أو يعطله من الحياة، أو يغير عليه القضاء والقدر، أو يمنعه من الولد أو غير ذلك، وهذا سوء ظن بالمولى سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، ويدخل في المسألة: « **وإذا سألت فاسأل الله** » فلا تسأل فيما لا يقدر عليه غير الله عز وجل إلا الله تبارك وتعالى، فإذا سألت غيره ما كان لك من نصيب، وما لُبِّيَ طلبك وخسرت الدنيا والآخرة.

ومن حق الله علينا سادساً عدم الذبح لغير ه جل وعلا:

ومعناه: ألا يذبح ذبيحته لغير الله عز وجل، كأن يتقرب بها إلى وثن أو مخلوق أو إلى دفع ضر أو جلب منفعة، الذين يذبحون عند الكهنة والمشعوذين أو يوصوهم بالذبح في صور متعددة، وبعضهم إذا بنا البيت ذبح ليخرج الجن، ولئلا يسكن الجن في البيت، وبعضهم يذبح إذا وصف له مرض مريض فقالوا: لا يشفى مريضك حتى تذبح له تيساً أسود أو تيساً أبيض. وهذا هو عين الشرك بالله تعالى. أسأل الله أن يوفقنا لطاعته، وأن يجنبنا معصيته، ، إنه خير مسؤول، وصلى الله وسلم على الرسول وعلى آله وصحبه أجمعين.

حقوق النبي المصطفى (١)

الحمد لله الذي دل عباده على طاعته للفوز بجنته، وحذّرهم من معصيته للنجاة من ناره، وأقام لهم الحجة وأوضح لهم المحجة بإنزال كتبه وإرسال رسله، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي دل أمته على خير ما يعلمه لهم وحذرهم من شر ما يعلمه لهم.

وبعد

سيكون الحديث مع حقوق الحبيب محمد -ﷺ-.

منزلة النبي -ﷺ-

إن شأن المصطفى -ﷺ- عند الله عظيم، وإن قدر الحبيب عند ربه لكريم، فلقد خلق الله الخلق واصطفى من الخلق الأنبياء، واصطفى من الأنبياء الرسل، واصطفى من الرسل أولى العزم الخمسة، نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً- صلوات الله عليهم جميعا- واصطفى من أولى العزم الخمسة الخليلين الحبيبين إبراهيم ومحمداً واصطفى محمداً على جميع خلقه، فشرح له صدره ورفع له ذكره وأعلى له قدره ووضع عنه وزره، وزكاه ربه في كل شيء.

زكاه في عقله فقال سبحانه: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾[النجم:٢]، وزكّاه في صدقه فقال سبحانه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾، وزكّاه في فؤاده فقال سبحانه: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾، وزكّاه في بصره فقال سبحانه: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾، وزكّاه في صدره فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾،

وزكّاه في ذكره فقال سبحانه ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ ، وزكاه في طهره فقال سبحانه: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾، وزكاه في حلمه فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة:١٢٨]، وزكاه كله فقال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم:٥]بأبي هو وأمي.

ويتجلى تكريم الرب العلى لحبيبنا النبي -ﷺ- في قسم الله جل وعلا بعمر المصطفى -ﷺ-، بحياة المصطفى -ﷺ-، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: والله ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفساً أكرم عليه من محمد، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غير محمد فقال جل وعلا: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[الحجر:٧٢]،أقسم الله بحياة حبيبه المصطفى فيقول ربه له: وحياتك يا محمد.

معنى الآية وحياتك يا محمد إن أهل الشرك إن أهل الكفر فلا ضلالهم يترددون ويتخطفون ويتحيرون: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

بل لم يقسم الله جل وعلا لنبي من أنبيائه بصفة الرسالة إلا لحبيبنا المصطفى فقال جل وعلا: ﴿يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾،بل وأقسم الله بالضحى: ﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾أنه ما أهمل محمداً وما قلاه بعدما اختاره واصطفاه واجتباه وأن ما أعده له في الآخرة خير له من كل ما أعطاه في دنياه، وقد جمع الله له الكرامة والسعادة في الدارين مع الزيادة فقال جل في علاه: ﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى * وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى * أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ

ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى * فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ *وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.

تدبر معي أيها المحب للحبيب محمد لتقف على قدر حبيبك عند ربه جل وعلا فوالله لقد خاطب الله جميع الأنبياء والمرسلين بأسمائهم مجردة إلا المصطفى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [سورة البقرة: ٣٥]. ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا﴾ [هود: ٤٨]﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ* قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [(١٠٤، ١٠٥) سورة الصافات]، ﴿ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ﴾ [(١١، ١٢) سورة طه]، ﴿إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران: ٥٥] ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ﴾ [ص: ٢٦]، ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٧]، ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢]، ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ ﴾، أما المصطفى -ﷺ- فنادى عليه ربه بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ [الأحزاب: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللهِّ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥]، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾ [المائدة: ٤١]، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلًا﴾ [(١، ٢) سورة المزمل].

وتدبر معي هذه الكرامة فإن الله جل وعلا قد خاطب حبيبه -ﷺ- فأخبره بالعفو عنه قبل الفعل الذي فعله قال سبحانه: ﴿عَفَا اللهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣]. ، وخصه تبارك وتعالى بالشفاعة العظمى في الآخرة وهى المقام المحمود الذي ذكره الله في قوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

وخصّه الله جل وعلا بالوسيلة، والوسيلة هي أعلى منزلة في الجنة كما في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن النبي -ﷺ- قال: «إذا سمعتم المؤذن يؤذن فقولوا مثلما يقول ثم صلوا على فإنه من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لي الوسيلة حلّت له شفاعتي».

وخصه الله بالكوثر هل تعلمون ما الكوثر؟ حوض أو نهر في الجنة ماءه أشد بياضاً من الثلج، وأحلى مذاقا من اللبن بالعسل، وطينه- أو طيبه، كالمسك الأذفر وعدد آنيته بعدد نجوم السماء قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾. وفي الصحيحين من حديث أنس واللفظ للبخاري أن الحبيب النبي -ﷺ- قال: «بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه= شاطئاه- قباب الدر المجوف فقلت: ما هذا يا جبريل؟ فقال جبريل: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك عز وجل» يقول الحبيب -ﷺ-: فإذا طيبه- أو طينه- مسك أذفر»[1].

وفي رواية مسلم من حديث أنس - رضي الله عنه - قال المصطفى -ﷺ-: «حوضي أشد بياضاً من الثلج وأحلى من اللين بالعسل عدد آنيته أكثر من نجوم السماء وإني لأرد الناس عنه يوم القيامة- أي: من غير المؤمنين، أي من غير الموحدين- كما يرد الرجل إيله عن حوضه»، فقالوا: وهل تعرفنا يومئذ يا رسول الله؟ هل تعرف أمتك من بين سبعين أمة في أرض المحشر- هل تعرفنا يومئذ يا رسول الله؟ فقال المصطفى -ﷺ-: «نعم إن لكم يومئذ سيما» أي: علامة تختلفون بها عن كل الأمم « تأتوني أو تردون على غراً محجلين من أثر الوضوء».

ثم أخذ الله الميثاق على جميع النبيين والمرسلين إن بعث فيهم محمد -ﷺ- أن يؤمنوا به وأن ينصروه قال جل وعلا: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

هذه مكانة النبي الأمين -ﷺ- عند رب العالمين، ، يبين لنا هو مكانته عند ربه فيقول -ﷺ- كما في صحيح مسلم من حديث أبى هريرة - رضي الله عنه -: « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأنا أول من ينشق عنه القبر وأنا أول شافع وأول مشفع».

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة - رضي الله عنه - أنه -ﷺ- قال: « فُضّلت على الأنبياء بست – أي بست خصال—فُضّلت على الأنبياء بست: أوتيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب مسيرة شهر، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون».

وفى الصحيحين من حديث أنس - رضي الله عنه - قال: لما أتى للنبي -ﷺ- ليلة الإسراء بالبراق استصعب البراق على النبي -ﷺ- - أي: انتفض البراق، ولم يتمكن النبي -ﷺ- أول الأمر من ركوبه فقال جبريل للبراق: بمحمد تفعل هذا- فوالله ما ركبك أحد أكرم على الله من محمد فارفض البراق عرقاً.

وفى صحيح مسلم من حديث أنس - رضي الله عنه - أن النبي -ﷺ- قال: « آتى باب الجنة – إن أول من يفتح باب الجنة يوم القيامة هو نبينا، إن الله حرم الجنة على أي مخلوق أن يدخلها قبل المصطفى -ﷺ- لا يدخل الجنة أحد قبل الحبيب

محمد -ﷺ- - آتى باب الجنة فأستفتح فيقول لي خازن الجنان: من أنت، فأقول: محمد، فيقول الخازن: بك أُمرت ألا أفتح لأحد قبلك»

والله لا يعرف قدر النبي -ﷺ- إلا الرب العلى، ولم لا؟ ! وهو سبحانه وتعالى الذي أكمل خلقه فلقد أكمل الله له المحاسن والكمال البشرى في الحبيب النبي -ﷺ-، منّ الله عليه بجمال الصورة واستواء البدن ووضاءة الوجه، وقوّة الفكر والعقل ودقة الفهم وسلامة القلب وكرم النسب وشرف الأصل.

وبالنظر إلى مجموع الروايات الصحيحة التي وصفت خُلق الحبيب المصطفى كما في الكتاب الماتع للإمام الترمذي في كتابه الشمائل المحمدية، يتبين لنا من خلال هذه الآثار والأحاديث الصحيحة أن النبي -ﷺ- كان أحسن الناس وجهاً إذا سُر استنار وجهه كأنه فلقة قمر. كان كث اللحية، واسع الصدر، عظيم المنكبين، ليس بالطويل ولا بالقصير، إن تكلم كأن نوراً يخرج من بين ثناياه، وما أحلى وأرق وأجمل ما وصفته به أم معبد الخزاعية حين قالت لزوجها، وهى تصف له نبيها -ﷺ- ورسول الله -ﷺ-: قالت: إنه رجل ظاهر الوضاءة، مليح الوجه، حسن الخلق، أبهى الناس وأجملهم من بعيد، وأحلى الناس وأحسنهم من قريب، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظراً.

ثم زيّن الله هذا الخلق البشرى بكل سمات الكمال الخُلُقي في بشر. زيّن الله هذا الخلق بالحلم والعلم والرحمة والإنابة والتواضع، والزهد، والكرم، والحياء، والمروءة، والشجاعة، والرجولة، والعفة، والعفو، والسخاء، والدين، والعبودية.

بل وجمع له كل الصفات الحميدة وأثنى عليه في آيةٍ واحدة محكمة جامعة مانعة، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

ومن جميل ما قرأت ما رواه البخاري من حديث عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما -، فقلت: حدثني عن صفة رسول الله في التوراة، فقال عبد الله بن عمرو: والله إنه لموصوف في التوراة ببعض ما وصف به في القرآن قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥]. وفي التوراة: **يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه حتى يفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا».**

ومن أحلى وأرق ما وصفه به خادمه أنس - رضي الله عنه -- وتدبر قول أنس قول خادم في بيت النبي -ﷺ-. يقول أنس- والحديث في الصحيحين: خدمت رسول الله -ﷺ- عشر سنين- هنيئاً لك يا أنس هنيئا لأنس أن يدخل ويخرج على النبي -ﷺ- عشر سنين، يُمتع بصره بالنظر إلى الحبيب وتستمتع بصيرته بالاهتداء بالحبيب محمد -ﷺ- هنيئاً والله لأنس يقول: فوالله ما قال لي: أُفٍ قط ولا قال لشيء صنعته: لم صنعته؟ ولا لشيء تركته: لم تركته؟ .

يقول أنس: وكان أحسن الناس خلقاً ثم قال: ووالله ما مسست حريراً ولا ديباجاً ألين من كف رسول الله، ولا شممت مسكاً ولا عنبراً أطيب من عرق رسول الله صلى الله وعلى آله ومن والاه، لله درك يا أنس والله.

وفي الصحيحين من حديث عائشة - رضي الله عنها -: قلت: يا رسول الله هل مر عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟

تعلمون أن النبي -ﷺ- في أُحد قد شج وجهه وكسرت رباعيته ونزف الدم الشريف من جسده الطاهر، وانتشر في أرض المعركة أن رسول الله -ﷺ- قد قُتل ونزف الدم الشريف من جسده الطاهر، وانتشر في أرض المعركة أن رسول الله -ﷺ- قد قُتل فعائشة الفقيهة تقول للحبيب -ﷺ-: يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟ فقال الحبيب -ﷺ-: « **لقد لقيت من قومك ما لقيت يا عائشة وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، يوم عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن كلال وهو من أشراف أهل الطائف، فلما لم يجبني إلى ما أردت انطلقت على وجهي وأنا مهموم على وجهي ولم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب**».

تعلمون ماذا فعل بالنبي -ﷺ- يوم الطائف، والله ما ذهب إليهم رسول الله -ﷺ- يطلب مالاً ولا جاهاً ولا وجاهة، بل ذهب إلى الطائف على قدميه المتعبتين الدائبتين لم يجد بعيراً ولا حماراً، سار على قدميه قرابة قرابة السبعين كيلو متر على قدميه المتعبتين تحت حرارة الشمس، التي تصهر الجبال وتذيب الحديد، على رمال انعكست عليها أشعة الشمس، فكادت أن تأخذ الأبصار. ذهب الحبيب المختار إلى أهل الطائف ليقول لهم قولوا: لا إله الله تفلحوا في الدنيا والآخرة، فماذا فعل به أهل الطائف؟ رموه بالحجارة بأبي هو وأمي طردوه لم يقدموا له طعاماً، ولا شراباً باستثناء عداس - رضي الله عنه -، وأرضاه ذلكم الخادم الذي أسلم ومنّ الله عليه بالإيمان في هذه الرحلة.

فلم يرجع النبي -ﷺ- من هذه الرحلة الشاقة إلا بموّحد واحد وعاد النبي -ﷺ- والدماء تنزف من قدمية يقول: « **فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ولم**

أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب» أي في مكان بين مكة والطائف يقول: فنظرت فإذا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام»، والحديث في الصحيحين « فنادى على جبريل وقال: يا رسول الله إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا به عليك وقد أرسل الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم يا رسول الله» قال الحبيب: " فنادى على ملك الجبال وقال: يا رسول الله لقد أرسلني الله إليك فمرني بما شئت فيهم» ثم قال ملك الجبال" قال: لو أمرتني أن أطبق عليهم الأخشبين لفعلت". والأخشبان جبلان عظيمان بمكة.

والله لو أمر النبي -ﷺ- ملك الجبال لحطم ملك الجبال تلك الجماجم الصلدة، وتلك الرؤوس العنيدة ولسالت دماء من الطائف بحوراً وأنهاراً، ليراها أهل مكة بمكة، ولكن نهر الرحمة وينبوع الحنان ولكن الرحمة المهداة والنعمة المسداة ما خرج إلا لله فما انتقم لنفسه أبداً وما غضب لنفسه أبداً، والله ما غضب إلا لله، لا زالت الدماء تنزف من قدميه المتعبتين ومع ذلك يرد نبي الرحمة على ملك الجبال ويقول: « لا يا ملك الجبال، بل إني أرجو الله تعالى أن يخرج من أصلابهم من يوحد الله جل وعلا». من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً، صدق الله القائل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: رسول الله رحمةٌ للفاجر والبر فمن آمن به فقد رُحم في الدنيا والآخرة ومن كفر به، فقد رُحم في الدنيا وأُجّل له العذاب في الآخرة لقول الله لنبيه: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]

وأختم هذا الحديث الرائع الرقراق عن الخلق العالي الرفيع لنبينا -ﷺ- بمشهد رواه الإمام مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي قال: صليت

يوما مع رسول الله -ﷺ- فعطس أحد القوم في الصلاة فقلت له: يرحمك الله فرماني القوم بأبصارهم فقلت: وأثكل أمياه ما شأنكم تنظرون إلي؟ ! يقول: فضرب القوم بأيديهم على أفخاذهم يسكتونني فلما علمت أنهم يسكتونني سكت.

يقول: ولما أنهى النبي صلاته فبأبي هو وأمي والله ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن منه والله ما نهرني ولا ضربني ولا شتمني وإنما قال لي: « إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن» وصدق ربي إذ يقول: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

و ثبت في الحديث الصحيح أن أعرابياً دخل مسجد رسول الله -ﷺ- فبال في ناحية منه فقام إليه الصحابة ليزجروه فمنعهم النبي -ﷺ- وقال لهم: «لا تزرموه» أي لا تفزعوه ولا تهيجوه فلما فرغ الأعرابي من بوله أمر النبي -ﷺ- بذنوب أو بسجل أو بدلو من ماء فاهرق على بوله ثم قال للأعرابي: «إن هذه المساجد لا تصلح شيء من هذا إنما هي لذكر الله والصلاة». وفي رواية أن الأعرابي قال: اللهم ارحمني وارحم محمداً ولا ترحم معنا أحداً. فتبسم النبي -ﷺ- وقال له: «لقد حجّرت واسعاً». فرحمة الله واسعة وسعت الخلق أجمعين.

هذا اللين وهذا الرفق العجيب كان خُلق رسول الله -ﷺ- وعادته ودأبه دائماً في دعوته وفي تعليمه للناس، والرفق واللين هما من أحسن أساليب الدعوة والتعليم ما دخل الرفق في شيء إلا زانه ولا دخل العنف في شيء إلا شانه.

لما حضرت الوفاة ابن سلول إذا بأبنه يأتي إلى الرسول -ﷺ- يقول: يا رسول الله إن أبي عبد الله قد حضرته الوفاة وأريد قميصك لأكفنه فيه، عسى الله أن يخفف ما نزل به، وأعطاه النبي -ﷺ- قميصه الطاهر، ومات عبد الله بن أُبي، كبير المنافقين، وإذا بابنه يأتي إلى الرسول -ﷺ- ويقول: يا رسول الله إن أبي قد مات، فقم لتصلي عليه، وقام الرسول عليه الصلاة والسلام ليصلي عليه، وإذا بالفاروق عمر يقف أمام وجه رسول الله يقول: يا رسول الله إنه منافق، فلا تصل عليه، فيقول عليه الصلاة والسلام: «لم يأمرني الله كما قلتَ يا عمر» فصلى الرسول عليه ودفنه وقام على قبره، وإذا بالوحي ينزل على نبينا عليه الصلاة والسلام بقوله تبارك وتعالى: ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾[التوبة: ٨٤]، إلى هذا الحد تبلغ رحمتك يا رسول الله! إلى هذا الحد تبلغ رأفتك يا رسول الله ويا صاحب الخلق العظيم ويا صاحب القلب الرحيم! إلى هذا الحد ترتفع بنفسك فوق الأحداث.

وأخيراً: هل عرفت الأمة قدر نبيها؟ والجواب لا والله، لا والله ما عرفت الأمة قدر نبيها إلا من أفراد قلائل، أسأل الله أن يجعلنا منهم.

إن ادعت الأمة أنها عرفت قدر نبيها، فإن حالها يكذب ادعاءها فما أيسر الادعاء.

لقد أدعى قوم المحبة فابتلاهم الله بآية المحنة فقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

من يدعى حب النبي ولم يفد من هديه فسفاهة وهراء

فالحـــب أول شرطـــه وفروضـــه إن كـــان صـــدقاً طاعـــة ووفـــاء

إن ادعت الأمة أنها عرفت قدر نبيها -ﷺ-، فإن واقعها وحالها يكذب ادعاءها إلا من رحم الله. هل عرَفَت الأمة قدر نبيها في الوقت الذي نحّت فيه شريعته وأخرت فيه سنته، وقدمت القوانين الوضعية البشرية وحكمتها في الأعراض والأموال والدماء والفروج والله جل وعلا يقول: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

إن ادعت الأمة أنها عرفت قدر نبيها، فلماذا نسمع ونرى من يعتدي على صحابته -ﷺ-.

ونسمع من يدّعي الدين ويسب عائشة أم المؤمنين ويعتدي على عرض نبينا وحبيبنا -ﷺ-.

اللهم رُدنا إلى دينك وسنة نبيك رداً جميلاً برحمتك يارب العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله علاّم الغيوب، المطلع على أسرار القلوب، المتجاوز - بمشيئته ورحمته - عن كبائر الذنوب، البصير بسرائر النيات، وخفايا الطويَّات، الذي لا يقبل من الأعمال إلا ما كمل - في الشروط - ووفى، وخلُص عن شوائب الرياء والشرك وصفا. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، المتفرد بالملكوت والملك، فهو أغنى الأغنياء عن الشرك، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه المبرئين من الخيانة والإفك، وسلم تسليما كثيرا.

وبعد

لا زلنا وإياكم مع الحبيب المصطفى والرسول المقتفى، مع أستاذ الإنسانية وقائد المسلمين الأعظم، وصاحب الرسالة العصماء سيدنا محمد -ﷺ-.

لا زلنا وإياكم مع حقوق النبي -ﷺ- على أمته.

حقوق النبي -ﷺ- على أمته كثيرة أولها:

الحق الأول الإيمان بنبوته والتصديق برسالته واعتقاد نسخ رسالته لجميع الرسالات السابقة. فمن امن بنبوته وصدق برسالته عليه: تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع -ﷺ-.

وقد دلّت على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ

وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا ﴾ [التغابن: ٨]. وقال تعالى: ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨]. وقال عز وجل: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

فالإيمان به -ﷺ- وبرسالته وبكل ما أخبر به من الأمور التي وقعت، والتي لم تقع مما أطلعه الله عليه، الإيمان بذلك كله واجب حتى يكمل إيمان المرء، ولقد بشر النبي -ﷺ- من آمن به ولم يره بشره بطوبى، وهي شجرة في الجنة، فقال -ﷺ-: «طوبى لمن آمن بي ورآني مرة، وطوبى لمن آمن بي ولم يرني سبع (مرات)». [السلسلة الصحيحة ٣/ ٤٥]، فمن شك في نبوته أو رسالته فهو كافر.

فطاعته -ﷺ- واجبة بكتاب الله عز وجل، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣]. وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠].

وقال ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلى من أبى، قيل: يا رسول الله ومن يأبى قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى» [البخاري].

وقال -ﷺ-: «ألا إني أُوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته، ويقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه» [أحمد وأبو داود والحاكم بسند صحيح].

وعن أبي داود وابن ماجة بسندٍ صحيح، قال -ﷺ- : «لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لا ندري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه».

إنها معجزة ونبوة للنبي -ﷺ- أنه سيظهر من أمته من ينكرون السنة ويقولون نكتفي بالقرآن فقط وهذه معصية واضحة للنبي -ﷺ-.

ولابد من الحذر كل الحذر من مخالفة أمره ﷺ وعدم معصيته لأن ذلك مما يحبط الأعمال ويوجب النيران، فقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣].

الحق الثاني للنبي -ﷺ- على أمته ـ وجوب الإيمان بأنه -ﷺ- بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح للأمة، فما من خير إلا ودل الأمة عليه ورغبها فيه، وما من شر إلا ونهى الأمة عنه وحذرها منه. قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]. وعن أبي الدرداء - - رضي الله عنه - - عن النبي -ﷺ- أنه قال: « وأيم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء، ليلها ونهارها سواء » [سنن ابن ماجه]. وقد شهد للنبي -ﷺ- بالبلاغ أصحابه في أكبر مجمع لهم يوم أن خطبهم في حجة الوداع خطبته البليغة فبين لهم ما أوجب الله عليهم وما حرم عليهم وأوصاهم بكتاب الله إلى أن قال لهم: « وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون ». قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: « اللهم

اشهد اللهم اشهد ثلاث مرات » [أخرجه مسلم]. وقال أبو ذر - - رضي الله عنه - - : (لقد تركنا محمد -ﷺ- وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علما) [أخرجه أحمد في المسند].

الحق الثالث من حقوقه -ﷺ- محبته -ﷺ- وتقديم محبته على النفس وسائر الخلق. ولذا وجب أن تكون محبته مقدمة على محبة الناس كلهم من الأبناء والآباء وسائر الأقارب بل مقدمة على محبة المرء لنفسه. قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤]. فقرن الله محبة رسوله -ﷺ- بمحبته عز وجل وتوعد من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله - توعدهم بقوله: ﴿ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾. وفي الصحيحين من حديث أنس - - رضي الله عنه - - قال: قال النبي -ﷺ-: « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » [البخاري ومسلم].

. وعن عمر - رضي الله عنه - أنه قال للنبي -ﷺ-: يا رسول الله أنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي. فقال النبي -ﷺ-: « **لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك** ». فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي. فقال النبي -ﷺ-: « **الآن يا عمر** » [رواه البخاري من حديث عبد الله بن هشام برقم (٦٦٣٢)].

ومحبته -ﷺ- مفتاح لذوق حلاوة الإيمان قال ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد

حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار» [البخاري].

ومن محبته ﷺ إيثار ما يحب ﷺ على ما يحب العبد، ومحبة ما جاء به والدعوة إليه ومحبة أهل بيته وصحابته -رضوان الله عليهم-، ومن محبته كثرة ذكره -عليه الصلاة والسلام-، والشوق إلى لقائه.

الحق الرابع من حقوقه -ﷺ- على أمته الاقتداء به ﷺ:

قال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾ [الأنعام: ٩٠]، فقد أمر الله -جل وعلا- نبيه ﷺ بالاقتداء بمن سبقه من الأنبياء والرسل. وأمرنا نحن باتباع النبي ﷺ والاقتداء به، فقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]. أي إن لكم فيه ﷺ قدوة صالحة في أفعاله وأقواله فاقتدوا به، فمن اقتدى به ﷺ وتأسى به سلك الطريق الموصل إلى كرامة الله وهو الصراط المستقيم فهو -عليه الصلاة والسلام- الأسوة الحسنة التي يوفق للاقتداء بها من كان يرجو الله واليوم الآخر، لما يرجو من ثواب ربه، وما يخشاه من عقابه وعذابه.

كل ذلك حاث وحافز ودافع للاقتداء به ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله.

الحق الخامس للنبي -ﷺ- تعظيمه وتوقيره وإجلاله. فإن هذا من حقوق النبي -ﷺ- التي أوجبها الله في كتابه. قال تعالى: ﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ [الفتح: ٩]. وقال تعالى: ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. قال ابن عباس: " تعزروه: تجلوه. وتوقروه: تعظموه ". وقال قتادة: " تعزروه: تنصروه. ".

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [الحجرات: ١]. وقال عز وجل: ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ [النور: ٦٣]. قال مجاهد: " أمرهم أن يدعوه يا رسول الله في لين وتواضع ولا يقولوا يا محمد في تجهم ". وقد ضرب أصحاب النبي -ﷺ- أروع الأمثال في تعظيم النبي -ﷺ-.

قال أسامة بن شريك: " أتيت النبي -ﷺ- وأصحابه حوله كأنما على رؤوسهم الطير ". وتعظيم النبي -ﷺ- واجب بعد موته كتعظيمه في حياته. قال القاضي عياض: " واعلم أن حرمة النبي -ﷺ- بعد موته، وتوقيره وتعظيمه، لازم كما كان حال حياته، وذلك عند ذكره -ﷺ-، وذكر حديثه وسنته، وسماع اسمه وسيرته، ومعاملة آله وعترته، وتعظيم أهل بيته وصحابته ".

الحق السادس للنبي -ﷺ- الصلاة والسلام عليه والإكثار من ذلك كما أمر الله بذلك. قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦]. قال المبرد: " أصل الصلاة: الترحم. فهي من الله رحمة. ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة من الله ". وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - عن النبي -ﷺ- أنه قال: « من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا » [رواه مسلم برقم (٣٨٤)].

وهناك مواطن يجب فيها الصلاة على النبي ﷺ:

١- وهو أهمها وأكبرها وقد أجمع المسلمون على مشروعيته وذلك في التشهد الأخير في الصلاة، وهي ركن من أركان الصلاة الأربعة عشر، من تركها متعمداً

بطلت صلاته، فقد أخرج البيهقي بسند قوي عن الشعبي -وهو من كبار التابعين- قال: «من لم يصل على النبي ﷺ في التشهد فليعد صلاته».

٢- في صلاة الجنازة، بعد التكبيرة الثانية، ورد في السنة، أنه بعد التكبيرة الأولى: يقرأ الفاتحة، و بعد التكبيرة الثانية: يصلي على النبي ﷺ، وبعد التكبيرة الثالثة: يدعو للميت، وبعد التكبيرة الرابعة: ينتظر قليلاً ثم يسلم تسليمة واحدة عن يمينه.

٣- في الخطب: كخطبة الجمعة والعيدين والاستسقاء وغيرها.

٤- بعد إجابة المؤذن، لما روى الإمام أحمد - رحمه الله - عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما -، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم مؤذناً فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى عليَّ صلى الله عليه بها عشراً. . » [رواه البخاري (١/ ٩٣، ١٢١) ومسلم وأبو عوانة والنسائي والدارمي والبيهقي والسراج ، إرواء الغليل (١/ ٣١٦).].

٥- عند ذكره ﷺ أو كتابته، لقوله ﷺ: «البخيل من ذُكرت عنده فلم يصل علي» [الترمذي وهو حسن صحيح]، وذكر ابن حجر في فتح الباري، من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «من ذُكرت عنده ولم يصل عليَّ فمات فدخل النار فأبعده الله» [الترمذي وصححه الحاكم وله شواهد].

٦- يوم الجمعة وليلتها، فعن أوس بن أوس - رضي الله عنه -، عن النبي ﷺ قال: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم -عليه السلام- وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليَّ من الصلاة، فإن صلاتكم معروضة عليَّ» قالوا: يا رسول الله: كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت -أي بليت- قال:

«إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء -عليهم السلام-» [النسائي وصححه الألباني].

٧- عند دخول المسجد والخروج منه، عن فاطمة قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم، وقال: «رب اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك» وإذا خرج قال: «رب اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب فضلك» [رواه الترمذي وصححه الألباني].

٨- قبل الدعاء وبعده، فالداعي يبدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يدعو بما شاء من خيري الدنيا والآخرة، ثم يختم دعاءه بالصلاة على النبي ﷺ، لما ورد: «الدعاء بين الصلاتين عليّ لا يرد» [أورده القاضي عياض بن موسى بن عياض في كتاب الشفا]. ولقول عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - إذا أراد أحدكم أن يسأل الله شيئاً فليبدأ بحمد الله والثناء عليه بما هو أهله، ثم يصلي على النبي ﷺ، قال -ﷺ-: «إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد الله -عز وجل- والثناء عليه، ثم ليصل على النبي ثم ليدع بعد بما شاء» [حديث صحيح رواه الحاكم وغيره].

الحق السابع للنبي -ﷺ- الإقرار له بما ثبت في حقه من المناقب الجليلة والخصائص السامية والدرجات العالية الرفيعة والمعجزات المباركة كتكثير الطعام بين يديه ونبع الماء من بين أصابعه وانشقاق القمر وغيرها من المعجزات النبوية، والتصديق بكل ذلك والثناء عليه به ونشره في الناس، وتعليمه للصغار وتنشئتهم على محبته وتعظيمه ومعرفة قدره الجليل عند ربه عز وجل.

الحق الثامن من حقوقه -ﷺ- تجنب الغلو فيه والحذر من ذلك فإن في ذلك أعظم الأذية له -ﷺ-. قال تعالى آمرًا نبيه -ﷺ- أن يخاطب الأمة بقوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠]. وبقوله: ﴿

﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ [الأنعام: ٥٠].

فأمر الله نبيه -ﷺ- أن يقرر للأمة أنه مرسل من الله ليس له من مقام الربوبية شيء وليس هو بمَلَك إنما يتبع أمر ربه ووحيه. كما حذر النبي -ﷺ- أمته من الغلو فيه والتجاوز في إطرائه ومدحه. ففي صحيح البخاري من حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -عن النبي -ﷺ- أنه قال: « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله » [صحيح البخاري]. والإطراء: هو المدح بالباطل ومجاوزة الحد في المدح ذكره ابن الأثير. وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: جاء رجل إلى النبي -ﷺ- فراجعه في بعض الكلام فقال: ما شاء الله وشئت! فقال رسول الله -ﷺ-: « أجعلتني لله ندًّا بل ما شاء الله وحده » [رواه الإمام أحمد في المسند]. فالغلو في النبي -ﷺ- محرم بشتى صوره وأشكاله.

ومن صور الغلو في النبي -ﷺ-التي تصل إلى حدّ الشرك، التوجه له بالدعاء فيقول القائل: يا رسول الله افعل لي كذا وكذا. فإن هذا دعاء والدعاء عبادة لا يصح صرفها لغير الله. ومن صور الغلو فيه -ﷺ- الذبح له أو النذر له أو الطواف بقبره أو استقبال قبره بصلاة أو عبادة فكل هذا محرم لأنه عبادة وقد نهى الله عن صرف شيء من أنواع العبادة لأحد من المخلوقين فقال عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

إذا كان الغلو في النبي المصطفى محرم فكيف بمن يغالي في علي - رضي الله عنه - أو الحسين - رضي الله عنه - ويرفعهم إلى منزلة فوق النبيين والمرسلين بل فوق الملائكة.

إذا كان دعاء النبي -ﷺ- حرام فكيف بمن يدعون الحسين - رضي الله عنه -من

دون الله.

بل وصل الحال بأقوام يدعون محبة النبي -ﷺ- أن قالوا أن زيارة إلى قبر الحسين تعدل ثمانين حجة إلى بيت الله الحرام.

الحق التاسع من حقوق النبي -ﷺ- محبة أصحابه وأهل بيته وأزواجه

وموالاتهم جميعًا والحذر من تنقصهم أو سبهم أو الطعن فيهم بشيء فإن الله قد أوجب على هذه الأمة موالاة أصحاب نبيه وندب من جاء بعدهم إلى الاستغفار لهم وسؤال الله أن لا يجعل في قلوبهم غلا لهم. فقال بعد أن ذكر المهاجرين والأنصار: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠]. وقال تعالى في حق قرابة رسوله -ﷺ-وأهل بيته: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ [الشورى: ٢٣]. جاء في تفسير الآية: " قل لمن اتبعك من المؤمنين لا أسألكم على ما جئتكم به أجرًا إلا أن تودوا قرابتي ". وأخرج مسلم في صحيحه من حديث زيد بن أرقم - رضي الله عنه - أن رسول الله -ﷺ- قام خطيبًا في الناس فقال: « أما بعد ألا أيها الناس. فإنما أنا بشر. يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب فيه الهدى والنور. فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به ». فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: « وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي. أُذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي » [صحيح مسلم برقم (٢٤٠٨)]. فأمر النبي -ﷺ- بالإحسان إلى أهل بيته وأن يعرف لهم قدرهم وحقهم، لقربهم منه وشرفهم. كما أوصى النبي -ﷺ- بأصحابه خيرًا ونهى عن سبّهم وتنقصهم فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه -عن النبي -ﷺ- قال: « لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » [صحيح البخاري]. وقد كان من أعظم أصول أهل السنة التي اجتمعت عليه كلمتهم محبة أصحاب رسول الله -

ﷺ- وقرابته وأزواجه وما كانوا يعدون الطعن فيهم إلا علامة الزيغ والضلال. قال أبو زرعة: « **إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله فاعلم أنه زنديق** ». وقال الإمام أحمد: « **إذا رأيت رجلًا يذكر أحدًا من أصحاب رسول الله -ﷺ- (أي بسوء) فاتهمه على الإسلام** ».

أسأل الله بمنه وكرمه أن يحشرنا في زمرة محمدٍ وصحبه إنه ولي ذلك والقادر عليه. وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الحمد لله الجواد الكريم الشكور الحليم، أسبغ على عباده النعم ودفع عنهم شدائد النقم وهو البر الرحيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو الفضل العظيم، والخير العميم، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين وسلم تسليما.

وبعد

فإن من أعظم حقوق النبي عليه الصلاة والسلام علينا أن نتأدب معه بأبي هو وأمي وروحي، وأرجو ألا يظنن أحد أن التأدب مع النبي -ﷺ- كان في حضرته فقط! بل إن الأدب مع النبي -ﷺ- في حياته وبعد مماته واجب من أعظم الواجبات، يجب على كل من آمن بالله سبحانه وتعالى ورسوله -ﷺ- أن يتأدب مع الحبيب، تدبر معي بأننا لم نر نبياً من الأنبياء إلا وقد ناداه ربنا جل وعلا باسمه المجرد، إلا المصطفى -ﷺ-، وما ذكر الله اسم النبي مجرداً قط إلا مقترناً بصفة النبوة والرسالة: ﴿ **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ** ﴾ [الفتح: ٢٩].

أدب الصحابة مع النبي -ﷺ-

فهذا هو خطاب ملك الملوك وجبار السموات والأرض لنبينا وحبيبنا -ﷺ-؛ ليعلم الله جل في علاه الصحابة رضوان الله عليهم -بل وأهل الأرض جميعاً- كيف يتأدبون مع الحبيب؟ وكيف ينادونه؟ وكيف يتكلمون في حضرته؟ ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ** ﴾ [الحجرات: ٢]، إلى هذا الحد؟ نعم.

ثم يقول ربنا بعد ذلك: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحجرات: ٣]، وعاب ربنا جل وعلا على أولئك الذين ينادون الحبيب -ﷺ- من وراء حجراته: يا محمد! يا محمد! اخرج إلينا، اخرج إلينا، عاب الله عليهم ذلك وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحجرات: ٤-٥].

هذه دروس في التربية، دروس من رب العزة إلى الصحابة وإلى البشر جميعاً في التأدب مع رسول الله.

كيف كان الصحابة يتعاملون مع حبيب الله جل جلاله؟ كيف كانوا يتعاملون مع أكرم نفس خلقها ربنا تبارك وتعالى؟ روى البخاري عن ابن أبي مليكة قال: (كاد الخيّران أن يهلكا)، لارتفاع أصواتهما في مجلس رسول الله -ﷺ-، حينما أقبل على النبي -ﷺ- وفد بني تميم في عام الوفود، وكان في حضرة النبي -ﷺ- أبو بكر و عمر والصحابة رضوان الله عليهم، فأراد الصديق أن يختار النبي -ﷺ- على وفد بني تميم أميراً، وأراد عمر بن الخطاب أن يختار النبي على وفد بني تميم أميراً آخر.

فقال أبو بكر - رضي الله عنه - للنبي -ﷺ-: (يا رسول الله! أمّر عليهم القعقاع بن معبد).

وقال عمر - رضي الله عنه -: (لا يا رسول الله! بل أمر عليهم الأقرع بن حابس)، فالتفت الصديق إلى عمر، وقال له: ما أردت إلا خلافي يا عمر! فالتفت عمر إلى الصديق وقال: والله ما أردت خلافك يا أبا بكر! هذا هو الحوار كله دون

زيادة أو نقصان، فأنزل الله الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات: ٢].

قال الصديق رضوان الله عليه بعدما سمعها: (والله لقد آليت على نفسي- يا رسول الله! ألا أكلمك بعد اليوم إلا كأخي السرار) أي: كمن يكلم آخر بسر- لا يسمعه من بجواره، أما عمر فقد جاء في صحيح البخاري أن رسول الله -ﷺ- كان لا يكلم عمر بعد ذلك حتى يستفهمه لانخفاض صوت عمر.

انظر إلى الأدب! وانظر إلى الإجلال والتوقير من الصحابة رضوان الله عليهم للبشير النذير -ﷺ-.

وهناك صحابي آخر -وحديثه في الصحيحين- اسمه ثابت بن قيس رضوان الله عليه، ظن أن هذه الآية نزلت فيه! وكان ثابت بن قيس لا يسمع إلا بصعوبة، ومن المعلوم أن من يسمع بعسر يرفع صوته، ويخيل إليه أنه لا يسمع الآخرين إلا بنفس ما يريد أن يسمعوه به، فكان يرفع صوته، فحبس نفسه في البيت اختياراً، ففقده رسول الله -ﷺ- فقال: أين ثابت بن قيس؟ قالوا: يا رسول الله! نأتيك بخبره، وذهب أحد الصحابة إليه فأخبره، فقال: لقد حبط عملي، وحبط جهادي، وهذه الآيات قد نزلت فيّ؛ لأنني أرفع صوتي على رسول الله، فعاد هذا الصحابي الجليل إلى النبي -ﷺ- ليخبره بما قال ثابت، فقال له النبي --ﷺ--: « لا، بل ارجع إليه وقل له: لست منهم »، وبشره النبي -ﷺ- بالجنة، « قل له: يقول لك رسول الله: أنت لست منهم، ويبشرك رسول الله بالجنة ».

بل ستعجب -**أخي الحبيب**- إذا علمت أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا لا يجيبون على النبي -ﷺ- بما يعرفون خشية أن يخطئوا! ففي حجة الوداع سأل النبي -ﷺ- الصحابة وهم في منى -والحديث رواه البخاري و مسلم - فقال لهم: **(أيَّ يوم هذا؟** فقال الصحابة: الله ورسوله أعلم، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: **أليس يوم النحر؟** قالوا: بلى أي: نحن نعرف ذلك- لكن خشوا أن يجيبوا فيخطئوا، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «**أي شهر هذا؟** قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: **أليس ذا الحجة**؟ قالوا: بلى، قال عليه الصلاة والسلام: **أيُّ بلدٍ هذا؟** قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: **أليس البلد الحرام؟** قالوا: بلى، فقال -ﷺ-: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا** »، إنه الأدب الجم من أصحاب رسول الله لرسول الله -ﷺ-!

روى الإمام البخاري - رحمه الله - عن السائب بن يزيد - رضي الله عنه - أنه قال: كنت في المسجد -أي: المسجد النبوي- فحصبني رجل بحصاة -يعني رماني بحصاة في المسجد النبوي- قال: فنظرت فرأيت عمر بن الخطاب، فأشار إليّ فذهبت إليه، فقال عمر للسائب بن يزيد: ائتني بهذين الرجلين، وأشار له عمر على رجلين، فذهب السائب بن يزيد وطلب من الرجلين أن يحضرا إلى أمير المؤمنين - رضي الله عنه -، فسألهما عمر بن الخطاب وقال: من أين أنتما؟ قالا: من الطائف، قال: والله لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما، أترفعان الصوت في مسجد رسول الله؟ !»، فلا ينبغي لأحد أن يرفع الصوت أو أن يسيء الأدب أو أن يجهل في المسجد النبوي بعد موت رسول الله -ﷺ-، هذا لا يليق بأحد يحب الله ويحب الصادق رسول الله، فالتأدب مع النبي -ﷺ- في حياته واجب،

والتأدب مع النبي -ﷺ- بعد مماته واجب، بل ومع سنته: مع قوله، مع فعله، مع أمره، مع نهيه، مع حده.

أسأل الله جل وعلا أن يرزقنا التأدب مع نبينا وحبيبنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

من حقوق النبي -ﷺ- علينا إتباعه، وكل أحد من الناس يقول: أنا أحب الله، فالمرتشي يقول: أنا أحب الله. والعاصي يقول: أنا أحب الله.

فهل صدقوا في حبهم؟ ! لقد قال الله جل وعلا: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١]، فالله تبارك وتعالى يحب أهل الاتباع للنبي -ﷺ-فمن حق النبي -ﷺ- علينا أن نطيعه فيما أمر، وأن ننتهي عن كل ما نهى عنه النبي -ﷺ- وزجر.

وتدبر معي قول الله تبارك وتعالى وهو يبين هذين الحقين العظيمين للرسول -ﷺ- في آية واحدة جامعة، فيأمر الله سبحانه وتعالى ويقول: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ أمر، وهذا حجة على من ينكر سنة النبي عليه الصلاة والسلام ويقول: نحن يجب علينا أن نكتفي بالقرآن، ها هو القرآن يأمر الجميع أن يرجع إلى النبي -ﷺ- وإلى امتثال أمره: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧] أمر من الله سبحانه وتعالى، فالرسول عليه الصلاة والسلام له أمر وله نهي، وأمر الله سبحانه وتعالى أهل الإسلام وأهل الإيمان أن يمتثلوا أمر النبي -ﷺ-، وأن يجتنبوا نهيه، وأن يقفوا عند الحدود التي حدها -بأبي هو وأمي -ﷺ- فقال: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧].

فطاعة النبي -ﷺ- طاعة لربه العلي، ومعصية النبي -ﷺ- معصية لله، واقرأ معي قول الله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ هكذا، من يطع الرسول فقد أطاع الله، آية حاسمة: ﴿ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [النساء: ٨٠]، وقال جل وعلا: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٢]، ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾ [المائدة: ٩٢] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾ أي: احذروا أن لا تطيعوا أمره، واحذروا أن تخالفوه.

ويقول ربنا وتعالى في آية جميلة يلخص فيها ثمرة الطاعة لحبيبه -ﷺ-: ﴿ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النور: ٥٦]، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧١].

ومن أرق ما ثبت من الأحاديث الصحيحة ما رواه البخاري من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي -ﷺ- قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى»، فهل يوجد أناس يكرهون دخول الجنة؟ نعم بنص الحديث: « كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى »، (قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ !) فقال -ﷺ-: « من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى ».

المؤمن الصادق لا يتفلسف ولا يتحذلق ولا يأخذ ولا يعطي، إن جاءه الأمر من رسول الله -ﷺ- امتثل الأمر، وإن جاءه النهي من رسول الله -ﷺ- اجتنب النهي، وتدبر القرآن -ويا ليتنا نفهم القرآن ونعيش مع القرآن- يقول الله تبارك وتعالى في حق المؤمنين: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [النور: ٥١-٥٢]، وهذا هو

شعار المؤمن، أن يقول: سمعنا وأطعنا دون نقاش ولا حرج في أن يطلب من أهل العلم أن يفهموه وأن يعلموه، لكن لا يجوز له ألبتة أن ينكر وأن يرد الأمر والنهي بدعوى أنه لا يفهمه، لا.

أسأل الله أن يوفقنا لطاعته، وأن يجنبنا معصيته، ، إنه خير مسؤول، وصلى الله وسلم على الرسول وعلى آله وصحبه أجمعين.

حقوق زوجات النبي المصطفى

الحمد لله القائل: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ﴾، [الإسراء:٨١]وأشهد أن لا إله إلا الله لا شريك له القائل: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء:١٨].

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون صلوات ربي عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين وسلم تسليما.

وبعد

إن من حقوق سيدنا ونبينا محمد -ﷺ- تعظيم أزواجه أمهات المؤمنين واحترامهن وإكرامهن وتوقيرهن والدعاء لهن كيف وقد أثنى عليهن الله سبحانه وتعالى أثنى عليهن في كتابه فقال: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنْ النِّسَاءِ﴾ [الأحزاب:٣٢]،وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[الأحزاب:٣٣]، و زوجات النبي -ﷺ- داخلات في هذه الآية كذوي قرابته وقال سبحانه في بيان فضلهن وعظيم قدرهن وعظيم حقهن: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾[الأحزاب:٦]، أمهاتهم في الحرمة وفي وجوب الاحترام والإكرام والتوقير والإعظام فإن من توقير النبي -ﷺ- وتعظيمه واحترامه احترام عرضه وتوقير أهله وتعظيم أزواجه -ﷺ- فمن عظّمهن ووقرهن فبحبه للنبي المصطفى -ﷺ- وتوقيره له وتعظيمه له يفعل ذلك وقد أجمع العلماء بأن النبي -ﷺ- تزوج ودخل بإحدى عشر امرأة

عشر منهن: من العرب وواحدة من بني إسرائيل من ذرية النبي هارون عليه السلام، وقد ماتت اثنتان منهن في حياته -ﷺ- وهما خديجة بنت خويلد وزينب بنت خزيمة، وتوفي -ﷺ- عن تسع منهن: وهن سودة بنت زمعة، وعائشة بنت أبي بكر الصديق، وحفصة بنت عمر الفاروق، وهند بنت أبي أمية أم سلمة، وزينب بنت جحش، وجويرية بنت الحارث، ورملة بنت أبي سفيان التي هي أم حبيبة، وصفية بنت حيي التي هي من ذرية هارون عليه السلام، وميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنهن وأرضاهن فهؤلاء النساء الكريمات هن حلائل سيدنا ونبينا محمد -ﷺ- وأزواجه وهن أفضل النساء وأطيب النساء وأزكى النساء وأطهر النساء، كيف لا يكن كذلك وهن زوجات أطيب الخلق وأطهر الخلق وأفضل الخلق سيدنا محمد -ﷺ-،والله تعالى يقول في كتابه: ﴿الطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ [النور:٢٦]،اثنتان منهن اختارهم الله تبارك وتعالى لنبيه -ﷺ- الصديقة بنت الصديق عائشة بنت أبي بكر جاء جبريل إلى النبي -ﷺ- أتاه بصورتها في خرقة من حرير قبل أن يتزوجها والأخرى زينب بنت جحش التي قال الله سبحانه وتعالى فيها: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا﴾ [الأحزاب:٣٧]زوّجها الله تعالى لنبيه فكانت تفخر بذلك - رضي الله عنها - فتقول: «**أنت زوجّكن أهاليكن وأنا زوّجني الله تعالى من فوق سبع سماوات**».

هؤلاء هن أزواج النبي -ﷺ- وأزواجه أمهات المؤمنين أطيب النساء وأطهر النساء وأزكى الزوجات جعلهن الله أمهات المؤمنين لعظيم قدرهن وعظيم حقهن.

منزلة عائشة - رضي الله عنها -

أهل السنة أهل الإيمان أهل الصلاح يتولون أزواج رسول الله -ﷺ-أمهات المؤمنين ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة، ومن أعظم زوجات النبي قدراً و أعلاهن مكانة وأرفعهن شرفاً والصديقة بنت الصديق أُمنا عائشة بنت أبي بكر الصديق حبيبة حبيب الله الحصان الرزان الزوجة الصبورة الوفية العالمة الخلوقة، فكم لها من الفضائل الجمة فبأيها نبدأ؟

كم لها من المنازل العظيمة فكيف نصفها؟

أليست هي التي يقول عنها -ﷺ-: «**فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**»[متفق عليه].

أليست هي أحب الناس إليه فحين سُئل من أحب الناس إليك؟ قال: **عائشة**. قالوا ومن الرجال؟ قال: **أبوها**. وما كان سيدنا ونبينا -ﷺ- لا يحب إلا طيبا.

نشأت عائشة في بيت صدق وإيمان فأمها صحابيه وأختها صحابيه وأخوها صحابي ووالدها صديق هذه الأمة وعلامة قريش ونسبتها.

اختارها الله لنبيه حيث رآها في المنام كما جاء في الصحيحين ولفظ مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله -ﷺ-: «**أريتك في المنام ثلاث ليال جاءني بك الملك في سرقة(قطعة) من حرير فيقول هذه امرأتك فأكشف عن وجهك فإذا أنت هي فأقول: إن يك هذا من عند الله يمضه**»، فزوجه الله إياها.

وقد كانت نعم الزوجة لخير الأزواج أُعطيت حُسن خلق وخلق وفصاحة في اللسان ورزانة رأي ورصانة عقل وتحبب إلى بعل، إن غضبت لم يخرجها غضبها عن وقارها وأدبها وإنما تهجر مناداة النبي -ﷺ- باسمه محمد كناها النبي عليه والسلام بأم عبد الله وهي لم تلد له أخرج ابن حبان في صحيحه من حديث

عائشة أنها أحضرت إليه ابن الزبير ليحنكه فقال: **هو عبد الله وأنت أم عبد الله قالت: فلم أزل أكنى بها** ».

وكان النبي -ﷺ- يدللها ويقول:« **يا عائش هذا جبريل يقرئك السلام**»، فَقُلْتُ: وَعليه السلام ورحْمَةُ اللهَّ وبَرَكاتُه، تَرَى ما لا أَرى - تُرِيدُ رَسُولَ اللهَّ، ؛ [رواه الشيخان - البخاريُّ ومسلم]. وكان يناديها بالحميراء لحمرة في وجهها.

وعن أبي موسى الأشعريِّ - رضي الله عنه -قال: قالَ رسولُ اللهَّ -ﷺ-: «**كَمَلَ منَ الرِّجال كثيرٌ، ولم يَكْمُلْ منَ النِّساءِ إلاَّ مريمُ بنتُ عِمرانَ، وآسِيةُ امرأةُ فِرعونَ، وفضْلُ عائشةَ على النِّساءِ كفَضْلِ الثَّرِيدِ على سائرِ الطعام**»[صحيح البخاري].

كان يقول - -لعائشة - رضي الله عنها -: « **إني لأعلم إذا كنت عني راضية وإذا كنت علي غضبى** »، قالت عائشة: فقلت من أين تعرف ذلك؟ فقال: « **أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت غضبى قلتِ: لا ورب إبراهيم** »، هل يضره غضبها؟ لا. ومع ذلك لاحظ التلطُّف، قالت: فقلتُ: (بأبي أنت وأمي يا رسول الله، والله ما أهجر إلا اسمك).

و عن عائشةَ - رضي الله عنها - قالت: لَمَّا رأيتُ مِن النبي -ﷺ- طِيبَ النَّفْس قلت: يا رسولَ الله، ادعُ اللهَ لي، فقال: «**اللهمَّ اغفرْ لعائشةَ ما تقدَّم مِن ذنبِها وما تأخَّر، وما أسَرَّتْ وما أعْلَنتْ**»، فضحِكتْ عائشةُ حتى سقَط رأسها في حجْرِ رسولِ الله -ﷺ- من الضحِك، فقال: «**أيَسرُّكِ دُعائي؟** »، فقالت: وما لي لا يَسرُّني دعاؤك؟ ! فقال: «**واللهِ إنَّها لدَعْوَتي**»[أخرجه البزَّار في مسنده، وحَسَّنه الألباني].

أُمنا عائشة مُنحت ذكاءً وحفظاً ثاقباً قال ابن كثير: «**لم يكن في الأمم مثل عائشة في حفظها وعلمها وفصاحتها وعقلها** »، ويقول الذهبي: «**أفقه نساء الأمة على الإطلاق ولا أعلم في أمة محمد بل ولا في النساء مطلقاً امرأة أعلم منها**»، تجاوز عدد الأحاديث التي روتها (٢١٠٠)حديث ويقول عروة ابن الزبير:" ما رأيت أحداً أعلم لفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة - رضي الله عنها رضي الله عنه -.

كانت رضوان الله عليها مرجعاً لكبار الصحابة وكانت تفتي في عهد عمر و عثمان إلى أن ماتت رحمها الله وقد عاشت بعد النبي عليه الصلاة والسلام قرابة خمسين سنة.

أُمنا أم عبدالله عائشة رضوان الله عليها كان الوحي ينزل على رسول الله وهو في لحافها، وقبض رسول الله وهو بين سحرها ونحرها وجمع الله بين ريقه وريقها في آخر لحظات حياته -ﷺ- ودفن في بيتها.

نصرت دين الله فكانت تساعد أختها أسماء ذات النطاقين في تجهيز الطعام للنبي -ﷺ- وأبيها وهما في الغار عند الهجرة.

أُمنا عائشة كانت - رضي الله عنها - قوية في دين الله تعالى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتغضب لله عزوجل تقول أم علقمة بنت أبي علقمة رأيت حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر دخلت على عائشة وعليها خمار رقيق يشف عن جبينها فشقته عائشة عليها وقالت أما تعلمين ما أنزل الله في سورة النور؟ ثم دعت بخمار فكستها.

أُمنا عائشة كانت زاهدة لم يغرها كونها زوجة نبي، دخل عليها ابن عباس في مرضها ثم زكاها وذكر شيئا من فضائلها وأعمالها الصالحة فيا ترى ماذا

قالت؟ ! قالت: «**يا ابن عباس دعني منك ومن تزكيتك فو الله لوددت أني كنت نسياً منسيا**». فرضي الله عنك يا أُمنا وجمعنا بك في جنات النعيم.

أما عبادتها وزُهدها: فقد كانتْ أُمُّ المؤمنين كثيرةَ الصيام، حتى ضعُفت، كما جاء في السِّيَر للذهبي - رحمه الله -عن عبدِالرحمن بن القاسِم، عن أبيه: أنَّ عائشةَ كانتْ تصوم الدَّهْر كما كانتْ زاهدةً في الدنيا، فعَنْها قالت: «**ما شَبِع آلُ محمَّد يومَيْن من خُبزِ بُرٍّ إلا وأحدهما تَمْر**»[متفق عليه].

وعن عطاء: أنَّ معاويةَ بعَث إلى عائشةَ بقِلادةٍ بمائةِ ألْف، فقسمتْها بيْن أمَّهات المؤمنين، وعن عُروةَ، عن عائشة: أنَّها تصدَّقتْ بسَبْعِين ألفًا؛ وإنَّها لتُرقِّع جانبَ دِرْعها - رضي الله عنها -.

وعن أُمِّ ذَرَّة، قالت: بعَث ابنُ الزبير إلى عائشةَ بمالٍ في غِرَارتَيْن، يكون مائة ألْف، فدَعَتْ بطَبق، فجعَلتْ تقسم في الناس، فلمَّا أمسَت، قالت: هاتِي يا جاريةُ فُطوري، فقالت أُمُّ ذَرَّة: يا أمَّ المؤمنين، أمَا استطعتِ أن تشتري لنا لحمًا بدِرْهم؟ ! قالت: لا تُعنِّفيني، لو أذْكَرتني لفعلتُ.

أمنا أم عبد الله عائشة - رضي الله عنها - تعرّضت لبلاء عظيم ومحنة شديدة وآلام موجعة حيث قذفها المنافقون والسماعون لهم بعرضها واتهموها بشرفها وكعادة مقالة السوء من المنافقين وأعداء الله راحوا ينشرون الخبر وينسجون حوله الخزعبلات والافتراءات والتي تداعت إلى أذن رسول الله وأثرت في نفسه وانقطع الوحي شهرا كامل لماذا لتتميز الصفوف ويظهر صف المنافقين وقام النبي -ﷺ- في الناس خطيباً قائلا لهم ما بال أناس يؤذونني في أهلي ، وكان وقعها شديداً على أبيها أبي بكر وأمها أم رومان وجميع المسلمين وبكت أمنا بكاء وأي بكاء؟ ! لا يرقأ لها دمع ولا تكتحل بنوم حتى ظن أبواها أن البكاء فالق

كبدها وخرت مغشيا عليها فما استفاقت إلا وعليها حمى بنافض فألقت عليها أمها كل ثوب في البيت وغطتها وقد مكث النبي -ﷺ- -شهرا لم يوح إليه شيء في شأن عائشة وبعد مضي شهر من هذا البلاء العظيم نزل الوحي ببراءة عائشة - رضي الله عنها - فلما سري عن رسول الله -ﷺ- سري عنه وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها: « يا عائشة احمدي الله فقد برأك» وأنزل الله عز وجل ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ. . . . الآية﴾[النور:١١]العشر آيات كلها قال ابن كثير: (فغار الله لها وأنزل براءتها في عشر آيات تُتلى على الزمان فسما ذكرها وعلا شأنها لتسمع عفافها وهي في صباها، فشهد الله لها بأنها من الطيبات ووعدها بمغفرة ورزق كريم).

ومع هذه المنزلة العالية والتبرأة الربانية تتواضع وتقول: «ولشأني في نفسي- أهون من أن ينزل الله في قرآنا يُتلى ».

الله أكبر تواضع رفعها منزلة عالية وزادها شرفا إلى شرفها وآيات تتلى في محاريب المسلمين وصلواتهم إلى يوم القيامة تثبت براءتها على مر الزمان.

ورجع المنافقون بالخزي وانكشاف كذبهم وبهتانهم فالله من ورائهم محيط ويمكرون ويمكر الله وهو خير الماكرين وهو جل وعلا لدينه حافظ ولرسوله عاصم وللمؤمنين والمؤمنات ولي وناصر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنْ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[النور:١١].

فإن شأن النفاق والمنافقين لا يزال ينخر في جسد أمة الإسلام، وها هم ورثة النفاق في عصرنا الحالي يجاهرون بقذف أمنا عائشة بل الأدهى والأمر! أقاموا احتفالاً ومؤتمراً في يوم ذكرى موت أمنا عائشة فرحا بموتها وإعلاناً لشتمها وقذفها شلّ الله ألسنتهم.

فما أشد فرية الشيعة الرافضة على الطيبة المطيبة المبرأة من فوق سبع سماوات.

أيها المؤمنون بالله ورسوله:

أجمع علماء الإسلام قاطبة على أن من سب أُمنا عائشة - رضي الله عنها - ورماها بما برأها الله منه أنه كافر، وروي عن مالك بن أنس أنه قال: "من سب أبا بكر وعمر جُلد، ومن سب عائشة قُتل" قيل له لم يُقتل في عائشة؟ قال مالك: "فمن رماها فقد خالف القرآن ومن خالف القرآن قُتل". من سب أي واحدة من زوجات النبي -صلى الله عليه وسلم- فيه من الأذى لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما يوجب كفر فاعله وردته عن الإسلام فإن كل من آذى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقد كفر وارتد عن الإسلام قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً﴾[الأحزاب:٥٧]، وقد عُلم من أسلوب القرآن الكريم أنه لا يتوعد بالعذاب المهين إلا الكافرين لأنهم يلبثون في جهنم ولا يخرجون منها أبدا والعياذ بالله قال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة النبوية: "فُضّلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلتين: سئلت اليهود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، وسُئلت النصارى: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: حواريو عيسى، وسئلت الرافضة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد، أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم".

فهم يزعمون ردّة الصحابة إلا ثلاثة أو أربعة أو سبعة على اختلاف أساطيرهم، جاء في كتاب الكافي وكتاب الروضة عن أبي جعفر قال: كان الناس أهل الردة بعد النبي إلا ثلاثة، فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي كما يعتقد الشيعة أن أبا لؤلؤة المجوسي قد أسدى للإسلام خدمة عظيمة بقتله للفاروق، وأن الله تعالى سوف يثيبه أعظم

الجزاء لقيامه بهذا الأمر، ويتخذ الشيعة هذا اليوم عيدًا يحتفلون به ويتبادلون فيه التهاني، بل يزعمون أن اليوم الذي قتل فيه عمر من أجلّ الأيام السعيدة عندهم، وأن الله تعالى أمر الكرام الكاتبين أن يرفعوا القلم عن الخلق ثلاثة أيام يعملون ما شاؤوا من المنكرات والموبقات، فلا يكتبون عليهم شيئا، فلا حساب ولا عقاب، وهذا قليل من كثير، وما خفي أدهى وأطم وأعظم.

ولئن قال ربنا عن تلكم الفرية في زمن النبوة: ﴿لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾[النور:١١] فنحن نقول كلما علا صوت ورثة المنافقين بإحياء حادثة الإفك ﴿لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ فهذا الحدث كشف التقية المكذوبة وأبان عن زيف دين مبني على السب والشتم والتعرض لخير القرون وأمهات المؤمنين لعل ذلك يكون سببا في عودة بعض الرافضة لمذهب السنة ولعل أهل السنة يكونون أكثر حباً واقتداءً بصحابة رسول الله -ﷺ- ونُصرةً لهم ودفاعاً عنهم وإحياءً لقصصهم وسيرهم مع أولادنا و طلابنا وفي مساجدنا، ولعلنا نحيي عند نسائنا وبناتنا خصوصا السير العطرة لأمهات المؤمنين ينهلن من معينها ويجنين من رياضها علماً وحكمة وتربية على مشكاة النبوة وعلى الحياء والستر والعفة.

ولنقل كما قال حسان بن ثابت - رضي الله عنه -:

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء

أسأل الله بمنه وكرمه أن يقوي إيماننا وأن يرفع درجاتنا إنه ولي ذلك والقادر عليه. وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الحمد لله خالق الأكوان، ومقلّب الدهور والأزمان، أحمده سبحانه وأشكره، فحق للمنعم أن يشكر بكل لسان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أرجو بها الدرجات العلا من الجنان، وأشهد أن نبينا وحبيبنا وسيدنا محمدًا عبد الله ورسوله المصطفى بالرسالة والتكريم على الثقلين الإنس والجان، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على النهج واقتفى الخطى بإحسان.

حديثنا في هذه الدقائق مع حقوق صحابة النبي -ﷺ- وفضلهم.

الصحابة هم رؤوس الأولياء وصفوة الأتقياء وقدوة المؤمنين وأسوة المسلمين وخير عباد الله بعد الأنبياء والمرسلين. الصحابة شرّفهم الله بمشاهدة خاتم أنبيائه ورسله -ﷺ- وصُحبته في السراء والضراء، وبذلهم أنفسهم وأموالهم في الجهاد في سبيل الله عز وجل حتى صاروا خيرة الخيرة، وأفضل القرون بشهادة المعصوم -ﷺ-.

الصحابة هم خير الأمم، سابقهم ولاحقهم، وأولهم وآخرهم.

الصحابة هم الذين أقاموا أعمدة الإسلام بسيوفهم، وشادوا قصور الدين برماحهم، وأوصلوا دين الله إلى أطراف المعمورة شرقها وغربها ويمينها وشمالها.

الصحابة الكرام يكفيهم شرفاً ورفعةً وعزا أن الله من عليائه أثنى عليهم ورضي عنهم.

فقال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[التوبة: ١٠٠]. ، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً ﴾[الفتح: ١٨].

وفيهم يقول رسول الله -ﷺ-: ﴿لا يدخل النارَ أحد ممّن بايع تحت الشّجرة﴾ [رواه مسلم (١٦/ ٥٧، ٥٨) عن أم مبشر الأنصارية]

وقال عزّ وجلّ: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ اللهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمْ الصَّادِقُونَ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾[الحشر: ٩]

وقال تعالى في فضائلهم: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ اللهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمْ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾[الفتح: ٢٩]، فأثنى الله عليهم بشدتهم على الكفار وهم في ذلك يمتثلون قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنْ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ

مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[التوبة: ١٢٣]، وقد أثنى الله جل وعلا على من كان هذا شأنهم بقوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[المائدة: ٥٤]، ثم قال جل وعلا في وصف أصحاب محمد -ﷺ-: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾وهم بذلك يمتثلون قوله -ﷺ-: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»، وقوله -ﷺ-: «المؤمن للمؤمن كالبنيان بشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه»، ثم قال جل وعلا: ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾وهو السمت الحسن والخشوع والتواضع يبدو على وجوههم.

قال جل وعلا: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾ أي ما سبق ذكره من صفاتهم هي صفاتهم المذكورة في التوراة ثم قال تعالى: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾أي أخرج فراخه﴿ فَآزَرَهُ﴾ أي شده ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾أي شب وطال، ﴿فَاسْتَوَى﴾ على سوقه يعجب الزراع أي فكذلك أصحاب محمد آزروه وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطؤ مع الزرع ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ أي ليغيظ الله بالصحابة الكفار، ومن هنا انتزع الإمام مالك رحمة الله عليه القول بتكفير من يبغضون الصحابة - رضي الله عنهم -، قال - رحمه الله -: لأنهم يغيظونهم، ومن غاظه الصحابة فهو كافر.

إنهم نوع فريد من الرجال لم تعرف البشرية لهم نظيراً في تاريخها الطويل الممتد عبر الزمن.

لقد حاز الصحابة الكرام قصب السبق في كل شيء فهم قمة التقوى والورع، وآية في التجرد والإخلاص ومشاعل في العلم والعمل ونبراس في الدعوة والحركة.

فتحوا القلوب بعدلهم بالقرآن والإيمان. . والقرى بالجهاد والسنان.

بذلوا المهج يوم بخل أهل الدراهم بدراهمهم. هم لله –عزوجل– قلوباً وأبداناً ودماءً وأموالاً.

هم الرجال بأفياء الجهاد نموا ... وتحت سقف المعالي والندى وُلدوا

جباههم ما انحنت إلا لخالقها ... وغير من أبدع الأكوان ما عبدوا

الخاطبون من الغايات أكرمها ... والسابقون وغير الله ما قصدوا

عن أبي وائل قال: قال عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه –: «**إن الله تعالى اطلع في قلوب العباد فاختار محمداً –ﷺ– فبعثه برسالته، وانتجبه بعلمه، ثم نظر في قلوب العباد بعد، فاختار له أصحاباً فجعلهم أنصار دينه ووزراء نبيه –ﷺ–**».

فمن أضل ومن أظلم ومن أشقى وأتعس ممن يكون في قلبه غل على الصحابة الكرام خيار المؤمنين وسادات أولياء الله تعالى بعد النبيين.

قال أيوب السختياني – رحمه الله –: «**من أحب أبا بكر فقد أقام الدين، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله، ومن أحب علياً فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن قال الحسنى في أصحاب محمد –ﷺ– فقد برئ من النفاق**».

قال أبو زرعة الرازي – رحمه الله –: «**إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله –ﷺ– فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول –ﷺ– عندنا حق**

والقرآن حق، وإنما أدّى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله -ﷺ-، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة ».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -في العقيدة الواسطية: «ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله -ﷺ- كما وصفهم الله به في قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[الحشر: ١٠]، وطاعة النبي -ﷺ- في قوله: «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» [رواه البخاري ومسلم]. إلى آخر كلامه - رحمه الله -.

وقد بين - رحمه الله -أيضاً في كتابه القيم الصارم المسلول على شاتم الرسول: «**من زعم أن الصحابة ارتدوا أو فسقوا بعد النبي -ﷺ- فلا ريب في كفره لأنه مكذب لما نصه القرآن في غير موضع من الرضى عنهم والثناء عليهم بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين**».

هل هناك من يحكم على الصحابة بالردة نعم إنهم الرافضة يقولون إنهم ارتدوا ما عدا ثلاثة منهم.

بل يقول زعيم الرافضة في اليمن الهالك: كل بلاء وقع في الأمة وكل ظلم سببه الرئيس أبو بكر وعمر.

وقال أيضاً ما لعب بالدين إلا السلف.

ورحم الله القحطاني إذ يقول في نونيته:

قـــل إن خـــير الأنبيـــاء محمـــدٍ وأجـلّ مـن يمشي ـ عـلى الكثبـان
وأجلّ صحب الرسل صحب محمد وكـذاك أفضـل صـحبه العُمـران

إلى قوله:

لا تـــركنن إلى الـــروافض إنهـــم شـتموا الصـحابة دونـما برهـان
لُعنـوا كـما بغضـوا صـحابة أحمـد ووادهـم فـرض عـلى الإنسـان
حـب الصـحابة والقرابـة سـنة ألقـــى بهـــا ربي إذا أحيـــاني

الصحابة – رضي الله عنهم – هم صدارة هذه البشرية بعد الأنبياء والرسل تحقق فيهم – رضي الله عنهم – ما لم يتحقق في غيرهم منذ بدء الخليقة إلى قيام الساعة وعوامل الخير تجمعت فيهم ما لم يتجمع في جيل قبلهم، ولن يتجمع في جيل بعدهم، فهم بحق ذلك الجيل القرآني الفريد ولهذا كان لهم من الشرف والكرامة عند الله جل وعلا ما ليس لغيرهم لماذا هذا الشرف ولماذا هذه الكرامة؟ ذلك:

أولاً: لأنهم أخلصوا دينهم لله، وجردوا متابعتهم لرسول الله –ﷺ– على التمام والكمال ودافعوا عنه في جميع الأحوال هان عليهم في سبيل هذا الدين الأموال والأولاد والأرواح والدماء غادروا الأوطان وهى عزيزة عليهم راضين مختارين، تاركين ورائهم كل شيء، والعجيب في تضحية أولئك الرجال، أن مغادرتهم، وذهابهم كان إلى أراضٍ لا عهد لهم بها لا يعرفون شيء عن تلك البقاع التي ذهبوا إليها وذهبوا إلى أمم لا نسب ولا ألفة بينهم وبينها، ومكثوا وراء البحر في بلاد الحبشة سنين وأعواماً حتى أعز الله دينه ونصر جنده وأعلى كلمته.

خرجوا من مكة مهاجرين إلى المدينة، كل على قدر حاله وقوته إما سراً وإما إعلاناً.

وكان من جملة المهاجرين من مكة صهيب الرومي - رضي الله عنه -فاتبعه نفر من قريش فقالوا له: أتيتنا صعلوكا حقيرا فكثر مالك عندنا، فبلغت ما بلغت، ثم تنطلق بنفسك ومالك؟ ! والله لا يكون ذلك، فنزل عن راحلته وانتثل ما في كنانته ثم قال: «**يا معشر قريش لقد علمتم أني من أرماكم رجلا، وأيم الله لا تصلون إلي حتى أرمى بكل سهم معي في كنانتي ثم أضربكم بسيفي ما بقي في يدي منه شيء فافعلوا ما شئتم، فإن شئتم دللتكم على مالي وخليتم سبيلي**» قالوا: نعم ففعل، فلما قدم على النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**ربح البيع أبا يحيى ربح البيع**»، فنزل قوله تعالى: ﴿ **وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ** ﴾[البقرة: ٢٠٧].

هكذا كانوا - رضي الله عنهم - إذا طمع غيرهم في المال والمتاع جعلوه فداء لعقيدتهم.

الصحابة الكرام نالوا هذا الشرف والرفعة والثناء من رب العالمين.

ثانياً: لدفاعهم وذبهم - رضي الله عنهم - عن نبيهم واسترخاصهم كل شيء في سبيل ذلك فقد نوه الله - عز وجل - بذلك وسجله لهم في كتابه العزيز بقوله: ﴿**وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَاناً وَتَسْلِيماً * مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً** ﴾[الأحزاب: ٢٢-٢٣].

ولقد حفظت لنا كتب السيرة والتواريخ ما أجاب به المهاجرون والأنصار النبيّ -صلى الله عليه وسلم- من القول الدال على عظيم استجابتهم لله ولرسوله عندما

استشارهم صلوات الله وسلامه عليه في غزوة بدر لما لاقوا العدو على غير ميعاد وغير استعداد فقد قام فيهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه خطيباً فقال: «**أشيروا على أيها الناس**» فقام الصديق فقال وأحسن القول، ثم قام عمر فقال وأحسن القول، ثم المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنوا إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك دونه حتى تبلغه، ثم قام سعد بن معاذ فقال: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: «**أجل**» قال: فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبرٌ في الحرب، صدقٌ في اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسِر على بركة الله، فسرّ رسول الله -ﷺ- ثم قال: «**سيروا وابشروا فإن الله تعالى وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم**» [السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٦١٤ - ٦١٥، تاريخ الأمم والملوك ٢/ ٤٣٤ - ٤٣٥]

وإذا تأمل الإنسان مساومة قريش لزيد بن الدثنة عندما أخرجته قريش من مكة لتقتله في الحل بعد أن أُسر هو وخبيب بن عدى يوم الرجيع رأى صلابة الصحابة في الدين وحبهم للنبي -ﷺ- ولتملّكه العجب كما تملّك أبا سفيان بن حرب فإنه قال لزيد بن الدثنة عندما قدم ليقتل: أنشدك الله يا زيد أتحب أن محمداً عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك؟ قال: والله ما أحب أن

محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه، وأنى جالس في أهلي قال: يقول أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمدٍ محمداً [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٧٢، وانظر تاريخ الطبري ٢/ ٥٤٢، أيام العرب في الإسلام].

وليس هذا التفاني والإخلاص أحرزه الرجال دون النساء والشبان بل كانوا جميعاً سواء، يتسابقون في مرضاة الله ورسوله ويتهافتون على حياض الموت في سبيل الله، ففي إثر وقعة أحد التي أثخنت جراحها المسلمين، وفقدوا عظماء فيها من كبارهم وفضلائهم مرّ سيد الأولين والآخرين بامرأة من بني دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله -ﷺ- بأحد، فلما نعوا لها قالت: فما فعل رسول الله -ﷺ-؟ قالوا: خيراً يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين قالت: أرونيه حتى أنظر إليه فأشير لها إليه حتى إذا رأته قالت: **كل مصيبة بعدك جلل!** تريد صغيرة.

الصحابة الكرام نالوا هذا الشرف والرفعة والثناء من رب العالمين.

ثالثاً: لبذلهم للمال والمتاع فلم تشهد الأرض في مسيرة بني آدم الطويلة عليها أن توارث قوم فيما بينهم من غير قرابة ولا رابطة دم وعن طواعية واختيار ورضاً إلا في أصحاب رسول الله -ﷺ-، ولم تتفجر ينابيع السخاء والكرم في أمة من الأمم كما تفجرت في جيل الصحابة الكرام الذين استظلوا براية الإسلام وشرفوا بتربية سيد الأنام ولذلك استحقوا ثناء الله عز وجل الذي تتلوه الألسنة على الدوام وعلى ممر السنين والأعوام: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى**

أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾[الحشر: ٩]

وقال تعالى: ﴿لَكِنْ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ * أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[التوبة: ٨٩]

إن الصحابة الكرام - رضي الله عنهم - هم أعلام الفضيلة، ودعاة الهداية، الذين حملوا نور الإسلام في أنحاء المعمورة وأنقذوا به البشرية من أغلال الوثنية، سهروا من أجل تبليغ كلمة الله ونشرها الليل والنهار دون ملل أو كلل بل كانوا كما أخبر الله عنهم فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما وضعوا وما استكانوا. لم يميلوا إلى دعة ولا أخلدوا إلى راحة ولم تغرهم الحياة الدنيا بزخارفها، ضحوا بكل غال ورخيص لكي يخرجوا العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

حرصوا - رضي الله عنهم - على ملازمة النبي -صلى الله عليه وسلم- حتى أخذوا عنه الكتاب والسنة واجتهدوا في حفظهما وفهمهما فهماً متقناً، ثم بلغوهما إلى من جاء بعدهم كما تلقوهما عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من غير زيادة ولا نقصان ولا تحريف ولا تبديل، فهم الواسطة بين الرسول -صلى الله عليه وسلم- وبين من جاء بعدهم من الأمة، فمن قدح في تلك الواسطة فقد قدح في الدين، إذ القدح في الناقل قدح في المنقول.

أسأل الله بمنه وكرمه أن يحشرنا في زمرة محمدٍ وصحبه إنه ولي ذلك والقادر عليه. وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

حقوق الصحابة(٢)

الحمد لله الذي تفرّد بالخلق فكلّ من في السماوات والأرض لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ولا فَراشا، نشكره إذ رفع السماء لعباده سقفا مبنيا، ومهّد الأرض بساطا لهم وفِراشا. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كوّر الليل على النهار فجعل الليل لباسا، وجعل النهار معاشا، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله ، الذي يُصْدِر المؤمنون عن حوضه رِواءً بعد ورودهم عليه عطاشا. صلى الله عليه، وعلى آله وأصحابه، وسلم تسليما كثيرا.

وبعد. . .

لا زلنا وإياكم مع الصحابة الكرام حقوقهم وفضلهم.

لا زلنا وإياكم مع من مدحهم خالقهم ورازقهم فقال عنهم: ﴿ لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[التوبة: ١١٧]وقال عنهم: ﴿يَوْمَ لا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[التحريم: ٨]

لا زلنا وإياكم مع الصحابة الذين هم صفوة خلق الله تعالى بعد النبيين عليهم الصلاة والسلام قال تعالى: ﴿قُلْ الْحَمْدُ للهِ وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى أَاللهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. قال ابن عباس هم أصحاب محمد-ﷺ-.

عُبّـاد ليـلٍ إذا جـنّ الظـلام بهـم كـم عابـدٍ ودمعـه في الخـد أدراه
وأُسْـد غـابٍ إذا نـادى الجهـاد بهـم هبّـوا إلى المـوت يسـتجدون لقيـاه
يـا رب فابعـث لنـا مـن مـثلهم نفـرا يُشـيدون لنـا مجـداً أضـعناه

إنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح أولها ما كان عليه محمد -ﷺ- وصحبه.

إن النصر لبعيد ما دمنا بعيدين عن نهج محمد وصحبه، وإن النصر لبعيد حين تدمر النفوس ويهان المخلصون، ويرفع المجرمون إلى مرتبة الأتقياء، ولا يسمع الناصحون، فهل تنفع عندها تلك الطاقات.

أخي الحبيب: انك حين تُقلّب صفحات التاريخ لن تجد مثيلا لتلك المواقف الرائعة التي سطرها الصحابة الكرام فداءً لنبيهم عليه الصلاة والسلام وتضحية من أجل إعلاء كلمة الله عزوجل

واليكم أمثلة من ذلك:

أول ما سنذكره ذلك الموقف الرائع لصاحب تلك الشخصية الرائعة الصديق أبي بكر - رضي الله عنه - وذلك لما اجتمع لما اجتمع أصحاب النبي -ﷺ- . وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً . ألحّ أبو بكر على رسول الله -ﷺ- في الظهور، فقال:

. «**يا أبا بكر إنَّا قليل**». فلم يزل أبو بكر يلحّ حتى ظهر رسول الله -ﷺ- وتفرق الأخوة في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته. وقام أبو بكر في الناس خطيباً ورسول الله -ﷺ- جالس، فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسول الله -ﷺ- وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين، فضُربوا في نواحي المسجد ضرباً شديداً، ووطىء أبو بكر وضُرب ضرباً شديداً، ودنا منه الفاسق عتبة بن

ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرِّفهما لوجهه، ونزا على بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه. وجاء بنو تَيْم يتعادَون فانقذوا أبا بكر من المشركين، وحملت بنو تَيْم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه، منزله ولا يشكُّون في موته. ثم رجعت بنو تَيْم فدخلوا المسجد وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلنَّ عتبة بن ربيعة، فرجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو قحافة وبنو تَيم يكلِّمون أبا بكر حتى أجاب، فتكلَّم آخر النهار فقال:

ـ ما فعل رسول الله؟ ، ثم قاموا لأمه أم الخير:

ـ أنظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه فلما خلت به ألحَّت عليه، وجعل يقول:

« **ما فعل رسول الله** -ﷺ-». . ؟ فقالت: ـ والله مالي علمٌ بصاحبك. فقال: «**إذهبي إلى أمِّ جميل بنت الخطّاب فاسأليها عنه**». فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت: ـ إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله.

فقالت: ـ ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى إبنك.

قالت: ـ نعم. فمضيت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دَنِفاً أي مشرف على الموت من شدة ما وقع عليه ، فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت: ـ **والله إنَّ قوماً نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر، وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم**. قال: « **فما فعل رسول الله** -ﷺ-». ؟

قالت: ـ هذه أمك تسمع.

قال: ـ فلا شيء عليك منها. قالت: ـ سالم صالح. قال: ـ أين هو؟ قالت: ـ في دار ابن الأرقم.

قال: «**فإن لله عليَّ أن لا أذوق طعاماً ولا أشرب شراباً أو آتي رسول الله** - ﷺ -.

فأمهلتا حتى إذا هدأت الرجل وسكن الناس، خرجتا به يتكىء عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله -ﷺ-، فأكبَّ عليه رسول الله -ﷺ- فقبله، وأكب عليه الأخوة، ورقَّ له رسول الله -ﷺ- رقَّة شديدة. فقال أبو بكر: « **بأبي وأمي يا رسول الله، ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي**».

أي محبة تدفع الصدّيق إلى أن لا يذوق طعاماً ولا شراباً وهو في أمس الحاجة إليهما حتى يرى رسول الله -ﷺ- إنه الإيمان الصادق والمحبة الخالصة.

وها هو الفاروق عمر - رضي الله عنه - يعلل سبب تسميته بهذا اللقب الرائع فقد روى مجاهد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - انه قال لما أسلم عمر كبّر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد وقال: يا رسول الله ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟ قال: **بلى والذي نفسي بيده**، قال ففيم الاختفاء والذي بعثك بالحق لتخرجن. قال عمر فأخرجناه في صفين حمزة في أحدهما وأنا في الآخر له كديد ككديد الطحين حتى إذا دخلنا المسجد نظرت قريش إلى حمزة وعمر فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها قال فسماني رسول الله -ﷺ- يومئذ الفاروق وفرّق الله بي بين الحق والباطل. قال ابن مسعود - رضي الله عنه -: «**ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر**».

وفي غزوة تبوك تتجلى لنا عدد من المواقف الرائعة في البذل والسخاء من الصحابة الكرام، وكان من ابرز المنفقين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - حيث أعطى وانفق في تجهيز جيش العسرة ما لم ينفقه احد قال -ﷺ-: «**من يجهّز جيشَ العسرة وله الجنّة؟** » فقام عثمان وطرَح تجارته كلَّها التي جمعها من صِباه بين يدَي النبي -ﷺ- وقال: أنا أجهّز جيشَ العسرة يا رسول الله فقال: يا رسول الله، عليّ

مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثم حضّ رسول الله على جيش العسرة مرة أخرى، فقال: يا رسول الله، عليّ مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثم حضّ رسول الله على الجيش، فقال عثمان: يا رسول الله، عليّ ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، فنزل رسول الله -ﷺ-وهو يقول: «**ما على عثمان ما عمل بعد اليوم**».

وهو الذي اشترى بئر رومة حيث قال رسول الله -ﷺ-: «**من يشتريها من خالص ماله فيكون دلْوُه فيها كدلاء المسلمين وله خير منها في الجنة**؟ » قال عثمان: فاشتريتها من خالص مالي.

وفي ليلة الهجرة النبوية الشريفة عهِد الرسول -ﷺ- إلى ابن عمه البطل الهمام والأسد الضرغام علي في أن ينام على فراشه، وهو يعلم أن سيوف المشركين تستعد للانقضاض على النائم فوق هذا الفراش، يتغطى ببردته، في الليلة التي اجتمع فيها شياطين الكفر والغدر، ليفتكوا برسول الله، ويالها من نومة تحيطها المخاوف والأهوال، ولكن: ﴿ **فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** ﴾ [يوسف: ٦٤].

وكان أبو طلحة - رضي الله عنه - يقول لرسول الله -ﷺ-يوم أحد: نحري دون نحرك.

وفي طلب الشهادة: دخل عمر المسجد والنعمان بن مقرن يصلي فقعد إلى جنبه فلما قضى صلاته، قال: إني أريد أن أستعملك، فقال النعمان: أما جابياً فلا ولكن غازيا، قال عمر: فأنت غاز فوجهه إلى أصبهان، فلما وصل وجمع جنده قال لهم: إني هاز لوائي ثلاث مرات، فأما الهزة الأولى: فيقضي الرجل حاجته ويتوضأ، وأما الثانية: فينظر الرجل في سلاحه وفي نعله فيصلحه، وأما الثالثة: فاحملوا على

العدو وإني داع بدعوة فعزمت على كل امرئ منكم لما أمّن عليها: اللهم إني أسألك أن تقر عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام وذل يذل به الكفار ثم اقبضني إليك بعد ذلك على الشهادة، أمّنوا يرحمكم الله. فأمّنا وبكينا. [حياة الصحابة، مجلد ص ٤٩٧ - ٤٩٨].

وأخذ النبي -ﷺ- في غزوة بدر يُعدّل الصفوف بقدح في يده فضرب بطن سواد بن غزية وقال: «**استو يا سواد**» فقال سواد: يا رسول الله، أوجعتني، فأقدني، فكشف عن بطنه وقال: «**استقد**» فاعتنقه سواد، وقبّل بطنه، فقال: «**ما حملك على هذا يا سواد؟**» قال: يا رسول الله، قد حضر ما ترى، فأردت أن يكون آخر العهد بك، أن يمس جلدي جلدك، فدعا له رسول الله بخير. [رواه ابن إسحاق في سيرته. سيرة ابن هشام (٢/ ٦٢٦).]

بالله عليكم إخوة الإيمان حدثوني عن أصحاب دين افتدوه بمثل هذه البطولات.

كنا جبالاً في الجبال وربما صرنا على موج البحار بحاراً
بمعابد الإفرنج كان آذاننا قبل الكتائب يفتح الأمصارا
لن تنس أفريقيا ولا صحراؤها سجداتنا والأرض تقذف نارا

هؤلاء هم صحابة النبي المصطفى وقفنا مع جزء يسير من مواقفهم وبطولاتهم و نماذج دالة، والسيرة ملأى بما يرفع الهمم، ويذكر العزائم من قصص هؤلاء الصحابة الأبرار.

ومع هذا الفضل هناك من يطعن في عدالة هؤلاء الصحابة الكرام.

إنهم الرافضة يطعنون في الصحابة رضوان الله عنهم أجمعين، فقد وقفوا من الصحابة موقفًا لم ترضه اليهود في أصحاب موسى، ولا النصارى في أصحاب

عيسى، فلقد اجترؤوا على الصحابة الكرام وتناولوهم بالطعن والقدح، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة النبوية: "فضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلتين: سئلت اليهود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، وسئلت النصارى: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: حواريو عيسى، وسئلت الرافضة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد، أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم".

فهم يزعمون ردّة الصحابة إلا ثلاثة أو أربعة أو سبعة على اختلاف أساطيرهم، جاء في كتاب الكافي وكتاب الروضة عن أبي جعفر قال: كان الناس أهل الردة بعد النبي -ﷺ- إلا ثلاثة، فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي.

وقد صبّ الروافض جام غضبهم وحقدهم الدفين وغلِّهم الخبيث على الصحابيين الجليلين أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - وابنتيهما أمهات المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق وحفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أجمعين، وجعلوا من أهم عقائدهم تكفيرهم، وهم يتقربون إلى الله بسبهم والطعن في أعراضهم، جاء في كتاب الصراط المستقيم (٢/ ٨٨): "من شروط الإسلام عندهم البراءة من الشيخين" أي: أبي بكر وعمر، وفي (ص٩٥) من نفس الجزء: "إن الشيخين عند الرافضة أولاد زنا"، وفي (ص٣٣٣): "يقولون: الأول والثاني - يعني الشيخين - عليهما لعائن الله كلها كانا والله كافرين مشركين بالله العظيم"، وفي (ص٣٤٣) من نفس الجزء: "أبو بكر وعمر وعثمان عندهم هم العجل وفرعون والسامري"، وفي كتاب بصائر الدرجات (ص٢٧٤): "إن

أئمتهم حينما يرمون الجمرات في الحج فإنهم إنما يرمون أبا بكر وعمر، وهم يقولون أيضا: أبو بكر وعمر وعثمان عندهم هم كلاب الجحيم وخنازيرها".

وفي الأنوار النعمانية لنعمة الله الجزائري (٢/ ٢٧٨): "إنا لا نجتمع معهم - أي: أهل السنة - على إله ولا على نبي ولا على إمام، وذلك أنهم يقولون: إن ربهم الذي كان محمد نبيّه وخليفته بعده أبو بكر، ونحن لا نقول بذلك الرب ولا بذلك النبي، بل نقول: إن الرب الذي خلق خليفة نبيه أبا بكر ليس ربنا ولا ذلك النبي نبينا". وفي الأنوار النعمانية (١/ ٥٣) يقول كاتبهم: "ولا تعجب بهذا فقد روي في الأخبار الخاصة أن أبا بكر كان يصلي خلف النبي -ﷺ-والصنم معلّق في عنقه وسجوده له"،

بل ولهم دعاء من صفحتين تقريبا ليس فيه سوى اللعن والسب للصحابيين الجليلين وابنتيهما - رضي الله عنهم -، وقد وضعوا لهذا الدعاء فضائل لا ينالها حتى من يبيت قائما ويصبح صائما ويختم القرآن في يومه، يقولون: هذا الدعاء رفيع الشأن عظيم المنزلة الداعي به كالرامي مع النبي في بدر وأحد وحنين بألف ألف سهم، وكأنهم استقلوا هذا الفضل فزادوا أن من دعا الله به في الصباح لم يكتب له ذنب حتى المساء، ومن دعا به في المساء لم يكتب عليه ذنب حتى الصباح، وإليكم جزءاً من هذا الدعاء لتعلموا مدى حقد الرافضة على أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - : «اللهم العن صنمي قريش وجبتيها وطاغوتيها وإفكيها وابنتيهما، اللهم العنهما وأنصارهما وعظّم ذنبهما وخلدهما في سقر، اللهم العنهم بعدد كل منكر أتوه وحق أخفوه ومنبر علوه ومنافق ولّوه، ...إلى آخر افتراءاتهم وخزعبلاتهم .

ولم يقف بغضهم عند هذا الحد، بل ذكروا في كتبهم أن الله خلقا طيورا تعيش على لعن أبي بكر وعمر، ومتى توقفت عن اللعن ماتت، كما يعتقد الشيعة أن أبا

لؤلؤة المجوسي قد أسدى للإسلام خدمة عظيمة بقتله للفاروق، وأن الله تعالى سوف يثيبه أعظم الجزاء لقيامه بهذا الأمر، ويتخذ الشيعة هذا اليوم عيدًا يحتفلون به ويتبادلون فيه التهاني، بل يزعمون أن اليوم الذي قُتل فيه عمر من أجلّ الأيام السعيدة عندهم، وأن الله تعالى أمر الكرام الكاتبين أن يرفعوا القلم عن الخلق ثلاثة أيام يعملون ما شاؤوا من المنكرات والموبقات، فلا يكتبون عليهم شيئا، فلا حساب ولا عقاب، وهذا قليل من كثير، وما خفي أدهى وأطم وأعظم.

ألم يسمعوا هؤلاء وأمثالهم قول النبي -ﷺ- كما روى الترمذي عن عبد الله بن مغفل قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: « **الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني، فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه**» [رواه أحمد (د/ ٨٧)، (٥/ ٤٥، ٥٧) في المناقب باب من سب أصحاب النبي وعبد الرحمن بن زياد قال الذهبي لا يعرف ومع ذلك فقد صححه ابن حبان (٢٢٨٤) وحسنه الترمذي - شرح السنة (١٤/ ٧١) تحقيق شعيب الأرناؤوط].

من حقوق صحابة النبي -ﷺ-:

أولاً: أن نحبّهم ولا نفرّط في حبّ أحدٍ منهم، ولا نتبرّأ من أحدٍ منهم، ولا نذكرهم إلا بالخير.

ثانياً: نشهد لجميع المهاجرين والأنصار بالجنّة والرضوان والتّوبة والرحمة من الله. **ثالثاً**: يجب أن يستقرَّ علمك وتوقِن بقلبك أنّ رجلاً رأى النبيّ وشاهده وآمن به واتّبعه ولو ساعة من نهار أفضل ممّن [لم] يرَه ولم يشاهده.

رابعاً: التّرحّم على جميع أصحاب رسول الله صغيرهم وكبيرهم أوّلِهم وآخرهم.

خامساً: ذكر محاسنِهم ونشر فضائلهم والاقتداء بهديِهم والاقتفاء لآثارهم، نكفّ عمّا شجر بين أصحاب رسول الله، فقد شهدوا المشاهدَ معه، وسبقوا النّاس بالفضل، غفر الله لهم، وأمر بالاستغفار لهم والتقرّب إليهم وبمحبّتهم فلا يتتبّع هفواتِ أصحابِ رسول الله وزللَهم إلاّ مفتون القلبِ في دينه.

أسأل الله بمنه وكرمه أن يحشرنا في زمرة محمدٍ وصحبه إنه ولي ذلك والقادر عليه. وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الحمد لله الذي أحصى كل شيء عددا، ورفع بعض خلقه على بعض فكانوا طرائق قددا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ولم يكن له شريك في الملك ولم يتخذ صاحبةً ولا ولدا، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، أكرم به عبدا سيّدا، وأعظم به حبيباً مؤيّدا، فما أزكاه وأطهره مضجعاً ومولِدا، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه نجوم الاهتدا وأئمة الاقتِدا، صلاةً وسلاماً خالداً مؤيدا.

إن الله يصطفي من يشاء ويختار من يشاء ويختص برحمته من يشاء، ألا فتأملوا أيُّها الأخوة، فكثيرٌ من سلالة إبراهيم الخليل غدَوا أنبياء، وأصحابُ عيسَى صاروا حواريِّين، ورِفاق محمّدٍ شرفوا بالصُّحبة، وأزواجُه أمّهات للمؤمِنين، ونسلُه استَحَقّوا وصفَ الشَّرَف والسِّيادة، كيفَ لا وفيهم من دِمائه دم، ومِن روحِه نَبض، ومِن نوره قَبَسٌ، ومِن شذاه عَبَقٌ، ومِن وجوده بَقِيّة، صلّى الله عليه، وصلّى على آلِه وأزواجِه، وصلّى على صحابَتِه، وسلّم تسليمًا كثيرًا.

وبعد. .

نعيش مع حقوق آل بيت النبي -ﷺ-.

نعيش مع حقوق آل بيت النبي -ﷺ- يوم أن فُقد نفَذ من هذا البابِ من استغلَّه وتاجر به واستخدَمَه وعلى مَرِّ التاريخ الطويل وتحتَ شِعار محبّة آل البيت والانتصار لهم برَزَت مطامعُ سياسيّة وأخرى ماديّة، وصُفِّيَت ثاراتٌ عِرقيّة

عُنصريّة، واندسَّ موتورون بهذا الدين، شانِئون له، مبغضون لأهله، يهدمون أساسَه، ويَبغون اندِراسَه، حتى غُيِّرَت معالِمُ الدين، وشُوِّهَت الشريعة، وبُدِّلَت العَقيدة، ونَبَتَت الفُرقة، وثارَ غبارُ النزاع والشِّقاق، فطالوا أهَمَّ ما فيه وهو التوحيد، ثم كَرُّوا على أهمِّ مَسائل العقيدةِ فحرَّفوها، ثم أخذوا يعيثون فَسادًا في بقيَّة شرائع الدين، وتحتَ شِعار محبّة آل البيت والانتصار لهم أطاعوا شيوخَهم في التحليل والتحريم بلا هُدى؛ حتى صاروا كمَن قال الله فيهم: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

وتحتَ شِعار محبّة آل البيت والانتصار لهم عظَّموا المشاهدَ، وعطَّلوا المساجِد، ناهيك عن أكلِ أموال الناسِ بالباطل واستحلالِ فروج الحرائر وتكفيرِ عموم الأمّة وكَنِّ العداوةِ والبغضاء للعَرَب الذين هم مادّةُ الإسلام وأصلُ الإسلام، كلُّ هذا يحدُث ويكون تحت لافِتات النصرةِ لآل البيت. ومُحَصِّلةُ الأمرِ كلِّه تمكُّن مُندَسّين في تغييرِ عقائدِ الإسلامِ الرّاسِخة وشرائِعِه الثابِتَة وشعائِرِه الظاهِرَة لدى جماعةٍ من المسلِمين باسمِ آل البيت ومحبَّة آل البيت وال البيت الأتقياء البررة منهم براء.

نعيش وإياكم مع حقوق آل بيت النبي -ﷺ-.

نعم إخوة الإسلام فقد أوجب الله لأهل بيت نبيه -ﷺ- حقوقًا، وخصّهم بفضائل، وقد ظهر الفرق جليًا بين أهل السنة وبين مخالفيهم في تلقيهم لهذه الحقوق والفضائل، فأهل السنة أقروا بها وقاموا بها دون أي غلو أو تفريط، أما مخالفوهم فقد كانوا على طرفي نقيض في هذا، فمنهم من زاد على هذه الحقوق أشياء حتى بلغ بأصحابها منزلة رب العالمين، ومنهم من تركها واعترض عليها، حتى جعل أصحابها في منزلة الظالمين الكافرين.

إخوة الإسلام، إن أعظم ما يحصله العبد في دنياه وآخرته هو محبة الله تعالى له، فهي الغاية التي يتنافس فيها المتنافسون، وإليها شخص العاملون، وإلى علمها شمّر الصادقون، فهي جنة الدنيا ولذة القلب وقوته وحياته، فالقلب لا يفلح ولا يصلح ولا يتنعم ولا يبتهج ولا يلتذ ولا يطمئن ولا يسكن إلا بمعرفة الله تعالى ومحبته، فمحبة العبد لربه ومحبة الله لعبده هي النور والشفاء والسعادة واللذة، تالله لقد ذهب أهل المحبة بشرف الدنيا والآخرة.

اللهم اجعلنا ممن تحبهم ويحبونك.

إن من محبة الله وطاعته محبة رسوله وطاعته، ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**» [صحيح البخاري ح (١٥)، صحيح مسلم ح (٤٤).].

ومن علامات محبته محبة من أحبّ، وطاعة من أمر بطاعته.

ومن ذلك محبه آل بيته، فمنهم آل بيته -ﷺ-؟ إنهم من تحرم الصدقة عليهم من بني هاشم من آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: أخذ الحسن بن علي - رضي الله عنهما - تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال النبي -ﷺ- : «**كِخْ، كِخْ**» ليطرحها، ثم قال: «**أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة؟ ! **» [البخاري]، وفي رواية لمسلم: «**إنا لا تحل لنا الصدقة**» [مسلم].

ويدخل في آل بيته نساؤه رضي الله عنهن، قال الله تعالى: ﴿ **النَّبِي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**﴾ [الأحزاب: ٦]. جمهور الشيعة يرون أن المراد بأهل البيت هم أصحاب الكساء الخمسة، وهم محمد -ﷺ- وعلي

وفاطمة والحسن والحسين - رضي الله عنهم -، وقد زادت الجعفرية على أصحاب الكساء بقية الأئمة الاثني عشر، مع أنه لم يرد لهم في حديث الكساء أي ذكر.

وهم يرون عدم دخول أمهات المؤمنين في مسمى آل البيت.

مع أنه جاء في رواية مسلم وأبي داود عن أبي حميد الساعدي أنهم قالوا: يا رسول الله، كيف نصلي عليك؟ قال: «**قولوا: اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد**».

قال ابن القيم - رحمه الله -: «فجمع بين الأزواج والذرية والأهل، وإنما نص عليهم بتعيينهم ليبين أنهم حقيقون بالدخول في الآل، وأنهم ليسوا بخارجين منه، بل هم أحق من دخل فيه».

من أصول أهل السنة والجماعة أنهم يحبون آل بيت رسول الله، ويحبونهم لأمرين: لإيمانهم بالله، ولقرابتهم من رسول الله، ولا يكرهونهم أبدأ. و لا يقولون كما قال الرافضة: إن كل من أحب أبا بكر وعمر فقد أبغض عليًا، وكأن أبا بكر وعمر أعداء لعلي بن أبي طالب، مع أنه تواتر النقل عنه - رضي الله عنه - أنه كان يثني عليهما على المنبر، بل قال: «**والله، لا يزعم أحد أنني أفضل من أبي بكر وعمر إلا جلدته حدَّ الفرية**».

فنحن نقول أيها الناس: إننا نُشهد الله على محبة آل بيت رسول الله وقرابته، نحبهم لمحبة الله ورسوله.

وأخصّ الآل والقرابة فاطمة الزهراء وعلي والحسن والحسين والعباس وأبناؤه رضي الله عن الجميع.

فنحن نحبهم لقرابتهم ولإيمانهم، أما الكفار من آله كأبي لهب فلا يجوز بحال من الأحوال أن نحبَّه، بل يجب علينا أن نكرهه لكفره ولإيذائه للنبي، وكذلك أبو طالب نكرهه لكفره، لكننا نحب أفعاله التي أسداها إلى رسول الله من الحماية والذبّ عنه، وبها شفع له، فهو أدنى أهل النار عذابا، فهو في ضحضاح من النار، كما قال الصادق البار.

فمن كان من آل البيت مؤمناً تقياً صادقاً صالحاً فنحن نحبه ونواليه.

ومن كان من آل البيت فاسقاً مؤذياً قاطعاً للصلاة محارباً للصالحين لا نحبه ولا نواليه ولو كان أقرب الناس إلى النبي -ﷺ-.

ونقول للذين حصروا آل الرسول -ﷺ- في علي والحسن والحسين - رضي الله عنهم -، وفي تسعة من أبناء الحسين فقط. فهل هؤلاء هم آل بيت رسول الله -ﷺ-؟

يا سبحان الله! أين أعمام رسول الله -ﷺ-؟ !

أليس حمزة بن عبد المطلب ا أسد الله وأسد رسوله شهيد أحد وفارسَ بدر، وعندما استشهد حزن عليه النبي -ﷺ- حزنًا شديدًا وقال: «**سيد الشهداء عند الله يوم القيامة حمزة**»[رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد.]؟ !

أليس العباس بن عبد المطلب - رضي الله عنه - شهد فتح مكة وثبت يوم حنين، وقال فيه النبي-ﷺ-: «**إن العباس مني وأنا منه**» وقال: «**يا أيها الناس! من آذى عمي فقد آذاني؛ فإنما عم الرجل صنو أبيه**»[أخرجه الترمذي].

أين أبناء أعمام النبي -ﷺ-؟ !

أليس جعفر الطيار - رضي الله عنه - صاحب المآثر والمحامد، وهو الذي قال له النبي -ﷺ-:

«أشبهت خَلْقي وخُلُقي»[رواه البخاري]، وقد كان أحد السابقين إلى الإسلام، وممن هاجر إلى الحبشة، ولم يزل هناك إلى أن هاجر النبي -ﷺ- إلى المدينة، فقدم إلى المدينة يوم فتح خيبر، ففرح به النبي -ﷺ- فرحًا شديدًا، وقام إليه وعانقه وقبَّله بين عينيه. وقال وقال: «لا أدري بأيّهما أُسرّ: بفتح خيبر أم بقدوم جعفر».

ولما أرسله النبي -ﷺ- إلى مؤتة نائبًا لزيد بن حارثة - رضي الله عنه - أبلى بلاءً حسنًا، وقاتل حتى قطعت يداه واستشهد، فعوَّضه الله عن يديه جناحين في الجنة، فكان يقال له بعد قتله: الطيار، ولما بلغ النبي -ﷺ- نبأ استشهاده حزن عليه حزنًا شديدًا، وقال: «دخلت الجنة البارحة فنظرت فيها وإذا جعفر يطير مع الملائكة»[أخرجه الطبراني بإسنادٍ حسن] وقال -ﷺ-: «مر بي جعفر الليلة في ملأ من الملائكة، وهو مخضب الجناحين بالدم أبيض الفؤاد»[صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه-المستدرك على الصحيحين: ج٣/ ص٢٣٤ ح٤٩٤٣].

فهذه بعض مناقبه التي تدل على عظيم مكانته وعلو شأنه فرضي الله عنه وأرضاه.

أليس عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - حبر الأمة وترجمان القرآن؛ وقد كان يلقب بالحبر والبحر لاتساع علمه وكثرة فهمه، وكمال عقله وسعة فضله؛ فقد لازم النبي -ﷺ-، ودعا له-ﷺ- بالفقه في الدين وعلم التأويل، وكان ممن شهد مع علي - رضي الله عنه - الجمل وصفين، وقد اعترف له بذلك الفضل كبار الصحابة - رضي الله عنهم - والتابعون لهم بإحسان؟

أين بقية ذرية الحسين - رضي الله عنه -؛ مثل حفيده شهيد الكوفة زيد بن علي بن الحسين، وسائر ذرية أولاده؟ !

أين ذرية الحسن - رضي الله عنه -؟

- أين حقوق هؤلاء؟ وهل هم من آل البيت أم ليسوا منهم؟ !

وإن لم يكونوا منهم فمن الذي أخرجهم؟ وبأي دليل أخرجهم من آل البيت؟

وكيف أدخلوا الأئمة الإثنا عشر كلهم بلا دليل.

إن محبة آل بيت النبوة وإجلالهم مطلبٌ شرعيّ قبل أن يكون علامة من علامات حبه، كما قال تعالى: ﴿قُل لاَّ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣].

فضائل أهل البيت كثيرة مشهورة، ومحاسنهم عظيمة منثورة، منها:

أمره عليه السلام بمحبتهم، واختصاص الله للمباهلة بهم، ونزول آية التطهير بسببهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[الأحزاب: ٣٣]، فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: "خرج النبي غداة وعليه مرط مرحّل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [مسلم].

بشّر -ﷺ- مُحبِّهم بالجنة ومسالمهم بالسلامة، وأنْذر محاربهم بالحرب، وشرع الصلاة عليهم معه في كل صلاة، وقرنهم في حديث الثقلين بكتاب الله، ووصى بهم وأكّد الوصاة بقوله: «**الله، الله**» [أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة (٢٤٠٨) من حديث زيد بن أرقم - رضي الله عنه -] »[ففي صحيح مسلم أن النبي -ﷺ- خطب في أصحابه وقال: «**ألا أيها الناس! فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما: كتاب الله؛ فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به. فحث على كتاب الله ورغَّب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، أذكّركم**

الله في أهـل بيتـي، أذكّـركم الله في أهـل بيتـي، أذكّـركم الله في أهـل بيتـي. . . »

الحديث[أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة (٢٤٠٨) من حديث زيد بن أرقم - رضي الله عنه -].

فهذا الحديث فيه دلالة واضحة على فضيلة أهل بيته -ﷺ-، حيث جعلهم -ﷺ- ثقلًا وقرن الوصية بهم بالوصية بالالتزام والتمسك بكتاب الله الذي فيه الهدى والنور، وهذا دليل واضح على عظيم حقهم، وارتفاع شأنهم، وعلو مكانتهم.

قال الآجري - رحمه الله -: «**واجبٌ على كل المسلمين محبة أهل بيت رسول الله، وإكرامهم واحترامهم، وحسن مداراتهم والصبر عليهم، والدعاء لهم**» [الشريعة (٥/ ٢٢٧٦).].

ومن حقوق آل البيت: استحقاقهم من الخمس والفيء، قال الله تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ [الأنفال: ٤١]، وقال تعالى: ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[الحشر: ٧].

ومن حقوق آل البيت الدعاء لهم في الصلاة والسلام على رسول الله -ﷺ-.

ومن حقوق آل البيت: تولي الصالحين منهم ومجالستهم والأخذ عنهم، والبرّ بهم وتطييب خواطرهم؛ فإنهم من آثار النبي، ومحاولة القرب منهم، ومصاهرتهم تزوجًا أو تزويجًا.

ومن حقوق آل البيت مناصرتهم والبذل لهم، والذبُّ عنهم، وذكر مناقبهم ومحاسنهم.

ومن حقوق آل البيت تأكيد مناصحة غير الصالح منهم والشفقة عليه والرحمة به، ودعوته إلى نهج آل البيت الطيبين الطاهرين.

فهذه بعض حقوقهم، فلنقم بها على أكمل وجه من غير إفراط ولا تفريط.

ويشترط لهذه الحقوق صحة ثبوت انتسابه لرسول الله في النسب، وصحة انتسابه له في الدين.

ومما ينبغي أن يُعلم أن آل بيت النبوة ليسوا بمعصومين، بل هم كغيرهم من سائر البشر، فيهم الصالح والطالح، والبر والفاجر، والمسلم والكافر، وأنهم داخلون في قوله: «**ومن أبطأ به عمله لم يُسرع به نسبه**» [رواه مسلم].

وأعلنها النبي -ﷺ- مدوية: « **يا فاطمة اعملي لا أُغني عنك من الله شيئا**».

فلا تترك التقوى اتكالا على النسب فقد رفع الإسلام سلمان فارسٍ، وقد وضع الشرك الشقي أبا لهب.

لقد حرص السلف الصالح رحمهم الله من الصحابة والتابعين على هذه الحقوق، وقاموا بها خير قيام، وما ذلك إلا لاستشعارهم مكانة الآل من النبي، وامتثالاً لوصيته بهم.

فهذا أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - يقول: «**والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله أحبّ إليّ أن أصِلَ من قرابتي**» [البخاري ومسلم].

وهذا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقول للعباس عم رسول الله -ﷺ-: «**والله، لإسلامك يومَ أسلمت كان أحب إليّ من إسلام الخطاب ـ يعني والده ـ لو أسلم؛ لأن إسلامك كان أحب إلى رسول الله من إسلام الخطاب**» [طبقات بن سعد].

وقد أمر - رضي الله عنه - العباسَ عام الرمادة أن يستسقي بالناس، فقال عمر: «**اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعمّ نبينا فأسقنا**» [البخاري].

قال ابن حجر: «ويستفاد من قصة العباس استحباب الاستشفاع بأهل الخير والصلاح وأهل بيت النبوة، وفيه فضل العباس وفضل عمر بتواضعه للعباس ومعرفته بحقه» [فتح الباري (٢/ ٤٩٧)].

ولما دخل عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم - في حاجة له على عمر بن عبد العزيز قال له عمر: «إذا كانت لك حاجةٌ فأرسل إليَّ أو اكتب؛ فإني أستحيي من الله أن يراك على بابي» [انظر: الشفا، للقاضي عياض (٢/ ٦٠٨).].

وعن الشعبي: صلى زيد بن ثابت على جنازة أمه، ثم قُرِّبت له بغلته ليركبها، فجاء ابن عباس فأخذ بركابه، فقال زيد: (خلِّ عنه يا ابن عم رسول الله)، فقال ابن عباس: (هكذا نفعل بالعلماء)، فقبل زيدٌ يد ابن عباس؛ وقال: (هكذا أُمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا) [أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/ ٣٦٠)، والطبراني في الكبير (٥/ ١٠٧)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥١٤).].

فهذه بعض الصور المشرقة لسلفكم الصالح في التعامل مع آل بيته.

هذه بَعضُ فضائلِ آلِ بيتِ النبوّة كما حفِظتها كتُبُ السنّة، والتَزَمَها الأخوة منذُ صدرِ الإسلام الأوّل، وأنزلوهم منازِلَهم اللائِقةَ مِن غير إفراطٍ ولا تفريط، ففي صحيح البخاري عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنَّ أبا بكرٍ - رضي الله عنه - قال: «**ارقُبوا محمّدًا في أهل بَيتِه**»

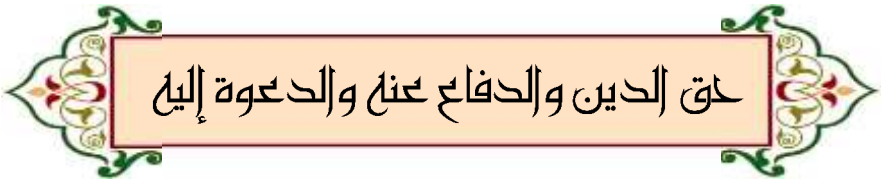

الحمد لله الذي خلقنا من عدم، وكبّرنا من صغر، وقوّانا من ضعف، وأسمعنا من صمم، وأغنانا من فقر، وعلّمنا من جهل، وأمّننا من خوف، وهدانا من ضلالة، أحمده سبحانه وأشكره وبالشكر تنال الزيادة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. القائل: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلامِ﴾

وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

و بعد:

لا زلنا وإياكم في ظلال سلسلة الحقوق في الإسلام واليوم نعيش وإياكم مع حقٍّ كبير جليل قد فرّط فيه كثير من المسلمين ألا وهو حق التعريف بالإسلام. حق الدفاع عن الدين، حق الدعوة لهذا الدين.

لقد كلّف الله تعالى عباده الإيمان بهذا الدين والعمل به و كلفهم الدعوة إليه وتعليمه وبيان أحكامه وآدابه. للناس كافة.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[يوسف:١٠٨]. . فكل محب للنبي -ﷺ- ،وكل تابع للنبي -ﷺ- يدعو إلى الله ويخدم هذا الدين.

أحسن قول وأجمل قول وأسمى قول وأرفع قول الدعوة إلى الله عزو جل، قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِّ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[فصلت:٣٣]، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كالصلاة والصيام بل قدّمه الله على الصلاة والزكاة قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهّ وَرَسُولَهُ ﴾ما جزاءهم: ﴿ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهّ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[التوبة:٧١].

هذا الواجب يتفاوت بتفاوت المسلمين علماً وفطنة وأسلوباً ومركزاً وعملاً ووقتاً. ويزداد عظم المسؤولية، كلما ازداد علم المرء، وقدرته، ومنزلته بين الناس.

وكلما ازداد العلم، والدعوة، والمسؤولية، ازداد الأجر، وارتفع القدر، ونيلت الدرجات. والدال على الخير كفاعله.

أخي المسلم العالم بحاجة إلى من يُعرّفه بأخلاق الإسلام وعدل الإسلام وسماحة الإسلام.

والله ما وقع من إساءة للنبي -ﷺ- من الدنمارك أو غيرهم إلا لأنهم جهلوا مكانة رسول الله وعظمة رسول الله وأخلاق رسول الله ورحمة رسول الله للعالمين؛ فمن يخبرهم ومن يدعوهم ومن ينشر سيرة رسول الله بينهم، وأخلاق رسول الله بينهم بالحكمة والموعظة الحسنة إلا نحن المسلمون. ها هوَ يهوديُ معه كلبُ، واليهود لطالما استفزوا المسلمين يريدون أن يوقعوهم في شركهم، يمرُ على إبراهيمَ ابن أدهم - عليه رحمة الله - ذلكم المؤمنُ فيقولُ لهُ:

ألحيتُك يا إبراهيم أطهرُ من ذنَبِ هذا الكلب، أم ذنَبُ الكلبِ أطهرُ من لحيتِك؟

فما كان منه إلا أن قال بهدوءِ المؤمنِ الواثقِ بموعود الله عز وجل:

إن كانت في الجنةِ لهيِ أطهرُ من ذنَبِ كلبك، وإن كانت في النارِ لذنَبُ كلبكَ أطهرُ منها.

فما ملك هذا اليهوديُ إلا أن قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، والله ما هذه إلا أخلاقُ الأنبياء.

فما أحوج العالم كله الآن ليتعرف على الصورة المشرقة للإسلام، والكل سيُسأل بين يدي الله جل وعلا بحسب قدرته، واستطاعته، من لهذا الدين غيري وغيرك.

إن للباطل في هذا العصر صولة وجولة، وكلمة وموقف، فله خطط وبرامج وقنوات، وما انتفش الباطل وارتفعت كلمته إلا لتخاذل أهل الحق، ونكوصهم عن المواجهة، وإظهار محاسن الحق الذي يحملونه وينتسبون إليه.

إن أهل الباطل يُدافعون عن باطلهم، ويبذلون في سبيل نشره وإقناع الناس به كل غال ونفيس.

وليس الأمر مقتصراً على الدعوة فقط، بل إنهم يبثون أتباعهم في صفوف الجماهير لتثبيتهم على الوفاء لهذا المبدأ الخبيث، والهدف القبيح، والغاية الخاسرة.

هل تذكرت أخي أن دينك هذا الذي تدين الله به مستهدف بعداء مرير وكيد طويل؟ ! .

واقرأ إن شئت كتاب "قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله " و لتقف على طرف من هذا العداء! ! .

أخي: هل آلمتك مجازر المسلمين ورخص دمائهم فإذا هي أرخص من ماء البحر ومدن المسلمين تُباد ودولهم تُبتلع؟ ! ! هل تألمت لما يحصل لغزة وحصار غزة وما يقع في سوريا وكشمير والعراق؟

من منا يا إخواننا! الذي يدعو في كل سجدة للأمة أن يردها الله إلى الدين، وأن يرد إليها الأقصى الكريم؟ ! أُمة بخلت بالدعاء، فهل تجود بالأموال والدماء؟ !

أخي الحبيب: ماذا قدمت لدين الله؟

سؤال يجب ألا نمل طرحه، وألا نسأم تكراره؛ لنحيي في القلوب قضية العمل لهذا الدين، هذا الدين الذي تعب من أجله آدم، وناح لأجله نوح، ورُمي في النار الخليل، وأُضجع للذبح إسماعيل، وبيع يوسف بثمنٍ بخس، ولبث في السجن بضع سنين، ونُشر بالمنشار زكريا، وذُبح السيد الحصور يحيى، وقاسى الضُّر أيوب، وزاد على المقدار بكاء داود، وسار مع الوحش عيسي، وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد -ﷺ-».

يقول تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]

وقال تعالى: ﴿انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٤١].

أخي الحبيب:

هل فتّشنا في أنفسنا وتساءلنا كم تبلغ مساحة الإسلام من خارطة اهتمامنا؟ ! !

كم نبذل ونتعب ونهتم للدنيا؟ ! ! وفي المقابل كم نبذل ونتعب ونهتم للدين؟

ويحضرني قصة تلك المرأة النصرانية التي حضرت أحد المؤتمرات التي أقيمت للتعريف بالدين الإسلامي وبعد سماعها لتعريف مختصر لخصائص هذا الدين ومميزاته قالت: لئن كان ما ذكرتموه عن دينكم صحيحا أنكم لظالمون! ! فقيل لها: ولماذا؟ قالت: إنكم لم تعملوا على نشره بين الناس والدعوة إليه! !

بل ذكر أحد الدعاة أنه كان في بعض دول أفريقيا في رحلة شاقة إلى قرية من القرى وكانت السيارة تسير وسط غابة كثيفة وكان الطريق وعراً وعورة يستحيل معها أن تسرع السيارة أكثر من(٢٠)كم في الساعة وقد بلغ منا الإرهاق مبلغه وكأن البعض قد ضاق صدره من طول الرحلة، وبدأ يتأفف من شدة الحر وكثرة الذباب والغبار الذي ملأ جو السيارة وفجأة يقول شاهدنا على قارعة الطريق امرأة أوربية قد امتطت حماراً وعلّقت صليباً كبيراً على صدرها وبيدها منظار، وعند سؤالها عن سبب وجودها في هذه الغابة تبين أنها تدعو للصليب في كنيسة داخل القرية ولها سنتان قال صاحبي: فقلنا: (اللهم إنا نعوذ بك من جلَد الفاجر وعجز الثقة).

أخي. . . هل بذلت جُهدا في خدمة دينك ولو كان قليلا؟ ؟ .

هل أرسلت لقريب أو زميل مقطعاً مؤثراً بعد أن سمعته، أو كتيبا بعد أن قرأته؟ ؟

هذه المنكرات التي في مجتمعاتنا لم تنتشر ـ في يوم وليله، ولكن انتشرت لأن واحدا فعل وواحد سكت وهما شريكان في الإثم، ولا ينجو إلا من نهى عن المنكر وأمر بالمعروف بمعروف. .

فهل استشعر ت وجوب مشاركتك في إزالة المنكر؟ !

أخي المسلم: إن في مجالسنا ومجتمعنا من يشوش على الناس مفاهيمهم ويُلّبس عليهم دينهم وينتقص أهل الصلاح منهم! ! .

فهل وقفت مُنافحا ومُدافعا بالتي هي أحسن؟ ! .

ماذا قدمت لدين الله؟

أخي. . . من لهذا الدين المتين ـ بعد رب العالمين ـ إلا أنت وأمثالك، ما لم تقم بالعبء أنت فمن يقوم به إذاً؟ !

إن الغيرة على دين الله دليل على محبة الله ودليل على الإيمان الصادق في قلب العبد، ومن لا يغار على محارم الله ضعيف الإيمان أخبر بذلك الصادق المصدوق صلوات ربي وسلامه عليه فيما أخرجه الإمام مسلم بقُوله -ﷺ-: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ».

أرأيت أخي الحبيب إلى البحر العظيم ذو الأمواج الهائلة، إنه يفور غيرةً لانتهاك محارم الله؛ فقد أخرج الإمام أحمد عن عُمَر بْنُ الْخَطَّابِ - رضي الله عنه - عَنْ رَسُولِ اللهَّ -ﷺ- أَنَّهُ قَالَ: « لَيْسَ مِنْ لَيْلَةٍ إِلّا وَالْبَحْرُ يُشْرِفُ فِيهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ عَلَى الْأَرْضِ يَسْتَأْذِنُ اللهَّ فِي أَنْ يَنْفَضِخَ عَلَيْهِمْ -أي على عصاة بني آدم- فَيَكُفُّهُ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ- كرما منه ورحمة»، كل ذلك غيرة على محارم الله.

ماذا قدمت لدين الله؟

أخي الحبيب. . هل تعلم أنه في عام واحد بلغ ما جمعته المنظمات التنصيرية مبلغاً قدره (١٩٣) مليار دولار أمريكي! وقد بلغ عدد المنظمات التنصيرية (٢٣٣٠٠) منظمة عاملة، وبلغ عدد المنظمات التنصرية التي ترسل منصرين إلى الخارج (٤٥٠٠) منظمة. وبلغ عدد نسخ الإنجيل التي تم توزيعها خلال عام واحد فقط (١٧٨٣١٧٠٠٠) كتابا، وبلغ عدد الإذاعات والمحطات التليفزيونية التنصيرية (٣٢٠٠) إذاعة ومحطة تلفزة مختصة بالتنصير.

أسلحة الإعلام مدججة لطمس نور فطرة الله التي فطر الله الناس عليها، فهذه مسلسلات وتلكم أفلام وبرامج وأغنيات. . تُذبح فيها الفضيلة، ويُطمس فيها الشرف، حتى صار القُبح عُرفاً والباطل عادة.

ماذا قدمت لدين الله؟

أيها الشباب! قد يرد علي الآن رجل من آبائنا أو شاب من أبنائنا، أو أخت من أخواتنا -وهذا سؤال مثار- ويقول: يا أخي! ولكني أستحي أن أتحرك لدين الله وأنا مقصر وأنا مذنب وأنا عاص أنا أعلم حقيقة نفسي! ! أقول: لو تخاذلت عن العمل لدين الله فقد أضفت إلى تقصيرك تقصيراً، وإلى ذنوبك ذنباً، فلا يحملك ذنبك على أن تترك العمل لدين الله، ولا يمنعك تقصيرك، ولا يمنحك إجازة مفتوحة من العمل للإسلام، لا! ! خذ هذه الرسالة الرقيقة من أبي محجن الثقفي - رضي الله عنه -، رجل مدمن على شرب الخمر، سبحان الله! ! مع أنه فارس مغوار، إذا نزل الميدان أظهر البطولة والرجولة! ولكنه ابتلي بإدمانه على شرب الخمر، ومع ذلك تراه جندياً في صفوف القادسية، هل خرج للقتال؟ نعم.

وهو الذي كثيراً ما يؤتى به ليقام عليه الحد.

وفي ميدان البطولة والشرف أتي به لقائد الجيش سعد بن أبي وقاص؛ لأنه قد شرب الخمر فلعبت الخمر برأسه مرة أخرى، فأمر سعد بن أبي وقاص -خال رسول الله- أن يمنع أبو محجن من المشاركة في المعركة، وأن يقيد حتى تنتهي المعركة؛ لأنه لا تقام الحدود في أرض العدو.

وقيد أبو محجن، وبدأت المعركة، وارتفعت أصوات الأبطال، وقعقعت السيوف والرماح، وتعالت أصوات الخيول! ! وفتحت أبواب الجنة لتطير إليها أرواح الشهداء، وهنا احترق قلب أبي محجن الذي جيء به وهو على معصية، لم يفهم أبو محجن أن الوقوع في المعصية يمنحه إجازة مفتوحة من العمل لدين الله، من المشاركة لنصرة لا إله إلا الله، وإنما احترق قلبه وبكى، ونادى على زوج سعد بن أبي وقاص سلمى وقال لها: أسألك بالله يا سلمى! أن تفكي قيدي، وأن تدفعي لي سلاح وفرس سعد؛ لأن سعدا قد أقعده المرض عن المشاركة في القادسية إلا بالتخطيط.

فرقّت سلمى لحال أبي محجن، ففكت قيده، ودفعت له السلاح والفرس وقال لها: إن قُتلت فالحمد لله، وإن أحياني الله جل وعلا فلك علي أن أعود إلى قيدي؛ لأضعه في رجلي بيدي مرة أخرى، وانطلق أبو محجن، وتغير سير المعركة على يد بطل! على يد فارس! حتى قال سعد الذي جلس في عريش فوق مكان مرتفع؛ ليراقب سير المعركة، قال سعد: والله! لولا أني أعلم أن أبا محجن في القيد، لقلت بأن هذا الفارس هو أبو محجن، ولولا أني أعلم أن البلقاء في مكانها لظننت أنها البلقاء، فردت عليه زوجه، وقالت: نعم، إنه أبو محجن وإنها البلقاء، وحكت له ما قد كان! ! ولما انتهت المعركة دخل سعد بن أبي وقاص على أبي محجن في موقعه في سجنه، فوجد أبا محجن وقد وضع القيد في رجليه بيديه مرة

أخرى، فبكى سعد بن أبي وقاص ورق لحاله، وقال له: قم يا أبا محجن، وفك القيد عن قدميه بيديه، وقال له سعد: والله! لا أجلدك في الخمر بعدها أبداً، فنظر إليه أبو محجن وقال: ربما كنت أزل فيها لأنني أعلم أنني أطهر بعدها بالجلد، أما الآن لا تجلدني، وأنا والله لا أشرب الخمر بعد اليوم أبداً! وصدق مع الله جل وعلا.

فهذه رسالة رقيقة يرسلها أبو محجن الثقفي للعصاة من أمثالي، لأهل الذنوب من أمثالي؛ من أجل ألا تمنحهم ذنوبهم ومعاصيهم إجازة مفتوحة من أن يتحركوا لدين الله،

ومن أن تحترق قلوبهم بالعمل لدين الله جل وعلا! حتى الهدهد -ذلكم الطائر الأعجم حين كان في مملكة ضخمة على رأسها نبي، وقد سخر فيها الإنس والجن والطير والريح لهذا الملك النبي- لم يفهم من ذلك أنه قد أخذ إجازة من أجل ألا يعمل لدين الله.

الهدهد؟ إي والله تحرك ليعمل للدين؟ إي والله! بل جاء إلى هذا الملك النبي ليكلمه بكل ثقة: ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ *إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ ما الذي أغضبك أيها الهدهد كأنك أسد ديس عرينه انه غار على محارم لأنه يعبد من دون الله ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾.[النمل:٢٢] .

لماذا فعلوا ذلك يا أستاذ العقيدة اسمع الجواب ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ ﴾، ويعلن الهدهد براءته من عقيدة الشرك والكفر ويقول: ﴿ إِلّا يَسْجُدُوا للَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ

وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * اللهُ لا إِلَهَ إِلّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾[النمل:٢٥].

هدهد لم يعجز أن يجد لنفسه دوراً في مملكة موحدة لا في بيئات، لا في بلد نحت شريعة الله، بل في مملكة موحدة على رأسها ملك نبي، لم يعجز أن يجد لنفسه دوراً ليعمل لدين الله

ماذا قدمت لدين الله؟ :

فالعمل للدين ليس مؤقت بوقت ولا محدداً بزمان ولا مكان وإنما هو وظيفة العمر كله.

ماذا قدمت لدين الله؟ :

إن النبي -ﷺ- كان من أوائل اهتماماته صِيَاغَةُ الشَّخصية الدعوية التي تحمل هَمَّ الدين وتبذُل له. وكان أول من دعاه النبي -ﷺ- للإسلام هو أبو بكر الصديق ا، الذي تحرك من أول يوم ينشر هذا الدين حتى دخل بجهوده الدعوية في أول الأمر خمسة مّن المبشرين بالجنة.

وهذا الداعية الكويتي عبد الرحمن السميط يدعو إلى الله في أدغال أفريقيا فيُسلم على يديه ثلاثة ملايين شخص.

وهذه امرأة تدعو بالمراسلة على شبكة الانترنت ويُسلم على يديها الآلاف وهي امرأة مقعدة لا يتحرك منها إلا رأسها.

وها هو شاب مصري يهتدي على يديه عبر الانترنت ما يزيد على خمسمائة من النصارى.

قال عليه الصلاة والسّلامُ: «مَن دَعا إلى هُدى كان له من الأجرِ مِثلُ أجورِ مَن تَبِعَه، لا ينقص ذلك من أجورِهم شيئًا»[رواه مسلم].

واهتِداءُ رجلٍ واحدٍ بسَبَب دعوتك ونصيحتك خيرٌ لك من أنفَسِ الأموال، يقول عليه الصلاة والسلام: «فوَاللهِ، لأن يهدِيَ اللهُ بكَ رَجلاً واحدًا خيرٌ لك مِن حُمُر النَّعَم»[متفق عليه].

قال -ﷺ-: «بلغوا عني ولو آية»[رواه البخاري]. فبلغوا فيها تكليف وعني فيها تشريف ولو آية فيها تخفيف.

على المرء أن يسعى إلى الخير جهده ... وليس عليه أن تتم المقاصد

كيف تخدم دين الله؟

أولا: من أعظم الأعمال التي تخدم بها هذا الدين أن تجعل بيتك بيتاً مسلما في أفراده ومسلماً في أساسه ومسلماً في معداته وأجهزته تُنشر فيه الفضائل وتحارب الرذائل.

ثانياً: مشاركة أخوانك الصالحين في نشاطهم في الدعوة إلى الله عز وجل بالحكمة والموعظة الحسنة فيمكنك الاتصال بهم والعمل معهم والمرء قليلٌ بنفسه كثيرٌ بإخوانه.

ثالثاً: شارك في الدعوة إلى الله بسنة تنشرها أو بفضيلة تدعو إليها أو كلمة تلقيها أو مطوية تبثها، المهم أن تكون إيجابيًا في مجتمعك.

رابعاً: فرّغ شيئاً من وقتك لتتعلم دينك، لتفهم دينك فهماً صحيحاً على أيدي العلماء العاملين، والدعاة الصادقين، فمن المُحال أن تنصر شيئاً تجهله.

خامساً: تخفّف من ذنوبك بالتوبة النصوح واعلم بان بني إسرائيل مُنعوا القطر بسبب ذنب رجل في سبعين ألف رجل.

سادساً: اتبع سنة نبيك -ﷺ- واعلم أن المسلمين في معركة احد لم ينتصروا بسبب مخالفة لأمر رسولنا -ﷺ-.

سابعاً: كُن مخلصاً صادقا في أقوالك وأفعالك وحركاتك وسكناتك.

ثامناً: تخلق بالخلق الحسن واعلم أن لسان الحال أبلغ من لسان المقال.

تاسعاً: أدعو إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة واعلم أن الدعوة سائرة بك أو بدونك فاسأل الله أن يشرفك بالدعوة لدينه.

عاشراً: تخيّر الصاحب الذي يعينك علي الخير ويدلك عليه، الصاحب الذي إذا ذكرت الله أعانك وإذا نسيت ذكّرك. الصاحب الذي يُذكّرك بعيوبك لأجل إصلاحها لا ليعيرك بها.

الحادي عشر: كُن ليّن الجانب طيّب المعشر هينا سمحاً في تعاملاتك مع إخوانك ومع الناس، واعلم أن اللين في الخطاب والبسمة علي المُحيا هما مفتاح قلوب الناس.

الثاني عشر: ابذل من مالك للدعوة إلى الله فالدال على الخير كفاعله.

الثالث عشر: سل الله في دعائك أن يعز الإسلام وينصر المجاهدين. ويؤيد الدعاة الصادقين ويخذل ويكبت كل من ناوأ الدعوة وكل من حاصر الكلمة وكل من وقف في وجه رسالة أنبياء الله.

أخي الحبيب:

تعال ضع يدك في يدي وبنا ننطلق ونخدم هذا الدين فالمرء قليل بنفسه كثيرٌ بإخوانه، دعنا نتكاتف ونكثّر السواد في خدمة الدين بإخلاص جمعني الله وإياك في مستقر رحمته ودار كرامته .

حقوق المسلم-رد السلام

الحمد لله الذي أحاط بكل شيءٍ علماً وجعل لكل شيءٍ قدراً، خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً، أحمده سبحانه وأثني عليه شكرا، كرمه يتوالى ونعمه علينا تترى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، اصطفاه ربه واجتباه، فكان أشرف البرية وأعلاهم ذكراً صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

اليوم نعيش وإياكم مع حقوق المسلم على المسلم، ومن هذه الحقوق حق رد السلام.

قد يبدو لكم بادئ ذي بدء أن موضوع السلام، إلقاء السلام، رد السلام شيءٌ جزئيٌ في الإسلام، ولكن الأحاديث الصحيحة تنبئ بأهمية البدء بالسلام ورد السلام في شريعة محمد -ﷺ-.

اسمعوا إلى هذين الحديثين الشريفين اللذين هما أصلين من أصول العلاقات الاجتماعية، أو من أصول حقوق المسلم على المسلم، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول -ﷺ- قال: «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ رَدُّ السَّلامِ وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ**» [صحيح البخاري].

وروى مسلمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- قَالَ: «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ. قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَإِذَا**

دَعَاكَ فَأَجِبْهُ وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَّ فَسَمِّتْهُ وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعه » [صحيح مسلم].

روي عن عبد الله بن سلام قبل إسلامه أنه قال: لما قدم النبي المدينة انجفل الناس قِبله، وقيل: قد قدم رسول الله، قد قدم رسول الله -ﷺ-، قد قدم رسول الله. فجئت في الناس لأنظر، فلما تبينت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذّاب، فكان أول شيء سمعته تكلم به أن قال: «**يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**». و عن عمران بن حصين - رضي الله عنه - قال: جاء رجل إلى النبي -ﷺ- فقال: السلام عليكم، فرد عليه السلام، ثم جلس فقال النبي -ﷺ-: «**عشر**، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فرد عليه فجلس فقال: **عشرون**، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد عليه السلام فجلس فقال: **ثلاثون**» [أبو داود والترمذي وقال الألباني: صحيح].

فكم يحرم المسلم نفسه من أجور يوم يترك السلام والرد على السلام.

كان عدد من أصحاب النبي -ﷺ- يخرجون من السوق لا شيء إلا لإلقاء السلام على الناس فيعودوا إلى بيوتهم ولهم أجور عظيمة.

وقد أمر الله بالسلام عند دخول المسلمين بعضهم على بعض في بيوتهم، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾[النور:٢٧]، وقال تعالى: ﴿**فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللهَّ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً**﴾[النور:٦١].

عبد الله: من حقوق المسلم عليك أن تسلم عليه إذا لقيته، فتقول: السلام عليكم. وإن كان بعيداً أو لا يسمع فاجمع بين السلام والإشارة ليعرف أنك

تسلم عليه، والسنة أن يُسلّم الصغير على الكبير، والقليل على الكثير، والراكب على الماشي، والماشي على الواقف، وخير الرجلين من يبدأ صاحبه بالسلام، وإذا لم يسلم من يطلب منه ابتداء السلام؛ فليسلم الآخر، ولا يتركوا سنة نبيهم -ﷺ-.

إن موضوع السلام ورد السلام خطير جداً، فربما كان إلقاء السلام سبباً من أسباب التفاهم الاجتماعي، ربما كان إلقاء السلام والردّ بالسلام سبباً في شيوع السلام بين الناس، ربما كان تبادل السلام سبباً للمودة والمحبة التي يجب أن تكون بين الناس، الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً﴾ [النساء: ٨٦].

الحكم الفقهي أن إلقاء السلام سنة ورد السلام واجب بل هو فرض للآية السابقة

﴿فَحَيُّوا﴾ هذا أمر، والأمر في القرآن يقتضي الوجوب بأحسن منها قال لك: السلام عليكم، تقول له: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، قال لك: أسعد الله صباحك، تقول له: أسعد الله جميع أوقاتك.

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال النبي -ﷺ-: «**إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم**» [رواه البخاري ومسلم].

عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: إِنَّ رَجُلا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- أَيُّ الإِسْلامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «**تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**». [صحيح البخاري].

فاتقوا الله أيها الأخوة الأكارم وأفشوا السلام بينكم واتركوا النزعات الجاهلية والأحقاد والضغائن والأمور الأخرى التي ربما ترك البعض منا السلام من أجلها، فهذا لا يسلم إلا على من عرفه، وذاك لا يسلم إلا على أهل بلدته وأصحابه، وذاك لا يسلم إلى على من كان من جماعته وقبيلته.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**أعجز الناس من عجز في الدعاء، وأبخل الناس من بخل بالسلام**» [رواه الطبراني في الأوسط وقال المنذري في الترغيب: إسناده جيد قوي]. وعن أبي أيوب - رضي الله عنه -عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، يلتقيان فيصد هذا ويصد هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**» [البخاري ومسلم].

وعن أبي أُمامة - رضي الله عنه - قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللهِ مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلامِ**» [سنن أبي داود].

أي أن هذا الذي يسلم على الناس، ويبدؤهم بالسلام، أولى الناس وأقربهم إلى الله عزّ وجل، وكان أبو أمامه - رضي الله عنه - إذا انصرف إلى بيته لا يمر بمسلم ولا نصراني، ولا صغير ولا كبير إلا سلّم عليه، فقيل له في ذلك، فقال: أُمرنا أن نفشي السلام. وكان يقول: «إن الله جعل السلام تحية لأمتنا وأمانا لأهل ذمتنا».

عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها -: عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «**مَا حَسَدَتْكُمْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلاَمِ وَالتأْمِينِ**». [صحيح]

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رضي الله عنه -: عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ السَّلاَمَ اسمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ وَضَعَهُ فِي الأَرْضِ فَأَفْشُوهُ بَينَكُمْ، فَإِنَّ الرَّجُلَ الْمُسْلِمِ إِذَا مَرَّ بِقَومٍ فَسَلَّمَ عَلَيهِم فَرَدُّوا عَلَيهِ، كَانَ لَهُ عَلَيهِم فَضْلُ دَرَجَةٍ بِتَذكِيرِهِ إِيَّاهُمُ السَّلاَمَ،**

فَإِنْ لَمْ يَرُدُّوا عَلَيهِ، رَدَّ عَلَيهِ مَنْ هُوَ خَيرٌ مِنْهُمْ وَأَطْيب». [رواه الطبراني والبزار بأسانيد رجالها رجال الصحيح].

الله اكبر إنهم الملائكة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه -: عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ، وَالْمَارُ عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ». و عَنْ جَابِرٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ الله -صلى الله عليه وسلم-: «لِيُسَلِّمِ الرَّاكِبُ عَلَى الْمَاشِي، وَالْمَاشِي عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْمَاشِيَانِ أَيُّهُمَا بَدَأَ فَهُوَ أَفْضَل »، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه -: عَنْ رَسُوْلِ الله -صلى الله عليه وسلم-: «إِذَا لَقِيَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ حَالَتْ بَيْنهمَا شَجَرَةٌ أَوْ جِدَارٌ أَوْ حَجَرٌ، ثُمَّ لَقِيَهُ، فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ أَيْضاً». وقال : «إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم، فإذا أراد أن يقوم فليسلم؛ فليست الأولى بأحق من الآخرة».

ومن السنة أن يسلم المسلم على الصبيان إذا لقيهم اقتداء برسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، وفيه دليل على التواضع والرحمة، كما إن فيه تربية الناشئة على تعاليم الإسلام وغير ذلك من الفوائد. و اعلموا - رحمكم الله - أن هناك أحوالا لا يشرع فيها السلام، منها:

ما إذا كان الإنسان على حاجته من بول أو غائط، ومنها حال خطبة الجمعة، فلا يسلم على المستمعين للخطبة؛ لأنهم مأمورون بالإنصات، ولا يردون على من سلم عليهم.

ومنها حال الاشتغال بتلاوة القرآن، فالتالي لا يُسلّم عليه.

أخي الحبيب: هل تريد ضمان بدخول الجنة؟

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ - رضي الله عنه -: أَنَّ رَسُوْلَ الله -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «ثَلاثَةٌ كُلُّهُمْ ضَامِنٌ عَلَى اللهِ إِنْ عَاشَ رُزِقَ وَكُفِي، وَإِنْ مَاتَ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّة، مَنْ دَخَلَ بَيْتَهُ فَسَلَّمَ فَهُوَ

ضَامِنٌ عَلَى اللهِ، وَمَنْ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللهِ، وَمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ ضَامِنٍ عَلَى اللهِ». [رواه أبو داود بإسناد حسن كما قال النووي]، والمصافحة عند اللقاء سنة مرغّب فيها، ففي سنن الترمذي وأبي داود وابن ماجة عن البراء – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غُفِر لهما قبل أن يتفرقا».

وقال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –: « **ثلاث يُصفّين لك ود أخيك: أن تسلم عليه إذا لقيته، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب أسمائه**».

والسلام تحية أهل الجنة قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلا تَأْثِيماً* إِلاَّ قِيلاً سَلاماً سَلاماً ﴾، وقال عز وجل: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ﴾ [يونس: ١٠]

السلام جالب للبركة:

فإذا أردت أخي المسلم أن يبارك الله في نفسك وأهل بيتك فسلم عليهم كلما دخلت بيتك؛ فإن ذلك من أعظم أسباب البركة. فعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: قال لي رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «يا بني إذا دخلت على أهلك فسلم يكون بركة عليك وعلى أهل بيتك». فالبيت جنة المؤمن، جنته داره، فإذا كانت علاقته طيبةً، بأهله وأولاده يسعد في داره، وإذا سعد الإنسان في داره خرج إلى الناس وهو سليم الصدر وكان إنتاجه طيِّباً، فالإنسان يقاس إنتاجه بمدى نجاحه في بيته، فهذا البيت، هذا العُش، هذه اللبنة الأولى هي أصل صلاح المجتمع، إذا صلحت الأسرة صلح المجتمع، فلذلك على كل زوجٍ أو على كل أبٍ، أن يحرص حرصاً بالغاً على سلامة العلاقة بينه وبين أهله، وبينه وبين أولاده، فكلما كانت العلاقة طيِّبةً، والعلاقة علاقة محبةٍ واحترام وودٍ انعكس هذا في عمله، وانعكس

هذا في علاقاته الخارجية.

وعن عمار بن ياسر – رضي الله عنه – قال النبي عليه الصلاة والسلام:

« ثَلاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الإِيمَانَ الإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ وَبَذْلُ السَّلامِ لِلْعَالَمِ وَالإِنْفَاقُ فِي الإِقْتَارِ»[صحيح البخاري]

وعن أبي الدرداء – رضي الله عنه –قال رسول الله –ﷺ–:

« أفشوا السلام تعلوا ». أي يرفع الله من شأنكم، ويرفع لكم مقامكم في الدنيا، أفشوا السلام تعلوا.

وفي حديثٍ آخر عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ – رضي الله عنه – قَالَ: أن النبي عليه الصلاة والسلام قال:

«أَفْشُوا السَّلامَ تَسْلَمُوا » [مسند أحمد].

أفشوا السلام تعلوا، أفشوا السلام تسلموا، وعن ابن الزبير – رضي الله عنهما – عن النبي –ﷺ–قال:

« دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمُ الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ، وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ حَالِقَةُ الدِّينِ لا حَالِقَةُ الشَّعَرِ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَفَلا أُنَبِّئُكُمْ بِشَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ ».

حديث شريف يبدأه الرسول الكريم بالقسم فيحلف النبي–ﷺ– ، يحلف بربه سبحانه على حقيقتين متلازمتين الأولى أنه لا سبيل إلى دخول الجنة إلا بالإيمان، وهذه حقيقة إيمانية معلومة من الدين بالضرورة، أما الحقيقة الثانية فإن هذا الإيمان الموجب لدخول الجنة والمنجي من النار لا يتحقق بتمامه وكماله إلا إذا ارتبطت القلوب برباط المحبة في الله والأخوة في الله، وإن هذا الإيمان لا

يتحقق مع العداوة والتدابر والبغضاء ثم يدلنا الرسول ﷺ على ما يوصل إلى الجنة ويوثقها فيما بيننا وهو إفشاء السلام أي التزام تحية الإسلام عند التلاقي.

اقرأ عن الصحابة تحس أنهم يدٌ واحدة، كأنهم جسمٌ واحد؛ يحب بعضهم بعضاً، يدافعون عن بعضهم بعضاً، يعرفون قدر بعضهم بعضاً.

لكن بعض الناس من الخيلاء هجر مدرسة السلام، وأكثر ما يترك الناس السلام كبراً، تجد كثيراً من الناس إذا سلَّمت عليه؛ كأنك تسحب منه الرد سحباً، ومن الناس إذا صافحته صافحك برؤوس أصابعه، شُلّت أصابعه!

وهذا من جهله بسنة محمد -ﷺ-، ومنهم من ترك السلام جهلاً واستبدل مكانه كلمات ليست واردة كأن يقول: صباح الخير، وأهلاً وسهلاً.

وهذه تأتي كلها بعد السلام الشرعي الذي سنه عليه الصلاة والسلام.

وأخيراً فلا ننس كثرة السلام على نبينا الكريم صلوات الله وسلامه عليه ما تعاقب الليل والنهار، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله -ﷺ- قال: «**ما من أحد يسلم عليّ إلا رد الله عليّ روحي حتى أرد عليه السلام**» [رواه أبو داود واللفظ له، وأحمد في المسند وقال الألباني: حديث حسن]. والله أسأل أن يؤلف بين قلوب المسلمين، ويهديهم سبل السلام، وأن يجنبهم الفتن والآثام، وأن ينصرهم على أنفسهم وأعدائهم والشيطان، وصلى الله وسلم وبارك على محمد خير الأنام.

حقوق المسلم - عيادة المريض

الحمد لله ذي القوة المتين، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحق المبين، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله، الصادق الأمين، وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

لا زلنا مع حقوق المسلم على المسلم، واليوم ننتقل إلى حقٍ ثانٍ من حقوق المسلم على المسلم ألا وهو عيادته إذا مرض.

هناك إخوةٌ كرام كثيرون لا يُقيمون قيمةً لهذا الحق، ولا يعرفون قيمة عيادة المريض إلا إذا مرضوا ومضى يومان وثلاثة وأربعة أيام ولم يأتهم أحد.

المريض من أشد الناس حاجةً إلى المواساة، المريض من أشد الناس حاجةً إلى من يؤنسه، إلى من يدعوه إلى الصبر، إلى من يعطيه شحنةً روحيةً تُعينه على تحمل المرض، فلذلك النبي عليه الصلاة والسلام في أحاديث كثيرة جداً وصحيحة حثنا على عيادة المريض.

عيادة المريض سنةٌ مؤكدة، كلكم يعلّم أن في الدين فرضاً، وفي الدين ندباً، وفي الدين مباحاً، وفي الدين كراهةً، وفي الدين حراماً، فالشيء المندوب، أو السنة المؤكدة أو غير المؤكدة، هذا بين المباح وبين الفرض، ما معنى سنةٌ مؤكدة؟ أي فعلها النبي -ﷺ- كثيراً وتركها قليلاً، ما معنى سنة غير مؤكدة؟ أي فعلّها قليلاً وتركها كثيراً، فعيادة المريض سنةٌ مؤكدةٌ مثل صلاة الوتر وسنة الفجر

وصلاة العيدين.

عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «أَطْعِمُوا الْجَائِعَ وَعُودُوا الْمَرِيضَ وَفُكُّوا الْعَانِيَ»[رواه البخاري].

ولحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: «خَمْسٌ تَجِبُ لِلْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ رَدُّ السَّلامِ وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ»[أخرجه الشيخان واللفظ لمسلم].

المقصود من عيادة المريض: " تعهُّده، وتفقد أحواله وإيناسه والتلطف به"، فقد يكون في أمسِ الحاجة إلى شيء، هذا معنى عيادة المريض.

ولقد كان من أدب السلف - رضوان الله عليهم - إذا فقدوا أحداً من إخوانهم سألوا عنه، فإن كان غائباً دعوا له، وخلفوه خيراً في أهله، وإن كان حاضراً زاروه، وإن كان مريضاً عادوه.

يقول الأعمش - رحمه الله -: «كنا نقعد في المجلس، فإذا فقدنا الرجل ثلاثة أيام سألنا عنه، فإن كان مريضاً عدناه»[شعب الإيمان للبيهقي:١١/ ٤٣٠]..

وفي عيادة المريض تتجلى الأخوة بمعانيها وتظهر الأخلاق وسموها حين يكون المسلم في حالةٍ من العجز، وانقطاعٍ عن مشاركة الأصحاب، حبيس المرض، وقعيد الفراش.

في عيادة المريض إيناسٌ للقلب، وإزالة للوحشة، وتخفيفٌ من الألم، وتسليةٌ للنفس والأقارب.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي. قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ ! ! قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلانٌ فَلَمْ

تُطْعِمْهُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عندي مرضت فلم تعدني. قال يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده » لوجدت الثواب عنده، لوجدت الراحة عنده، لوجدت الأنوار عنده، لوجدت تجلي رب العالمين عنده. [رواه مسلم].

المريض لوجدتني عنده لأن المريض منكسر القلب نفسه رقيقة قريبةً من الله عزَّ وجل، لأنه في أثناء العلاج، الإنسان في المرض يشعر بضعفه، وخلق الإنسان ضعيفاً، المرض من نعم الله على الإنسان، لو أن الإنسان لم يمرض إطلاقاً لظن أنه قوي، ولكن هذا المرض بحجمه يعطيه حجمه الحقيقي، يجعله عبداً لا يقوى على شيء ذهبت قوته، انهارت قِواه ما هذا المرض؟ والله الذي لا إله إلا هو لو كشف الغطاء يوم القيامة لرأيت أن المرض من نعم الله الكبرى على الإنسان، لعل المرض هو الذي حثه على التوبة، لعل المرض هو الذي عرفه بعبوديته، لذلك الكافر يعلو ويعلو ويعلو، إلى أن تدق رقبته في أيام، المؤمن سنبلة تأتي الرياح فتميلها ثم تعود، ولكن الكافر كالشجرة العملاقة تأتي الرياح فتستأصلها من جذورها، وينتهي الأمر.

وتروي الأخبار أن النبي -ﷺ- عاد جاره اليهودي؛ وكانت هذه العيادة سبباً في إسلامه.

كان لأبي حنيفة جار إسكاف يعمل نهاره أجمع فإذا جنه الليل رجع إلى منزله وقد حمل لحما فطبخه أو سمكة فشواها ثم لا يزال يشرب حتى إذا دب الشراب فيه غزل بصوت يقول :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر .

فلا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم .

وكان أبو حنيفة يصلي الليل كله ففقد أبو حنيفة ليلة صوته فاستخبر عنه فقيل : أخذه الشرط وهو محبوس .

فلما صلى أبو حنيفة الصبح من غده ركب بغلته وجاء الأمير فاستأذن عليه فأذن له وأن لا ينزل حتى يطأ البساط ، فلم يزل الأمير يوسع له في مجلسه حتى أنزله مساويا له .

فقال : ما حاجتك ؟ فقال : إسكاف أخذه الحرس ليأمر الأمير بتخليته .

قال : نعم وكل من أخذ معه تلك الليلة ، فخلى جميعهم فركب أبو حنيفة والإسكاف يمشي وراءه ، ولما نزل مضى إليه وقال : يا فتى أضعناك ؟ قال : لا ، بل حفظت ورعيت جزاك الله خيرا عن حرمة الجار ورعاية الحق ، وتاب الرجل عما كان فيه.

عيادة المريض مفتاح من مفاتيح رحمة الله عزو جل، فعن ثوبان - رضي الله عنه - عن النبي عليه الصلاة والسلام قال:

«إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ ». قيل: " يا رسول الله وما الخرفة؟ فقال عليه الصلاة والسلام، **جناها**، يعني ثمارها " [صحيح مسلم].

أي ليس في الجنة فقط بل يأكل من ثمار الجنة.

وفي موطأ مالك ومسند أحمد واللفظ له، ورواته رواة الصحيح، والبزار،

وابن حبان في صحيحه عن جابر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «من عاد مريضاً لم يزل يخوض في الرحمة حتى يرجع، فإذا جلس اغتمس فيها»[صحيح، موطأ مالك و أحمد و البزار و ابن حبان] وفي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعاً: «من عاد مريضاً ناداه منادٍ من السماء: طبت وطاب ممشاك، وتبوأت من الجنة منزلاً»[أخرجه الترمذي وحسنه، وابن ماجه، واللفظ].

وعن علي - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول:

«مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً » أي صباحاً (إِلا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إِلا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ » [حَدِيثٌ حَسَنٌ رواه الترمذي].

إن عدته صباحاً صلَّت عليك الملائكة أي شعرت بالسعادة، وإن عدته مساءً صلَّت عليك الملائكة أي شعرت بهذه السعادة التي تلقيتها من صلاة الملائكة عليك، والخريف هو الثمر المخروف في الجنة المجتنى.

يا الله ما هذا الأجر العظيم على عيادة المريض إنها رسالة أن الإسلام يهتم بأخوتنا ووحدتنا واجتماعنا واعتصامنا.

الآن ما هي آداب عيادة المريض؟

أولاً: يستحب لعائد المريض أن يدعو له بالشفاء، وأن يأمره بالصبر لحديث عائشة بنت سعد بن أبي وقاص، أن أباها قال:

«اشْتَكَيْتُ بِمَكَّةَ فَجَاءَنِي النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- يَعُودُنِي وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى جَبْهَتِي ثُمَّ مَسَحَ صَدْرِي وَبَطْنِي ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا وَأَتْمِمْ لَهُ هِجْرَتَهُ ». [سنن أبي داود]

وعن ابن عباسٍ - رضي الله عنهما - أن النبي عليه الصلاة والسلام قال:

«مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مِرَارٍ: أَسْأَلُ اللهَّ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ إِلا عَافَاهُ اللهُّ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ ». [أخرجه أبي داود والترمذي].

وعن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي عليه الصلاة والسلام:

«كَانَ يُعَوِّذُ بَعْضَ أَهْلِهِ يَمْسَحُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ أَذْهِبِ الْبَاسَ اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي لا شِفَاءَ إِلا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَمًا» [رواه الشيخان البخاري ومسلم، متفقٌ عليه]

وعن أبي عبد الله عثمان بن أبي العاص - رضي الله عنه - أنه شكا إلى النبي عليه الصلاة والسلام وجعاً في جسده فقال له: «اجْعَلْ يَدَكَ الْيُمْنَى عَلَيْهِ وَقُلْ بِسْمِ اللهَّ أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهَّ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ سَبْعَ مَرَّاتٍ فَقُلْتُ ذَلِكَ فَشَفَانِيَ اللهُّ »[سنن ابن ماجة].

وكان عليه الصلاة والسلام يقول:

«لا بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللهُّ. » [صحيح البخاري]

وقد عاد جبريل النبي -صلى الله عليه وسلم-وقال: «بسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفسٍ أو عين حاسد، الله يشفيك، باسم الله أرقيك»[رواه مسلم من حديث أبي سعيد].

وعن أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - أن النبي عليه الصلاة والسلام عاد أنصارياً فأكب عليه يسأله قال:

«يا رسول الله ما غمضت لي عينٌ منذ سبع ليالي ولا أحد يحضرني (لا أحد يزورني)، فقال النبي عليه الصلاة والسلام:"مُصبّراً مواسياً: « أي أخي اصبر

تخرج من ذنوبك كما دخلت فيها ».

وكلكم يعلم الحديث المشهور عندما زار النبي صحابياً كان مريضاً قال له:

«ادع الله أن يرحمني قال: يا رب يرحمه. فقال الله عزّ وجل: كيف أرحمه مما أنا به أرحمه وعزتي وجلالي لا أقبض عبدي المؤمن وأنا أحب أن أرحمه إلا ابتليته بكل سيئةٍ كان عملها سُقْماً في جسده أو إقتاراً في رزقه أو مصيبةً في ماله أو ولده حتى أبلغ منه مثل الذر فإذا بقي عليه شيءٌ شددت عليه سكرات الموت حتى يلقاني كيوم ولدته أمه».

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- دَخَلَ عَلَى رَجُلٍ يَعُودُهُ فَقَالَ:

«لا بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللهُ. فَقَالَ: كَلا بَلْ حُمَّى تَفُورُ عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ كَيْمَا تُزِيرَهُ الْقُبُورَ. فقَالَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-: فَنَعَمْ إِذًا». [صحيح البخاري].

المؤمن لا يتشاءم ولا ييأس من رحمة الله لماذا التشاؤم؟ لماذا اليأس من رحمة الله عزَّ وجل؟ لعل النبي عليه الصلاة والسلام أراد أن يردعه.

ها هي امرأةً مُدرسة في المغرب ألفت كتاباً عنوانه " لا تنس ذكر الله "، أُصيبت بمرضٍ عضال، بورمٍ خبيث في ثديها، وحينما جابت كل أطباء فرنسا، فآخر طبيب أخبر زوجها أنه بقي في حياتها أسبوع، واضطر زوجها أن يخبرها بذلك، فأحبت أن تموت في البلاد المقدسة، وانتقلت إلى الديار المقدسة، ودخلت إلى الكعبة المشرفة، وطافت حولها ثمانية عشر شوطاً إلى أن أُغمي عليها، لأنها يائسة، وبعد هذا الطواف الشديد وهذا البكاء والابتهال والتضرع والخشوع، واستمرت في ذلك أياماً عديدة بلغت عشرين يوماً، تطوف كل يوم، ولا تأكل

شيئاً بل تشرب ماء زمزم، ثم تحسست أماكن الورم الخبيث فلم تجد شيئاً، فكاد عقلّها يطير أو كاد أن يختل توازنها من شدة الفرح، عادت إلى فرنسا وأطلعت الطبيب على حالتها، فكان الطبيب في دهشةٍ بالغة، ليس هناك أي أثر لكنه احتياطاً أعطاها دواء هذا الدواء أسقط شعرها كلّه، فتألمت ثانيةً ألماً شديداً، ورأت النبي عليه الصلاة والسلام وشكت له سقوط شعرها، فمسح بيده الشريفة على رأسها ونبت شعرها بسرعةٍ غريبة، وهي الآن تتمتع بأتم أنواع الصحة، وعادت إلى الله عودةً وتابت توبةً لو وزعت على أهل بلدٍ لكفتهم، ومرضها عضالٌ خبيث ظهر في أماكن عدة من جسمها، الذي عند الله ليس عند العبيد، اليأس نوعٌ من أنواع الكفر بالله، والقنوط من رحمة الله من صفات الكافرين:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[الزمر: ٥٣]

فهو كما قال الشاعر:

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فُرجت وكنت أظنها لا تفرج

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً﴾[الطلاق:٢].

ثانيا من آداب العيادة : يستحب للزائر أن يضع يديه على مكان المرض ويسمّ الله تعالى ويدعو للمريض لما تقدم، ويستحب للزائر ثالثاً أن يطيب نفس المريض بإطماعه في الحياة، أن ينفس له في الأجل، أصابه مرض، زاره شخص قال له: كم عمرك؟ قال له: اثنان وأربعون عاماً، قال له: يكفيك ذلك، ما هذه العيادة هذه؟ ! يجب أن تنفس له في الأجل، أن تطمّعه في الحياة، إن شاء الله عزَّ وجل يكرمك

وتزوج بناتك وتفرح فيهم، وبناته صغار، أعمارهم سنتان وثلاثة ومرضه شديد فأن تدعو له أن يزوج بناته، ويكبروا ويزوجهم، وترى أولادهم إن شاء الله، هكذا أدب الدعوة،

فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رضي الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- :

«إِذَا دَخَلْتُمْ عَلَى الْمَرِيضِ فَنَفِّسُوا لَهُ فِي الأَجَلِ فَإِنَّ ذَلِكَ لا يَرُدُّ شَيْئًا وَهُوَ يَطِيبُ بِنَفْسِ الْمَرِيضِ »[سنن ابن ماجة]

ودخل رجلٌ على عمر بن عبد العزيز يعوده في مرضه فسأله عن علته فأخبره، فقال الزائر: إن هذه العلة ما شفي منها فلان، ومات منها فلان. فقال عمر: إذا عدت مريضاً فلا تنع إليه الموتى، وإذا خرجت عنا فلا تعد إلينا. ويقول سفيان الثوري: حماقة العائد أشر على المرضى من أمراضهم، يجيئون من غير وقتٍ، ويطيلون الجلوس.

و يستحب لعائد المريض أن يطلب منه الدعاء؛ فإن دعاء المريض مستجاب ، لحديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن النبي عليه الصلاة والسلام قال:

«عودوا المرضى ومروهم فليدعوا لكم فإن دعوة المريض مستجابةٌ وذنبه مغفور».

لأنه رقيق قريب من الله عزَ وجل، دائماً المريض تجده صافياً،

ويستحب تخفيف العيادة، النبي الكريم حددها قال: «العيادة فُوَاقَ نَاقَة»[رواه ابن أبي الدنيا في "المرض والكفارات" (١٨٢/ ١) وضعفه الألباني].

واحد قعد ثلاثة ساعات أصبحوا حلبتين وليس ناقة، «**العيادة فُوَاقَ نَاقَةٍ**» أي مقدار حلب ناقة عشر دقائق، تخفيف العيادة وعدم تكرارها، إلا إن رغب المريض ذلك في حالات خاصة.

ومن الآداب: ثالثاً: يستحب للعائد ألا يتناول عند المريض طعاماً ولا شراباً "، هنا حكمة النبي عليه الصلاة والسلام، توجد أمراض معدية أو لعلة أن هذا المريض منعه الطبيب من هذه الأكلة، فإذا أكلتها أمامه قد يشتهيها وقد يأكلها مغلوباً فيتأخَّر شفاؤه، هذه الحكمة الثانية، أما الحكمة الثالثة، قد يكون أهل المريض في شغل، حتى صنع فنجان من القهوة صعب عليهم ومشغولين، أو قد يكون لا يوجد أحد يقدم لك القهوة وزوجته في الداخل، وأنت جالس، وهو لا يستطيع أن يقوم من الفراش، فالنبي الكريم قال:

«إذا عاد أحدكم مريضاً فلا يأكل عنده شيئاً فإذا أكل عنده شيئاً فهذا حقه من عيادته»[ضعيف الجامع/ ٥٩٢] ذهب أجره.

ومما ينبه إليه في هذا المقام أن بعض الناس يثقلون على أنفسهم؛ فيحملون إلى المريض هدايا وغيرها، وقد يحملون أموراً من عادات غير أهل الإسلام، وهذا ليس من آداب الزيارة في شيء، بل هو تكلُّف ظاهر، ومجاملات ثقيلة، تقليد أعمى، وهو قد يدفع من لا قدرة لهم إلى التقاعس عن الزيارة الشرعية التي أمر الله بها ورسوله. وحاجة المريض إلى الدعاء، والكلمات الطيبة، والملاحظات الرقيقة أولى من هذه المحمولات. أما ما كان صدقةً لفقير، أو مساعدة لمحتاج، فهذا له شأن آخر لا ينبغي أن يكون مربوطاً بالزيارة أو شرطاً فيها.

أسأل الله أن يوفقني وإياكم لما يحب ويرضى، وأن يهدنا وإياكم لصالح الأقوال والأعمال والنيات، ولما اختلف فيه من الحق بإذنه، إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

حقوق المسلم - النصيحة

الحمد لله الذي جعل المؤمنين إخوة في الإيمان وشبههم في دعم بعضهم بعضا وشد بعضهم بعضا وقيام بعضهم ببعض بالبنيان وشرع لهم من الأسباب ما تقوم به تلك الأخوة وتستمر على مدى الزمان

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في الألوهية والأسماء والصفات والسلطان وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث إلى جميع الإنس والجان صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان وسلم تسليما.

وبعد.

لا زال الحديث معكم مع حقوق المسلم على أخيه المسلم فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**حق المسلم على المسلم ست** »**قيل وما هن يا رسول الله قال إذا لقيته فسلم عليه وإذا دعاك فأجبه وإذا استنصحك فانصح له وإذا عطس فحمد الله فشمته وإذا مرض فعده وإذا مات فاتبعه**». واليوم سنعيش مع حق النصيحة.

إن أخطر شيءٍ في حياة الإنسان دينه قال:

ابن عمر - رضي الله عنهما -: « **دينك دينك إنه لحمك ودمك**».

يعني طالب عنده مكتبة كبيرةٌ جداً، لكن هناك كتاباً واحداً في هذه المكتبة هو الكتاب المقرر الذي سيؤدي فيه امتحاناً ويعلّق على هذا الامتحان آمالاً ضخمة، إذاً هذا الكتاب ليس ككل الكتب.

رجل الأعمال في محفظته أوراق كثيرة لكن أخطر وثيقةٍ في هذه المحفظة

جواز سفره، لولا هذا الجواز لبقي في أرضه، إذاً الدين أخطر شيءٍ في حياة الإنسان، هناك زوجته، هناك عمله، هناك صحته، هناك دخله، لكن الدين متعلقٌ بالآخرة، موضوع الدين موضوعٌ مصيري، وكان من دعاء النبي -ﷺ-: «اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا».

المصيبة في المال والولد تهون وتعوض لكن مصيبة الدين لا تجبر. إذا سكنت في بيت هي سنواتٌ وتمضي؛ إن كان واسعاً أو ضيقاً، عالياً أو منخفضاً، ملكاً أو أجرةً، سنواتٌ تمضي الزوجة لا بدَّ من أن يمضي وقتٌ تفارقها أو تفارقك، لكن الشيء الذي سيتصل بحياتك الأبدية هو الدين.

النبي عليه الصلاة والسلام في تعريفٍ جامعٍ مانعٍ للنصيحة كما جاء عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ».

وهذا الكلامُ فيه حصرٌ- وقَصر-، بمعنى أنّ الدّين محصور ومقصورٌ في النّصيحة، فمنِ اتّصف بالنّصيحة فقد أحرَز الدينَ كلَّه، ومن حُرِم النصيحةَ فقد فاتَه من الدّين بقدر ما حُرم من النصيحة.

وتفسيرُ النّصيحة هي القيامُ بحقوق المنصوح له مَع المحبّة الصادقةِ للمنصوح له، والنّصحُ مِن صفاتِ الأنبيَاء والمرسَلين والمؤمنِين، والغشُّ والخِداع والمَكر وفسادُ النوايا من صفات الكفّار والمنافقين، قال الله تعالى عن نوحٍ عليه الصلاة والسلام: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف:٦٢]، وهو أنّه أرادَ بأمّته الخيرَ ونصح لهم، وقال تعالى عن هودٍ عليه الصلاة والسلام: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّى وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ

أَمِينٌ﴾[الأعراف:٦٨]، وقال عن صالح عليه السلام: ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾[الأعراف:٧٩]، وقال عن شعيب عليه السلام: ﴿يا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءاسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾[الأعراف:٩٣]، وقال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ للّهِ وَرَسُولِهِ﴾[التوبة:٩١].

وهذا جرير بن عبد الله البجلي - رضي الله عنه - يروي لنا مبايعته للنبي -صلى الله عليه وسلم- فيقول: (**بايعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم**)، وهذا الإمام النووي رحمة الله عليه يقول في شأن النصيحة للمسلمين: **(إرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم، وكف الأذى عنهم، فيعلمهم ما يجهلونه من دينهم وستر عوراتهم، ودفع المضار عنهم، وجلب المنافع لهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص، والشفقة عليهم، وتوقير كبيرهم، ورحمة صغيرهم، وتخولهم بالموعظة الحسنة، وترك غشهم وحسدهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير، وأن يكره لهم ما يكرهه لنفسه من المكروه، والذب عن أموالهم وأعراضهم وغير ذلك)**.

هذا الفضيل بن عياض أحد أئمة التابعين يبين لنا ويرشدنا فيقول: (**ما أدرك عندنا من أدرك بكثير صلاة ولا صيام، وإنما أدرك من عندنا بسخاء النفس، وسلامة الصدر، والنصح للأمة**)**.**

وعن الحسن البصري رحمة الله عليه أنه قال: **(لو شئتم أن أقسم لكم لأقسمن: إن أحب عباد الله إلى الله الذين يحببون الله إلى عباده، والذين يحببون عباد الله إلى الله، ويمشون في الأرض بالنصيحة)**.

ويقول في مقالة أخرى: (**يجب عليك لأهل قبلتك أربع: تعين محسنهم، وتحب تائبهم، وتستغفر لمذنبهم، وتدعو لمدبرهم**).

والنصح مرآة تكشف عيوب النفس؛ فأن من جوانب أهمية النصح أنه يجلي للإنسان وللأمة، وللجماعة وللدولة صفة نفسها وصورتها، فهو مرآة حقيقية لا زيف فيها ولا تزيُّد ولا تنقص.

وربما لا يستطيع الكثير من الناس أن يعرفوا عيوب أنفسهم؛ وذلك لأن الإنسان يمارس عيبه أحيانًا بشكل طبعي، وربما يعتقد أحيانًا صوابه ولا يرى أنه خطأ، فكم من إنسان يقع في الخطأ وهو يظن أنه صواب، فيحتاج إلى من يبصِّره بهذا الخطأ، ويقول له: أخطأت والصواب كذا وكذا.

والنصيحة لها آداب فمن آدابها:

أن لا يقصد بها التشهير وان تكون في السر.

فهناك فرق بين النصيحة والفضيحة فهذا الفضيل بن عياض يبين لنا الفرق فيقول: (**إن المؤمن يستر وينصح، وإن المنافق والفاجر يهتك ويعير**).

فإن كنت مؤمناً مخلصاً في محبتك لإخوانك فاستر عليهم قصورهم وعيوبهم، ثم اخلص بالأسلوب الحسن والحكمة والموعظة الحسنة إلى قلوبهم وإلى آذانهم وإلى عقولهم، وانصحهم بالتي هي أحسن.

تعمَّدني بنصحك في انفرادي وجنبني النصيحة في الجماعة
فإن النصح بين الناس نوع من التوبيخ لا أرضى استماعه
وإن خالفتني وعصيت قولي فلا تجزع إذا لم تعط طاعة

قال بعضهم: «**من وعظ أخاه فيما بينه وبينه، فهي نصيحة، ومن وعظه على**

رؤوس الناس فإنما وبخه ».

ويقول عليه الصلاة والسلام: « **يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه! لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من يتتبع عورات المسلمين يتتبع الله عورته حتى يفضحه في بيته**»[رواه أبو داود].

أخي الحبيب: لا تكن ملقاطاً يلقط العثرات والعيوب والسيئات وينسى الحسنات انظر بعين النحلة ولا تنظر بعين الذباب.

ومن آداب النصيحة أن يكون النصح بلطف وأدب ورفق:

وحتى يترك المنصوح الأمر أو يفعله لابد له من انفتاح قلبه له، ولابد لهذا القلب من مفتاح، ولن تجد له مفتاحاً أحسن ولا أقرب من لطف في النصح، وأدب في الوعظ، ورفق في الحديث، كيف لا والنبي -ﷺ- يقول: « **ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه** ».

كلنا يحفظ حديث الأعرابي الذي وقف في مسجد النبي -ﷺ-وبال إلى جوار رسول الله -ﷺ-، هل تتصور هذا المشهد؟ أعرابيٌّ يدع هذه الصحراء المترامية ولا يجد مكانًا يقضي فيه حاجته إلا في مسجد رسول الله -ﷺ-، بل وفي حضرته الشريفة -ﷺ-، ويقول الصحابة مه مه، ماذا تصنع أيها الرجل؟ ! ، والرسول -ﷺ-سيد الدعاة يقول « **لا تزرموه** »، أنا لا أقول هذا من باب الإعجاب السالب أيها الأحبة، أو لمجرد الثقافة الذهنية الباردة، بل أنا أبين منهجًا عمليًّا للدعوة إلى الله تبارك وتعالى، وواجبٌ لكل سالكٍ على هذا الطريق والدرب المنير أن يكون على هذا المنهج العظيم.

« **لا تزرموه** » أي لا تقطعوا عليه بولته، ويقضي الرجل تبوله باطمئنانٍ كامل، حتى يقضي الرجل حاجته فيُنادي عليه رسول الله -ﷺ- نهر الرحمة

وينبوع الحنان وأستاذ الخلق والأدب ويقول إن المساجد لا تصلح لشيءٍ من هذا، إنما جُعلت للصلاة ولذكر الله وقراءة القرآن، ويأمر النبي -ﷺ- صحابيًّا فيأتي الصحابي بدلو من الماء فيشنه على أثر البول ويطهر المكان، وانتهت القضية، وانتهت المشكلة، ما أمر النبي الصحابة أن يلقوا هذا الرجل من يديه وقدميه خارج المسجد، ما عنفه، ما وبخه، ما آذاه بكلمة ولا بلفظة، لا والله، وإنما انفعل هذا الأعرابي بهذا الخلق الكريم فدخل الصلاة خلف رسول الله -ﷺ-، ثم دعا الله بهذا الدعوة التي سمعها النبي -ﷺ-، سمع الأعرابي يقول "اللهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا"، لم يجامله النبي -ﷺ- على حساب المنهج أيضًا، وإنما لما قضى النبي -ﷺ- صلاته قال: « **لقد حجرت واسعًا** »، يعني لم تضيق ما وسع الله تبارك وتعالى؟ والله جلّ وعلا يقول: ﴿ **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾[الأعراف:١٥٦].

جاء شاب إلى النبي -ﷺ- يستأذنه في الزنا يقول: يا رسول الله ائذن لي في الزنا، جاهلٌ تحريم الزنا أو يعلم التحريم، ولكن يرى أن له ظروفاً ربما تبيح له الزنا، فدعاه النبي وقال: «**يا هذا، أترضى بالزنا لأمك؟ !** » قال: لا، قال: «**والناس لا يرضونه لأمهاتهم، أترضاه لزوجتك؟ !** » قال: لا، قال: «**والناس لا يرضونه لزوجاتهم، أترضاه لابنتك؟ !** »قال: لا، قال: «**والناس لا يرضونه لبناتهم، أترضاه لعمتك؟ !** » قال: لا، قال: «**والناس لا يرضونه لعماتهم، أترضاه لخالتك؟ !** » قال: لا، قال: «**والناس لا يرضونه لخالاتهم**»، ثم إنه ضرب صدره وقال: «**اللهم أعفه وحصنه وطهر قلبه**»، قال - رضي الله عنه -: فما هممت بفاحشة بعد ذلك.

وفي قصة معاوية بن الحكم وقد عطس أمامه رجل في صلاته فشمته معاوية وهو يصلي يقول: فحدقني القوم بأبصارهم. فقلت: واثكل أمياه مالكم تنظرون إليّ. ؟ قال: فضرب القوم بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يسكتونني لكني سكت.

فلما انصرف رسول الله -ﷺ- دعاني، بأبي هو وأمي، ما ضربني ولا كهرني ولا سبني، ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه.

قد يفهم المسلمون الدين أنه صلاةٌ وصيام وحجٌ وزكاة، عمر - رضي الله عنه - قال: « **من شاء صام ومن شاء صلى ولكنها الاستقامة** ».

«**من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بُعداً**» .

إذا وقفت لتصلي فاعلم أن الصلاة امتحان، بل إنها ميزانٌ كما قال عليه الصلاة والسلام، إن ما بين الصلاتين؛ استقامتك، صدقك، غضُّك للبصر، نُصحك للمسلمين، ورعك، وتجارتك، وبيعك، وشرائك.

الدين ليس شعائر تؤدى وكفى، أو كتابٌ يُقرأ، أو مجلس علمٍ يُحضر، أو حجٌ يُؤدى، أو احتفالٌ بعيد المولد يُقام وانتهى الأمر، ونحن على ما نحن عليه، هذا هو الفهم السقيم للدين.

الدين شيءٌ يدخل في كل حياتك، في كل حركاتك وسكناتك، في كل نشاطاتك، في كل علاقاتك، فالنبي عليه الصلاة والسلام، قال:

«**الدِّينُ النَّصِيحَةُ** ».

أي إذا جاءك أخ مسلم أو غير مسلم، إلى محلك التجاري وأراد أن يشتري منك حاجة، وأنت من أجل أن تبيع هذه الحاجة الكاسدة أوهمته أنها جيدة، وأثنيت عليها بما لا تستحق، حتى أقنعته بشرائها، إنك لم تنصحه، إذاً ما قيمة

دينك؟ ما قيمة صلاتك؟ «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**».

، إذا غششت المسلمين فلست مسلماً، النبي عليه الصلاة والسلام نفى عنك صفة الإسلام:

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- قَالَ: «**مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاحَ فَلَيْسَ مِنَّا وَمَنْ غشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**».

النبي -ﷺ- أخرجك من دائرة المسلمين إذا لم تنصح أخاك، أي إذا قال لك: ماذا أفعل بهذا المبلغ، لو أن هذا المبلغ لك تشتري به دكاناً، تقول له: لا أعطني إياه، ماذا كنت تفعل لو أن هذا المبلغ معك؟ بماذا نُصحُك لهذا الإنسان صاحب المبلغ ينم عن دينك، يجب أن تنصح له بما أنت فاعلٌ لنفسك، بما أنت تفعل لو أن هذا المبلغ لك، "الدين هو النصيحة، وأن الدين المعاملة".

والعوام يقولون هذا الكلام: الدين المعاملة، الدين في تعاملك مع زوجتك، الدين في تعاملك مع عُمَّالك، الدين في تعاملك مع أولادك، الدين في تعاملك مع جيرانك، يجب أن تعرف حدك فتقف عنده، حينما فهم المسلمون أن الدين عباداتٌ شعائرية صاروا خلف الأمم، ولم تكن كلمتهم هي العليا، وحينما فهم أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام، أن الدين نصحٌ لكلّ مسلم، الدين معاملة، الدين انضباط، فتحوا العالم.

يجب أن نرجع إلى ينابيع الإسلام الأولى، إلى ينابيعه الصافية، الآن لاحظ أن المسلمين يصلون، الجوامع ممتلئة، ولكن إذا دخلت إلى الأسواق رأيت الكذب، ورأيت الغش، ورأيت الخداع، ليس هذا من الدين في شيء، إذا أردت أن تكسب وقتك، إذا أردت أن تكسب حياتك، إذا أردت أن تضع يدك على جوهر

الدين، إذا أردت أن تكون من المؤمنين الصادقين فالدين النصيحة، لو أن إنساناً قال لك: أنا لا أعرف انتق لي شيئاً على ذوقك، وانتقيت له الشيء الكاسد الغير المرغوب فأنت لست مؤمناً.

ثمار النصيحة

النصيحة بذرة طيبة يبذرها الناصح، ولابد للبذرة السليمة التي روعي فيها ما يصلح الزرع من ثمرة، وكذا النصيحة، فإذا روعيت آدابها وشروطها رجونا أن تتحصل منها الثمار الطيبة، والآثار الخيرة، ويمكن إجمال ثمار النصيحة في الأمور التالية:

١ - تنقية المنصوح من الشوائب:

فإن الناصح عندما يرى من منصوحه غفلة عن خير، أو وقوعاً في شر، فيعمد إلى تقوية وتنقية نفسه من الشوائب سيراً بها إلى التقليل من القصور في حق الله أولاً، ثم في حق عباده ثانياً، وهذا مكسب كبير للإنسان لو تمعن فيه، وهذا تكميل لنقص وقع فيه المرء من حيث لا يدري أو لا يدري، فإذا بمتطوع يذب عنه النقص، ويخلصه من الذنب، وأي شائبة أشد من التقصير في حق ذي الحق؟ وأي نقاء أكرم وأبرك من حرص أخيك عليك؟

٢ - دوام المحبة والألفة:

فإن المنصوح إذا نصحه الناصح بما يسدد خطأه، ويكمل نقصه، كان ذلك طريقاً لدوام الألفة بين الاثنين، ذلك لأن الناصح محب لمنصوحه، ويحب لأخيه ما يحب لنفسه، ولابد أن يقابله صاحبه بمثل ذلك إن كان عاقلاً، وعليه فكم من

نصيحة صادقة أدامت بين الأحبة وداً، وسدت في شخصية أحدهم نقصاً، وأبعدت عن النفس غوائل الشيطان، وألحقت من تأخر وتلكأ بالركب!!

٣- أداء حق الأخوة:

إن الناصح حين ينصح غيره إنما يؤدي ما لأخيه من حق عليه، وهذا الحق يتعلق بحب المرء لغيره مثل ما يحبه لنفسه، وهذا الأمر يؤدى بطرق منها النصيحة.

ذلك لأنك لا تحب لنفسك النقص ولا ترضاه، بل تعمل على إزالته وتلافيه، وواجب الأخوة يفرض عليك أن تعامل أخاك المنصوح بمثل ما تعامل به نفسك، وطالما أنك لا ترضى لنفسك النقص، فأنت لا ترضى لأخيك النقص، لذا تقوم بنصحه وإرشاده وإعانته على الخير، وإبعاده عن الشر.

وهذه أمور لابد لمن تآخيا من تحقيقها، وعنوان تحقيق ذلك بذل النصح لمن احتاج إليه ليكون علامة للأخوة، وطريقاً لقرب القلوب، وسداً أمام الضغائن والمحن.

وفي هذا الباب يحدثنا أبو حاتم محمد بن حبان البستي فيقول: « **النصيحة إذا كانت على نعت ما وصفنا تقييم الألفة وتؤدي حق الأخوة**» ، وفي هذا يقول الخليفة عمر بن عبد العزيز: « **من وصل أخاه بنصيحه له في دينه، ونظر له في صلاح دنياه، فقد أحسن صلته، وأدى واجب حقه...** » [تاريخ الطبري ٦/ ٥٧٢].

ولعل سائلاً يسأل هناك كيف تكون النصيحة من حقوق الأخوة مع أن فيها ذكر العيوب وهذا يوحش القلب؟

ويجيب عن هذا السؤال الإمام الغزالي فيقول: ((فاعلم أن الإيحاش إنما يحصل بذكر عيب يعلمه أخوك من نفسه، فأما تنبيه على ما لا يعلمه، فهو عين الشفقة، وهو استمالة القلوب، أعني قلوب العقلاء، وأما الحمقى فلا يلتفت إليهم، فإن من ينبهك على فعل مذموم تعاطيته، أو صفة مذمومة اتصفت بها لتزكي نفسك عنها، كان كمن ينبهك عن حية أو عقرب تحت ذيلك، وقد همت بإهلاكك، فإن كنت تكره ذلك فما أشد حمقك، والصفات الذميمة عقارب وحيات، وهي في الآخر مهلكات)) [احياء علوم الدين: ٢/ ١٨٢].

٤- حصول الأجر:

الناصح إذا أسدى لغيره نصحاً استحق عليه الأجر العظيم من الله سبحانه وتعالى، على حرصه على إخوانه، وحبه لهم.

وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

حقوق الأخوة في الله

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ملكه وسلطانه، ولا مثل له في أسمائه وصفاته، وبره وإحسانه، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، المؤيد ببرهانه، اللهم صل وسلم على محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأعوانه.

وبعد:

سيكون الحديث في هذه الدقائق مع حقوق الأخوة أي أخوة إنها ليست أخوة النسب وليست أخوة الدم والعرض إنها الأخوة في الله.

إن الأخـوة في الله لا يمكن أبداً أن تتحقق إلا على عقيدة التوحيد بصفائها وشمولها. هذه الأخوة حولت الجماعة المسلمة الأولى من رعاة للغنم إلى سادة وقادة لجميع الدول والأمم يوم أن آخى النبي ابتداءً بين الموحدين في مكة ثم آخى ثانياً بين أهل المدينة من الأوس والخزرج.

الأخـوة في الله نعمة من الله وفيض من الله يغدقها الله على المؤمنين الصادقين. **الأخوة في الله** امتزاج روح بروح، و تصافح قلب مع قلب.

الأخوة في الله شرابٌ طهور يسقيه الله للمؤمنين الأصفياء الأتقياء.

الأخوة في الله قرينة الإيمان فلا أخوة بلا إيمان، ولا إيمان بلا أخوة، فإن وجدت أخوة من غير إيمان، فاعلم بأنها التقاء مصالح وتبادل منافع وإن رأيت إيماناً بدون أخوة صادقة، فاعلم بأنه إيمان ناقص يحتاج صاحبه إلى دواء وإلى

عـلاج؛ لـذا جمـع الله بـين الإيـمان والأخـوة، فقـال سـبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[الحجرات:١٠].

فالمؤمنون جميعاً كـأنهم روح واحـد، حـل في أجسـام متعـددة كـأنهم أغصـان متشابكة تنبثق كلها من دوحة واحدة وهو مصداق قول الرسول الكـريم: «مثـل المؤمنين في توادهم وتعـاطفهم وتـراحمهم كمثـل الجسـد الواحـد، إذا اشـتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[البخاري ومسلم].

أن أخوة الإيمان أعظم حقاً من أخـوة النسـب فإخواننـا في الإيـمان يـذكروننا بالله بينما أخواننا في النسب يذكروننا بالدنيا وما عليها.

الأخوة الموصولة بحبـل الله، نعمـة امـتن بهـا ربنـا جـل وعـلا عـلى المسـلمين الأوائل، فقال سبحانه وتعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[آل عمران:١٠٣].

فالأخوة من الله نعمة امتن الله عز وجل بها على المسلمين فمستحيل أن تجد قانوناً وضعياً على ظهر الأرض يؤلف بين القلوب أبداً ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[الأنفال:٦٣]. ولقد كان من الحكم العظيمة لأركان الإسلام الخمسة إرساء دعائم الأخوة الإيمانية، فالشهادتان هما الشعار الجامع للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

والصلاة شُرع أداؤها في جماعة ليجتمع المسلمون في الصلوات الخمس اجتماعاً صغيراً ثم يأتي الاجتماع الأكبر لأهل الحي في صلاة الجمعة ثم اجتماع أكبر لأهل البلد في صلاة العيد والغرض من هذه الاجتماعات أن يتعارف المسلمون وأن يتآلفوا ويتعرفوا على حوائج من يحتاج منهم إلى مساعدة.

ثم الزكاة تؤدي إلى التآخي والتراحم بين الأغنياء والفقراء.

ثم الصيام صورة لاجتماع المسلمين على شعيرة ظاهرة يمسكون عن الطعام في وقت واحد ويفطرون في وقت واحد، ويشعر الصائمون بحاجة الجائعين.

ثم الحج اجتماع للمسلمين يضم وفوداً من كل فج عميق من فجاج الأرض فيتعرف المسلمون من خلاله على أحوال إخوانهم في شتى بقاع الأرض.

إن الأمة المتشرذمة المتشتتة الممزقة، لن تقوم لها قائمة ولن يكون لها كيان إلا إذا اتحد صفها والتقى شملها وتجمع أبناؤها، ولن يجمع هذا الشتات المتنافر إلا الأخوة الصادقة في الله أسأل الله أن يجعلنا من الصادقين.

ومن حقوق هذه الأخوة:

الحق الأول: الحب في الله والبغض في الله، محال أن تتحقق أخوة صادقة من غير حب في الله وبغض في الله، فالحب في الله والبغض في الله أوثق عرى الإيمان يقول -ﷺ-: «**أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله عز وجل**» [رواه الطبراني بسند حسن].

وفي الحديث الذي رواه أبو داود والضياء المقدسي وصححه الشيخ الألباني من حديث أبي أمامة - رضي الله عنه - أنه -ﷺ- قال: « **من أحب وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان**».

هل تحب لله؟ هل تبغض لله؟ هل تعطى لله؟ هل تمنع لله؟ ما الذي جاء بك الآن؟ لماذا أتيت؟ ولماذا لم تأت؟ ولماذا تكلمت؟ ولماذا صَمَت؟ ولماذا أعطيت؟ ولماذا منعت؟ ولماذا ابتسمت؟ ولماذا غضبت؟ ولماذا واليت؟ ولماذا عاديت؟

وفى الصحيحين من حديث أنس - رضي الله عنه - أنه -صلى الله عليه وسلم- قال: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار**».

إذا كانت هذه هي حلاوة الإيمان، فإن للإيمان طعماً، إن للإيمان حلاوة، «**وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله**»، وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة - رضي الله عنه - أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**».

في يوم ستدنو فيه الشمس من الرؤوس لا عمارات ولا أشجار ولا بيوت، ولا مكيفات، الشمس فوق الرؤوس، تغلي الرؤوس من حرارتها، الزحام يكاد وحده أن يخنق الأنفاس، فالبشرية كلها من لدن آدم إلى آخر رجل، قامت عليه الساعة في أرض المحشر تقف كلها في أرض واحدة وجهنم تزفر وتزمجر، قد أتى بها لها سبعون ألف زمام مع كل سبعون ألف ملك يجرونها.

في ظل هذه المشاهد التي تخلع القلب ينادى الله جل وعلا على سبعة من البشر في أرض المحشر ليظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله من هؤلاء؟ « **إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله**» أسأل الله أن تكون منهم « **ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه**» من منا يعجز عن هذه؟ « **ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه**- أي اجتمعا على الحب في الله وتفرقا على الحب في الله- **ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال**- أي: للزنا- **فقال: إني**

أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه».

اللهم ارزقنا عيناً دامعة وقلبا خاشعاً وعملا متقبلاً يا رب العالمين.

وفى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة - رضي الله عنه -أن النبي قال: «أن رجلا زار أخا له في قرية أخرى فأرصد الله له على مدرجته ملكا فلما أتى الملك قال له الملك: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية هل لك من نعمة عليه تربها- أي تبتغى زيادتها- قال: لا، غير أنى أحببته في الله عز وجل فقال له الملك: فإني رسول الله إليك أخبرك بأن الله قد أحبك كما أحببته».

و عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: « إن من عباد الله لأناساً ما هم أنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء و الشهداء بمكانتهم من الله. فقالوا: يا رسول الله تخبرنا من هم؟ قال: قوم تحابوا بينهم على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى نور، لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنوا إذا حزنوا، ثم قرأ: ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم و لا هم يحزنون﴾.

وفى الحديث الذي رواه البخاري ومسلم أنه -صلى الله عليه وسلم-قال: «والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم» قالوا: بلى يا رسول الله قال: « أفشوا السلام بينكم ».

سلم على أخيك بصدق وحرارة لا تسلم سلاماً باهتاً بارداً ووجهك في اتجاه آخر، خذ على يد أخيك بحب، فإنك قد ترى الأخ يمد يده أو طرف أصابعه في يد أخيه ويلوى عنقه إلى ناحية أخرى لا تشعر بحرارة اللقاء، ولا بإخلاص

المصافحة لا تشعر بأن القلب قد صافح القلب، ولا تحس بأن الروح قد سلمت وامتزجت بالروح.

والنبي -ﷺ- يقول كما في صحيح مسلم من حديث أبى هريرة - رضي الله عنه - قال عليه الصلاة والسلام: « **الناس معادن كمعادن الفضة والذهب وخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا والأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف** ».

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾[مريم:٩٦].

أي محبة في قلوب عباده المؤمنين كما في الصحيحين من حديث أبى هريرة - رضي الله عنه رحمه الله -« **إذا أحب الله عبدا نادى السماء: يا أهل السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم ينادى جبريل في أهل الأرض: يا أهل الأرض إن الله يحب إني أبغض فلانا فأبغضه، فيبغضه جبريل وينادى في أهل السماء: يا أهل السماء إن الله يبغض فلانا فأبغضوه فيبغضه أهل السماء: ثم ينادى في الأرض: إن الله يبغض فلانا فأبغضوه فيوضع أو فتوضع له البغضاء في الأرض**»، اللهم عاملنا بفضلك ورحمتك واستر علينا ذنوبنا وعيوبنا بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين.

أخي المسلم: فتش عن قلبك الآن هل تحب الممثلين والممثلات؟ ستحشر معهم هل تحب الساقطين والساقطات واللاعبين واللاعبات؟ ستحشر معهم أو تحب الأطهار والأخيار والأبرار ابتداءً من نبيك المختار وصحابته الأبرار؟ ستحشر معهم.

ففي الصحيحين من حديث أنس - رضي الله عنه - جاء أعرابي إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: « **وماذا أعددت لها؟** » قال: ما أعددت لها كثير عدد إلا أني أحب الله ورسوله قال المصطفى -صلى الله عليه وسلم- : « **المرء مع من أحب**».

يقول أنس: فما فرحنا بشيء كفرحنا بقولة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: « **المرء مع من أحب**» ثم قال أنس: وأنا أحب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأبا بكر وعمر، وأرجو الله أن يحشرني معهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم.

ونحن نحب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأبا بكر وعمر وعثمان وعليا وجميع أصحاب الحبيب النبي -صلى الله عليه وسلم-، ونرجو الله بفضله لا بأعمالنا أن يحشرنا معهم بمنه وكرمه وهو أرحم الراحمين.

الحق الثاني من حق الأخ على أخيه، ألا يحمل الأخ لأخيه غلاً في صدره ولا حقداً، ولا حسداً، لماذا؟

المؤمن سليم الصدر، المؤمن طاهر النفس، زكى النفس، نقى القلب.

المؤمن ينام على فراشه في آخر الليل، وهو يشهد الله في عليائه أنه لا يحمل ذرة غل أو حقد أو حسد لمسلم على وجه الأرض، والنبي يقول كما في الصحيح من حديث أنس - رضي الله عنه -: « **لا تباغضوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخواناً**».

فالحقد والحسد من أخطر أمراض القلوب، يرى الأخ أخاه في نعمة فيحقد عليه ويحسده، ونسى هذا الجاهل أنه ابتداء لم يرضى عن الله الذي قسّم الأرزاق، فمن الذي وهب؟ إنه الله، من الذي أعطى هذا العلم؟ وأعطى هذا المال؟ وأعطى هذه الزوجة الصالحة؟ وأعطى هذا الولد الطيب؟ إنها أرزاق، قسّمها الرزاق.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[الحشر: ١٠].

الحق الثالث: التورع في القول من حق أخيك عليك إن لم تستطع أن تنفعه بمالك، فكف عنه لسانك، وهذا أضعف الإيمان. فمن حقوق الأخوة بين المسلمين والمؤمنين: تعظيم بعضهم لحرمات بعض، وعدم تنقص بعضهم لبعض، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾[الحجرات: ١١]، ونهى سبحانه عن اللمز، وهو الطعن في حق المسلم، وعن التنابز بالألقاب.

فتورع في القول عن إخوانك فإن اللسان من أخطر جوارح هذا الجسم قال الله جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[النور:١٩]، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**».

جلس رجل في مجلس عبد الله بن المبارك الإمام المجاهد التقي العابد الورع فاغتاب أحد المسلمين فقال له عبد الله بن المبارك: يا أخي هل غزوت الروم؟ قال: لا، فقال: هل غزوت فارس؟ قال: لا، فقال عبد الله بن المبارك: سلم منك الروم وسلم منك فارس، ولم يسلم منك أخوك.

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى - رضي الله عنه - أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سئل: يا رسول الله أي المسلمين أفضل؟ قال: «**من سلم المسلمون من لسانه ويده**».

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة - رضي الله عنه - واللفظ للبخاري أنه - ﷺ- قال: « إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالا فيرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا، فيهوى بها في جهنم» والعياذ بالله.

وأختم هذه الطائفة النبوية الكريمة بهذا الحديث الذي يكاد يخلع القلب، والحديث رواه الطبراني وقال عنه شيخنا الألباني في السلسلة الصحيحة: حديث صحيح بمجموع طرقه قال -ﷺ- : «من قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال» قيل: ما ردغة الخبال؟ قال: « عصارة أهل النار حتى يخرج مما قال وليس بخارج».

الحق الرابع من حقوق الأخوة: الإعانة على قضاء حوائج الدنيا على قدر استطاعتك: فمن حق الأخ على أخيه إن استطاع أن يعينه في أمر من أمور الدنيا أن لا يبخل عليه إن كان يستطيع ذلك.

النبي -ﷺ- يقول كما في صحيح مسلم من حديث أبى هريرة - رضي الله عنه -: « من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ».

وفي الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - قال: آخى النبي -ﷺ- بين عبد الرحمن بن عوف من المهاجرين وبين سعد بن الربيع الأنصارى رضى الله عنهم: تدبر ماذا قال الأخ لأخيه، قال سعد بن الربيع: يا عبد الرحمن، أنا أكثر الأنصار مالا وسأقسم مالي بيني وبينك شطرين، ولى

زوجتان فانظر إلى أعجبهما إليك لأطلقها حتى إذا انقضت عدتها تزوجتها»أ.هـ.

والله إن اللسان ليجف وإن القلب ليرتعد حرجاً ووجلا، وإن الكلمات كلها تتوارى خجلاً وحياء أمام هذه الأخوة.

لولا أن الحديث في الصحيحين لظننت أنه من نسج الخيال أن يقول رجل عربي له شهامة وعنده من الرجولة ما نعلم جميعا يقول لأخيه: سأقسم مالي بيني وبينك شطرين ولى زوجتان فانظر إلى أعجبهما إليك لأطلقها حتى إذا انقضت عدتها تزوجتها.

فيرد عليه العفيف الشريف عبد الرحمن بن عوف: بارك الله في أهلك ومالك ولكن دلني على السوق.

إن سألني سائل: وأين الآن من يعطى عطاء سعد بن الربيع؟ ! والجواب: وأين من يتعفف عفة عبد الرحمن بن عوف؟ ! فلقد وجد سعد يوم وجد عبد الرحمن، وضاع سعد يوم ضاع عبد الرحمن.

جاء رجل إلى أحد الأغنياء الأثرياء ليسأله الصدقة بإلحاح فلما امتنع الغنى قال له الفقير: أين من ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية؟ ! فقال له: ذهبوا مع من لا يسألون الناس إلحافا.

فيا أخي المسؤول يا من منّ الله عليك بمنصب، ويا من منّ الله عليك بمال، ويا من منّ الله عليك بوجاهة أو جاه إن استطعت أن تنفع إخوانك أفعل، لا تبخل وبالمقابل يجب على الإخوة أن لا يكلفوا إخوانهم ما لا يطيقون فإن كلفوهم فعجزوا فليعذروهم.

الحق الخامس: من حقوق الأخوة: التناصح: المؤمنون نصَحة، والمنافقون والمشركون غششة.

وفى صحيح مسلم من حديث أبى رقية تميم الداري - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال: «**الدين النصيحة**» تصور يلخص النبي -ﷺ-الدين في هذه الكلمة «**الدين النصيحة**» قلنا: **لمن يا رسول الله؟ قال: « لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»**.

قال الشافعي - رحمه الله -: «**من نصح أخاه بين الناس، فقد شانه، ومن نصح أخاه فيما بينه فقد ستره وزانه**»، فقد يأتي أخ لينصحك، فتشم من رائحة نصيحته الحقد والغل ولا تشعر أبدا بحب.

يا لها من مصيبة! ويا له من عار! نجلس فقط ونتفنن ونتحذلق في تصيد أخطاء بعضنا البعض، ويجلس الأخ منتفخاً منتشياً، وهو يتكلم عن أخيه، كأنه يتكلم عن مشرك كأنه لا يتكلم عن أخ يربط بينه وبينه رباط الإسلام ورباط الحب في الله، يتمنى أن لو ذبح أخاه وشفاه، وينشر لحمه بين الناس.

أين الأخوة؟ **الحق السادس من حقوق الأخوة: التناصر: قال** -ﷺ-: « **انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**» قالوا: يا رسول الله عرفنا كيف ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما؟ قال: « **أن تكفه عن الظلم فذاك نصره**»[رواه البخاري رقم (٢٤٤٤)].

انصر أخاك في كل الأحوال إن كان ظالماً خذ بيد أخيك عن الظلم، وإن كان مظلوماً وأنت تملك أن تنصره، أنصره ولو بكلمة وإن عجزت بقلبك، وذلك أضعف الإيمان.

إن استطعت أن تنصر أخاك بيدك أنصره بيدك، وإن عجزت عن نصرته باليد انصره بلسانك وإن عجزت عن ذلك فبقلبك، وذلك أضعف الإيمان.

مسلمة استغاثت في أقصى بلاد الروم ونادت وقالت: وا إسلاماه وا معتصماه فنصرها المعتصم قال: لبيك لبيك أختاه.

الحق السابع: وأختم به الحقوق الستر والتغافر: من أعظم حقوق الأخ على أخيه الستر والتغافر من حق الأخ على أخيه أن يستر عليه، فالأخ ليس ملكاً مقربا ولا نبيا مرسلاً، فإن زل الأخ في هفوة فهو بشر استر عليه.

قال علماؤنا باتفاق: الناس صنفان وأرجو أن تعوا هذا الكلام جيداً الناس صنفان: صنف أشتهر بين الناس بالصلاح والبعد عن المعاصي، هذا إن زل ووقع وسقط في هفوة من الهفوات لبشريته وجب على المسلمين أن يستروا عليه.

رجل مشهور بالصلاح والدين والأخلاق والعلم والفضل زل وهو بشر ليس ملكاً ولا نبياً؟ ! لقد مضى زمن العصمة بموت المعصوم المصطفى -ﷺ- فإن زل أخوك استر عليه ولا تتبع عوراته.

الحديث الصحيح الذي رواه أحمد وأبو داود من حديث أبي برزة - رضي الله عنه - أنه -ﷺ- قال: « **يا معشر من آمن بلسانه ولما يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته**». اللهم استرنا ولا تفضحنا.

يعنى يأتي الأخ يتكلم عن أحد إخوانه كأنه مبرأ من كل ذنب كأنه مبرأ من كل عيب، ونسى المسكين أن بيته من الزجاج، وهو الذي يقذف الناس بالطوب والحجارة، كل يتذكر ضعفه ونقصه وعيبه ﴿ **كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**﴾ [النساء: ٩٤]. أما إن كان الرجل

والعياذ بالله ممن يبارز الله بالمعاصي، وممن يجهر بالمعصية وممن يتباهى بالمعصية، فهذا هو الفاسق الفاجر الذي لا غيبة له.

الله سبحانه يعاملنا يوم القيامة بالحسنات والسيئات، فمن رجحت حسناته على سيئاته في كفته سيئات ولكن الحسنات إن رجحت نجا العباد يوم القيامة بالحسنات والسيئات، ونحن لا نريد أن نعامل إخواننا بهذا.

ومن حقوق الأخوة في الإيمان والإسلام:

الحق الثامن عدم الغش والخديعة للمسلمين قال -ﷺ-: «**من غشنا فليس منا**»، ومن ذلك الغش في البيع والشراء.

فإن كثيراً من الناس اليوم اتخذوا البيع والشراء وسيلة احتيال يحتالون بهما للاستيلاء على أموال الناس بالكذب والخداع والغش.

عن حكيم بن حزام - رضي الله عنه -: أن رسول الله -ﷺ- قال: «**البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبيّنا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا فعسى أن يربحا ويمحقا بركة بيعهما، واليمين الفاجرة منفقة للسلعة ممحقة للكسب**» [رواه البخاري ومسلم وغيرهما].

وعن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة عن أبيه عن جده - رضي الله عنهما -: أنه خرج مع رسول الله إلى المصلى، فرأى الناس يتبايعون فقال: «**يا معشر التجار**»، فاستجابوا لرسول الله ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه. فقال: «**إن التجار يبعثون يوم القيامة فجاراً إلا من اتقى الله وبر وصدق**»، [رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجة، وابن حبان في ((صحيحه))، والحاكم وقال: صحيح الإسناد].

وعن أبي ذر - رضي الله عنه - عن النبي -ﷺ- قال: «**ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم**»، قال: فقرأها رسول الله ثلاث مرات،

فقلت: خابوا وخسروا يا رسول الله، ومن هم؟ قال: «المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب» [رواه مسلم وغيره].

هذا و اللهَ أسأل أن يوفقنا جميعاً لخير القول و العمل، و أن يعصمنا من الضلالة و الزلل، و أن يصلح ذات بيننا و يؤلف بين قلوبنا، و يأخذ بأيدينا إلى ما فيه رضاه عنّا.

و صلى الله و سلم و بارك على نبيّه محمد، و آله، و صحبه أجمعين.

الحمد لله الملك القدوس السلام الذي أمر بصلة الأرحام، وجعلها من خصال أهل التقى والإسلام. الذين وعدهم بالجنة دار السلام.

والصلاة والسلام على نبينا محمد أتقى الأنام، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد: اليوم نعيش وإياكم مع حقٍّ عظيم من الحقوق التي يجب على المسلم الاعتناء بها.

إنه حق الرحم.

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَّ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَّ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾[النساء: ١].

يقول الله تعالى آمرا خلقه بتقواه، وهي عبادته وحده لا شريك له، ومنبهاً لهم على قدرته التي خلقهم بها من نفس واحدة، وهي آدم: وخلق منها زوجها وهي حواء خلقت من ضلعه الأيسر، وقوله: وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء أي ذرأ منهما أي من آدم وحواء رجالا كثيرا ونساء، ونشرهم في أقطار العالم على اختلاف أصنافهم وألوانهم ولغاتهم، ثم قال تعالى: واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام أي اتقوا الله بطاعتكم إياه، واتقوا الأرحام أن تقطعوها، ولكن بروها وصلوها، وقوله: تساءلون أي كما يقال: أسألك بالله وبالرحم، وقيل: تتعاقدون وتتعاهدون به.

وقال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢-٢٣].

قال ابن جريج: «المعنى فهل عسيتم إن توليتم عن الطاعة أن تفسدوا في الأرض بالمعاصي وقطع الأرحام».

وقال أبو العالية: «المعنى فهل عسيتم إن توليتم الحكم فجعلتم حكاما، أن تفسدوا في الأرض بأخذ الرشا».

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله -ﷺ-: «إن الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ منهم، قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ من القطيعة، قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذاك لك» ثم قال رسول الله -ﷺ-: «اقرءوا إن شئتم»: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢-٢٣].

ويقول -ﷺ-: «يا أيها الناس، أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصِلوا الأرحام وصَلّوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام» [أخرجه أحمد والترمذي عن عبد الله بن سلام].

والرحم هم قرابة الرجل من طرفي أبيه وأمه فتجب لهم الحقوق الخاصة، من المحبة والنصرة وعدم القطيعة، والقيام بحقوقهم كتمريض المرضى، وحقوق الموتى، من غسلهم والصلاة عليهم، وغير ذلك من حقوق المسلمين، وزيادة على ذلك النفقة على المحتاج منهم، وتفقد أحوالهم، وترك التغافل عن تعاهدهم في أوقات ضروراتهم، حتى إذا تزاحمت الحقوق، بدأ بالأقرب فالأقرب.

وقد وردت السنة بتأكيد أهمية هذه العبادة، فمن ذلك ما رواه في الصحيح عن أبي أيوب الأنصاري أن رجلا قال: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة فقال القوم: ما له؟ فقال رسول الله -ﷺ-: « **تعبد الله لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم**» [رواه مسلم (١/ ١٧٢، ١٧٣) الإيمان: باب بيان الإيمان الذي يدخل الجنة].

وعن علي - رضي الله عنه - عن النبيِّ -ﷺ-: «**مَن سرَّه أن يُمَدّ له في عُمُره ويوسَّع لَه في رزقِه ويُدفع عنه ميتةُ السّوء فليتَّق اللهَ وليصِل رَحِمَه**» [رواه الحاكم والبزّار]، وعن ابنِ عبّاس - رضي الله عنهما - قال: قال رسولُ الله-ﷺ-: «**إنّ اللهَ لَيعمِّر بالقومِ الدِّيارَ، ويثمِّر لهم الأموال، وما نظر إليهم مُنذُ خلَقَهم بُغضًا لهم**»، قيلَ: كيف ذاك يا رسول الله؟ ! قال: «**بِصِلَتهم أَرحامَهم**» [رواه الحاكم والطبرانيّ، وعن أبي بكرةَ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله-ﷺ-: «**إنّ أعجلَ البرّ ثوابًا لصِلةُ الرحم، حتى إنَّ أهلَ البيت ليكونون فَجَرة، فتنمُو أموالهم ويكثُر عَدَدُهم إذا تواصَلوا**»[رواه الطبرانيّ وابن حبّان].

وصلةُ الرحِم لها خاصّيّة في انشراحِ الصَّدر وتيسُّر الأمرِ وسماحةِ الخُلُق والمحبَّةِ في قلوب الخَلق والمودَّة في القربى وطِيبِ الحياة وبركَتِها.

ويقول عليه الصلاة والسلام: «**صلة الرحم وحُسن الخلق وحُسن الجوار يعمُرنَ الديار ويزدن في الأعمار**» [أخرجه أحمد عن عائشة - رضي الله عنها -]

وفي الصحيح كذلك من حديث أنس - رضي الله عنه - قال -ﷺ-: «**من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه**» [البخاري (١٠/ ٤١٥) الأدب: باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم، ومسلم (١٦/ ١١٤)].

وقوله: «**ينسأ له في أثره**» أي يؤخر أجله وسمي الأجل أثراً لأنه يتبع العمر.

قال ابن التين: ظاهر الحديث يعارض قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[النحل: ٦١] والجمع بينهما من وجهين:

أحدهما: أن الزيادة كناية عن البركة في العمر، بسبب التوفيق إلى الطاعة، وعمارة وقته بما ينفعه في الآخرة، وصيانته عن تضييعه في غير ذلك، مثل هذا ما جاء أن النبي -ﷺ- تقاصر أعمار أمته بالنسبة لأعمار من مضى من الأمم، فأعطاه الله ليلة القدر، وحاصله أن صلة الرحم تكون سببا للتوفيق للطاعة، والصيانة عن المعصية، فيبقى بعده الذكر الجميل فكأنه لم يمت.

ثانيهما: أن الزيادة على حقيقتها، وذلك بالنسبة إلى علم الملك الموكل بالعمر، وأما الذي دلت عليه الآية فبالنسبة إلى علم الله تعالى، كأن يقال للملك: إن عمر فلان مائة مثلا إن وصل رحمه، وستون إن قطعها، وقد سبق في علم الله أنه يصل أو يقطع، فالذي في علم الله لا يتقدم أو يتأخر، والذي في علم الملك هو الذي فيه الزيادة أو النقصان، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[الرعد: ٣٩]. فالمحو والإثبات بالنسبة لما في علم الملك.

وقيل فيه **جواب ثالث**: وهو أن واصل رحمه تكون له الذرية الصالحة يدعون له من بعده.

وورد كذلك أن من وصل رحمه وصله الله.

ففي الصحيح عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال -ﷺ-: «**إن الرحم شجنة من الرحمن**»، فقال: « **من وصلك وصلته، ومن قطعك قطعته**» [البخاري (١٠/ ٤١٧) الأدب: باب من وصل وصله الله ورواه أحمد وابن أبي عاصم (٥٣٨) بمعناه] .

قيل وأصل الشجنة عروق الشجر المشتبكة، وقوله «**من الرحمن**» أي أخذ اسمها من هذا الاسم، كما في حديث عبد الرحمن بن عوف في السنن مرفوعا: «**أنا**

الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي» [الترمذي (٨/ ١٠٠) أبواب البر والصلة وقال الترمذي صحيح.] .

قال الإسماعيلي: معنى الحديث أن الرحم اشتق اسمها من اسم الرحمن، فلها به علاقة وليس معناه أنها من ذات الله تعالى الله عن ذلك.

والمعنى الجامع لصلة الرحم إيصال ما أمكن من الخير ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة، وهذا إنما يستمر إذا كان أهل الرحم أهل استقامة، فإن كانوا كفارا أو فجارا فمقاطعتهم في الله هي صلتهم، بشرط بذل الجهد في وعظهم ثم إعلامهم إذا أصروا أن ذلك بسبب تخلفهم عن الحق، ولا يسقط مع ذلك صلتهم بالدعاء لهم بظهر الغيب أن يعودوا إلى الطريق المثلى.

وقوله -ﷺ-: «**من وصلك وصلته، ومن قطعك قطعته**» الوصل هو أعظم ما يعطيه المحبوب لمحبه، وهو التقرب منه، وإسعافه بما يريد ومساعدته على ما يرضيه، وهو كما يليق بالله عز وجل وعظمته.

أخي الحبيب: هل أنت لا تزور إلا من زارك، ولا تصل الرحم إلا من وصلك، أين أمر الله لك بصلة الرحم. هل أنت تكافئ أم تطلب الأجر. واسمع حديثين في الموضوع نفسه:

ففي الصحيح عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - عن النبي -ﷺ- قال: «**ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها**» [رواه البخاري (٤/ ١١٣) وفي الأدب المفرد (٦٨) وكذا الترمذي (١/ ٣٤٨) وأحمد (٢/ ١٦٣، ١٩٠، ١٩٣) غاية المرام (٢٣٢) رقم ٤٠٨] .

قال الطيبي: المعنى ليست حقيقة الواصل ومن يعتد بصلته من يكافئ صاحبه بمثل فعله، ولكنه من يتفضل على صاحبه.

روى مسلم وأحمد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: أتى رجل للنبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، ويجهلون علي وأحلم عنهم قال: «**لئن كان كما تقول كأنما تسفّهم بالملّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك**» [مسلم (١٦/ ١١٥) البر والصلة: صلة الرحم وتحريم قطعها] .

قال النووي: كأنما تطعمهم الرماد الحار، وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم ولا شيء على هذا المحسن بل ينالهم الإثم العظيم في قطيعته، وإدخالهم الأذى عليه.

وقيل إنك بالإحسان إليهم تخزيهم وتحقرهم في أنفسهم، لكثرة إحسانك، ولكنه من يقابل الإساءة منهم بالإحسان إليهم.

وقد وردت الأحاديث كذلك بالوعيد الشديد لقاطع الرحم ففي الصحيحين أن جبير بن مطعم أخبر أنه سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**لا يدخل الجنة قاطع**» [رواه البخاري (١٠/ ٤١٥) الأدب: باب إثم القاطع، ومسلم (١٦/ ١١٤) البر والصلة: صلة الرحم وتحريم قطعها.] .

عن أبي بكرة - رضي الله عنه - عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**ما من ذنب أحرى أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم**» [رواه ابن المبارك في الزهد (٧٢٤) والبخاري في الأدب المفرد (١٢)] .

قال الحجاوي: وقطيعة الرحم من الكبائر.

قال البلباني في آدابه: اعلم أنه يجب عليك أن تصل بقية رحمك، وهم كل قرابة لك من النسب، وقد قرن الله سبحانه الأرحام باسمه الكريم في قوله جل من

قائل: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

وذلك تنبيه عظيم على أن صلتها بمكان منه سبحانه ومقرب إليه، وقطعها خطر عظيم عنده ومبعد عنه سبحانه.

أخرج الطبراني عن الأعمش قال: كان ابن مسعود - رضي الله عنه -جالساً بعد الصبح في حلقة فقال: «**أنشد الله قاطع رحم لما قام عنا، فإنا نريد أن ندعو ربنا، وإن أبواب السماء مرتجّة دون قاطع رحم**» [أخرجه البيهقي في الشعب (٦/ ٢٢٤).]

فمن كان بينه وبين رحمٍ له عداوة فليبادِر بالصّلة، وليعفُ وليصفح، فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ.

وروي كذلك في الآثار «**أن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم، وأن الملائكة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم**» [رواه البخاري في الأدب المفرد عن ابن أبي أوفي، وأخرج البيهقي في شعب الإيمان وضعفه الألباني في ضعيف الجامع رقم ٤٦٣.] .

قال الحافظ في الفتح: قال الطيبي يحتمل أن يراد بالقوم الذين يساعدونه على قطيعة الرحم ولا ينكرون عليه ويحتمل أن يراد بالرحمة المطر وأنه يحبسه عن الناس عموما بشؤم التقاطع.

إنّ المرأةَ قد تَكون من أسبابِ القطيعة؛ بِنَقلِها الكلامَ وبثِّها المساوِئ ودفنِها المحاسن وتحريشها للرجال، وقد تَرى لحماقَتِها أنَّ لها في ذلكَ مَصلَحةً، وقد تدفع أولادَها في الإساءةِ لذوي القربى، فعليها يكونُ الوزرُ، والله لها بالمرصاد.

وقد تكونُ المرأةُ مِن أسبابِ التواصل بين الأرحام وتَوطيدِ المودّة بَينَهم؛ بصبرها وتحمُّلها ونصيحَتِها لزوجها وأولادها وحثِّها على الخير وتربية أولادها، والله عز وجل سيثيبها، ويصلِح حالها وحالَ أولادها، ويحسِن عاقبَتَها.

فيا أيّتها المسلِمَات: اتقِين الله تعالى وأصلِحنَ بَين ذوي القربى، ولا تكُنِ القطيعةُ مِن قِبَلِكنّ، فإنّ الله لا يخفَى عليه خافِيَة، قال الله تعالى: ﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الروم: ٣٨]

و من حقوق الأقارب:

١- من حقوق الأقارب الزيارة، والزيارة نوع من التقدير تذهب ما في النفس وتقوي التواصل ولا تكلف الشخص مالاً ولا جهداً.

٢- من حقوق الأقارب الدعاء لهم بظهر الغيب. فهل رفعت يديك يوماً من الأيام تدعو لأقاربك، عندما دعوت لنفسك؟ .

٣- الأقارب من كان منهم فقيراً فيوصل بالمال، والله جل شأنه بدأ الأقارب قبل المساكين والفقراء﴿ يَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ﴾ [البقرة: ٢١٥]، فالفقير قبل اليتيم والمسكين. أما إن كان القريب غنياً فلا تنس الهدية فإنها تشعر بالاحترام والتقدير، وتنمي الود، وتبقى الهدية تذكر بصاحبها أبداً.

٤- الأقارب لهم حق الإكرام إذا قدموا من سفر، والتهنئة إذا نالوا خيراً، ولهم الحق في الدعوة في المناسبات، وكلها تفيد في التواصل بين الأقارب.

٥- الأقارب لهم حق خاص في التغاضي عن أخطائهم، ويتحمل منهم ما لا يتحمل من غيرهم. فلو حاسبت الناس وأقاربك وغض الطرف وتحمل من أقاربك ما لا تحتمله من الناس، وإياك أن تحاسب أقاربك وتقاطعهم لخلاف وقع.

٦- من حقوق الأقارب النصيحة لهم ودعوتهم، نافعاً لهم، كافاً شرّك عنهم.

قال أحد السلف جامعاً لحقوق الأرحام: «**واعلم أن المراد بصلة الرحم موالاتهم ومحبتهم أكثر من غيرهم لأجل قرابتهم، وتأكيد المبادرة إلى صلحهم عند عداوتهم، والاجتهاد في إيصالهم كفايتهم بطيب نفس عند فقرهم، والإسراع إلى مساعدتهم ومعاونتهم عند حاجتهم ومراعاة جبر خاطرهم، مع التعطف والتلطف بهم، وتقديمهم في إجابة دعوتهم، والتواضع معهم مع غناه وفقرهم وقوته وضعفهم ومداومة مودتهم ونصحهم في كل شؤونهم، والبداءة بهم في الدعوة الضيافة قبل غيرهم وإيثارهم في الصدقة والإحسان والهداية ونحوها، ويتأكد فعل ذلك مع الرحم الكاشح المبغض، عساه أن يرجع عن بغضه إلى مودة قريبه ومحبته**».

قال -ﷺ-: «**أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح**»[رواه أحمد وغيره].

والكاشح: العدو الذي يضمر عداوته ويطوي عليها. وكشحه باطنه، أو الذي يطوي عنك كشحه ولا يألفك وفي الحديث يقول -ﷺ-: «**الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم ثنتان: صدقة وصلة**» [رواه أحمد والترمذي وقال: حديث حسن، والنسائي وابن ماجة الحاكم والمستدرك عن سلمان بن عامر وصححه الألباني - صحيح الجامع رقم ٣٥٧٢].

قال السفاريني: واعلم أن هذا كله ليس بواجب أكثره مندوب كما يعلم.

وينبغي على العاقل أن يبادر إلى صلة ذي الرحم الكاشح، وأن يدفع ما عنده من الضغن والبغضاء بالإحسان والإغضاء، كما قال تعالى: ﴿ **ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ** ﴾[فصلت: ٣٤].

فيصبح كالحميم الذي هو القريب.

فصل رحمك رَحمك مولاك، وخالف بذلك نفسك وهواك، واصبر على أذاهم فإن بذلك نبيك أوصاك، وبالغ في الإحسان إلى من أساء إليك منهم تحمد بذلك عقباك، وحسن أخلاقك معهم ترضي خلاقك، وتنل راحتك ويطيب مثواك.

والله المسؤول أن يوفقني وإياكم وجميع المسلمين والمسلمات لما فيه السعادة، وأن يرزقنا الحسنى وزيادة، وصلى الله وسلم على النبي الأواب من جاء بالسنة والكتاب، وعلى آله وصحبه ما دجت الأحلاك ودارت الأفلاك.

حقوق الوالدين

الحمد لله، حكم بالفناء على هذه الدار، وأخبر أن الآخرة هي دار القرار، وهدم بالموت مشيد الأعمار، أحمده على نعمه الغزار، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد القهار، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، حذر من الركون إلى هذه الدار، وأمر بالاستعداد لدار القرار، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه البررة الأطهار، وسلم تسليمًا كثيرًا ما تعاقب الليل والنهار.

وبعد. .

يقوم الإسلام على الرحمة والتكافل بين أفراده ولذلك يهتم ببر الوالدين والإحسان إليهما والعناية بهما، وهو بذلك يسبق النظم المستحدثة في الغرب مثل "عيد الأم" و"رعاية الأمومة والمسنين". وقد جاء الإسلام بأوامر صريحة تلزم المؤمن ببر والديه وطاعتهما ما لم يأمرا بمعصية قال تعالى:

﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ [الأحقاف: ١٥].

وقال: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ وقرن برهما بالأمر بعبادته في كثير من الآيات. برهان ذلك قوله تعالى:

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقوله: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء:

.[٣٦]

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال أمك. قال ثم من؟ قال أمك. قال ثم من؟ قال أمك. قال ثم من؟ قال أبوك» [رواه الشيخان]. وما ذكر الله الإحسان إلى الوالدين بعد توحيده إلا لأن حقهما عظيم وبرهما واجب.

فضل بر الوالدين:

وفي فضل بر الوالدين وكونه مقدماً على الجهاد ومكفراً للذنوب ورد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «رغم أنفه رغم أنفه رغم أنفه» قيل من يا رسول الله؟ قال: «من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة» [رواه مسلم والترمذي]. وعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال سألت النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله؟ «قال الصلاة على وقتها. قلت ثم أي؟ قال بر الوالدين. قلت ثم أي؟ قال الجهاد في سبيل الله» [متفق عليه].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال أقبل رجل إلى النبي ﷺ فقال أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله تعالى. فقال: «هل من والديك أحد حي»؟ قال نعم بل كلاهما. قال: فتبتغي الأجر من الله تعالى؟ قال: نعم. قال: فارجع فأحسن صحبتهما». [متفق عليه]. وهذا لفظ مسلم وفي رواية لهما جاء رجل فاستأذنه في الجهاد. فقال: «أحي والداك» قال: نعم. قال: «ففيهما فجاهد». وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: «رضا الرب في رضا الوالد وسخط الرب في سخط الوالد» [رواه الترمذي].

وفي البر منجاة من مصائب الدنيا كما ورد في حديث أصحاب الغار وكان

أحدهم باراً بوالديه يقدمهما على زوجته وأولاده. وعكس البر هو العقوق ونتيجته الحرمان من الجنة لحديث أبي محمد جبير بن مطعم - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة قاطع**».

قال سفيان في روايته يعني قاطع رحم [رواه البخاري ومسلم] والعقوق هو العق والقطع وهو من الكبائر [بل كما وصفه الرسول ﷺ] من أكبر الكبائر - وفي الحديث المتفق عليه وجدت أن العقوق يأتي مباشرة بعد الإشراك بالله.

والعق لغة هو المخالفة وضابطه عند العلماء أن يفعل مع والديه ما يتأذيان منه تأذيا ليس بالهين وتوسيعاً لدائرة البر اعتبر رسول الله ﷺ الخالة بمنزلة الأم لما ورد عن البراء بن عازب - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «**الخالة بمنزلة الأم**» [رواه الترمذي] وقال حديث صحيح.

وهذا في طلب إرضائها وصلتها وليس في تقسيم الميراث وفي الترمذي بإسناد صحيح حديث الرجل الذي أصاب ذنباً عظيماً وجاء يسأل هل له من توبة؟ وجواب النبي ﷺ هل لك من أم؟ قال لا ثم قال: **هل لك من خالة؟** قال نعم قال: **فبرها**.

البر بعد الموت:

وبر الوالدين لا يقتصر على فترة حياتهما بل يمتد إلى ما بعد مماتهما ويتسع ليشمل ذوي الأرحام وأصدقاء الوالدين. فقد روى أبو داود والبيهقي «جاء رجل من بني سلمة فقال: يا رسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما بعد موتهما؟ قال: «**نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما**».

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - أنه كان

يسير في طريق مكة راكباً على حمار يتروح عليه إذا مل الركوب على الراحلة فمر به أعرابي فقال أنت فلان بن فلان قال بلى فأعطاه الحمار وقال اركب هذا وأعطاه عمامة كانت عليه وقال اشدد بها رأسك فقالوا لابن عمر غفر الله لك أعطيته حماراً كنت تروح عليه وعمامة تشد بها رأسك فقال ابن عمر إن هذا كان صديقاً لعمر وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه.

وأنواع البر كثيرة منها:

١- أن لا يتضجر منهما ولو بكلمة أف بل يجب الخضوع لأمرهما وخفض الجناح لهما ومعاملتهما باللطف.

٢- شكرهما الذي جاء مقروناً بشكر الله والدعاء لهما لقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.

٣- اختصاص الأم بمزيد البر لحاجتها وعظم شأنها وتعبها في الولادة والحل والرضاعة. والبر يكون بمعنى حسن الصحبة والعشرة وبمعنى الطاعة والصلة لقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾[لقمان: ١٤].

٤- الإحسان إليهما في القول والعمل والأخذ والعطاء وتفضيلهما على النفس والزوجة وتقديم أمرهما وطلبهما ومجاهدة النفس برضاهما حتى وإن كانا غير مسلمين لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[لقمان: ١٥].

٥- رعايتهما ولاسيما عند الكبر وملاطفتهما وإدخال السرور عليهما.

٦- الإنفاق عليهما عند الحاجة قال تعالى: ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ﴾[البقرة: ٢١٥].

٧- استئذانهما قبل السفر وأخذ موافقتهما إلا في حج فرض.

٨- الدعاء لهما بعد الموت وبر صديقهما وإنفاذ وصيتهما.

هذا بيان منزلة البر وعظيم مرتبته أما آثاره فهي الثواب الجزيل في الآخرة والجزاء بمثله في الدنيا فإن من بر بوالديه بر به أولاده. وتفريج الكربات، ففي الصحيحين من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - في قصة الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار فدخلوه فانطبقت عليهم صخرة فسدته عليهم فتوسلوا إلى الله تعالى بصالح أعمالهم أن يفرج عنهم فقال أحدهم: اللهم إنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً فنأى بي طلب الشجر يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت غبوقهما فوجدتهما نائمين فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفجرت قليلاً وتوسل صاحباه بصالح من أعمالهما فانفجرت كلها وخرجوا يمشون.

وإن في بر الوالدين سعة الرزق وطول العمر وحسن الخاتمة فعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «من سره أن يمد له في عمره ويوسع له في رزقه ويدفع عنه ميتة السوء فليتق الله وليصل رحمه». [إسناده جيد] وبر الوالدين أعلى صلة الرحم لأنهما أقرب الناس إليك رحماً.

إنه لا يليق بعاقل مؤمن أن يعلم فضل بر الوالدين وآثاره الحميدة في الدنيا والآخرة ثم يعرض عنه ولا يقوم به أو يقوم بالعقوق والقطيعة قال تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[الإسراء: ٢٣ - ٢٤]. ففي حال بلوغ الوالدين الكبر يكون

الضعف البدني والعقلي منهما وربما وصلا إلى أرذل العمر الذي هو سبب للضجر والملل منهما وفي حال كهذه نهى الله الولد يتضجر أقل تضجر من والديه وأمره أن يقول لهما قولاً كريماً وأن يخفض لهما جناح الذل من الرحمة فيخاطبهما مخاطبة من يستصغر نفسه أمامهما ويعاملهما معاملة الخادم الذي ذل أمام سيده رحمة بهما وإحساناً إليهما ويدعو الله لهما بالرحمة كما رحماه في صغره ووقت حاجته فربياه صغيراً.

إن على المؤمن أن يقوم ببر والديه وأن لا ينسى إحسانهما إليه حين كان صغيراً لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً وأمه تسهر الليالي من أجل نومه وترهق بدنها من أجل راحته وأبوه يجوب الفيافي ويتعب فكره وعقله وجسمه من أجل حصوله على معاشه والإنفاق عليه ولكل منهما بر بجزاء عمله.

أيها الأحباب:

لا ينكر أحد فضل الولدين على أولادهما فالوالدان سبب وجود الولد ولهما عليه حق كبير فقد ربياه صغيراً وتعباً من أجل راحته وسهرا من أجل منامه. تحملك أمك في بطنها وتعيش على حساب غذائها وصحتها لمدة تسعة شهور غالباً، كما أشار الله إلى ذلك في قوله: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾.

ثم بعد ذلك حضانة ورضاع لمدة سنتين مع التعب والعناء والصعوبة.. والأب كذلك يسعى لعيشك وقوتك من حين الصغر حتى تبلغ أن تقوم بنفسك ويسعى بتربيتك وتوجيهك وأنت لا تملك لنفسك ضراً ولا نفعاً، ولذلك أمر الله الولد بالإحسان بوالديه إحساناً وشكراً.

إن حق الوالدين عليك أن تبرهما وذلك بالإحسان إليهما قولاً وفعلاً بالمال والبدن، وتمتثل أمرهما في غير معصية الله وفي غير ما فيه ضرر عليك، تلين

لهما القول وتبسط لهما الوجه وتقوم بخدمتهما على الوجه اللائق بهما ولا تتضجر منهما عند الكبر والمرض والضعف ولا تستثقل ذلك منهما فإنك سوف تكون بمنزلتهما، سوف تكون أباً كما كانا أبوين، وسوف تبلغ الكبر عند أولادك إن قدر لك البقاء كما بلغاه عندك وسوف تحتاج إلى بر أولادك كما احتاجا إلى برك، فإن كنت قد قمت ببرهما فأبشر بالأجر الجزيل والمجازاة بالمثل فمن بر والديه بره أولاده، ومن عق والديه عقه أولاده والجزاء من جنس العمل فكما تدين تدان. ولقد جعل الله مرتبة حق الوالدين مرتبة كبيرة عالية حيث جعل حقهما بعد حقه المتضمن لحقه وحق رسوله.

فقال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[النساء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾[لقمان: ١٤]. .

وقدم النبي ﷺ بر الوالدين على الجهاد في سبيل الله كما في حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - قال قلت يا رسول الله أي العمل أحب إلى الله؟ قال: **الصلاة على وقتها، قلت ثم أي؟ قال: بر الوالدين. قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله**. [رواه البخاري ومسلم]. وهذا يدل على أهمية حق الوالدين الذي أضاعه كثير من الناس وصاروا إلى العقوق والقطيعة فترى الواحد منهم لا يرى لأبيه ولا لأمه حقاً وربما احتقرهما وازدراهما وترفع عليهما وسيلقى مثل هذا جزاءه العاجل أو الآجل[حقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة ص١١-١٤]

أيها المسلم الكريم إذا أردت النجاح في الدنيا والآخرة فاعمل بالوصايا الآتية:

❖ خاطب والديك بأدب﴿**ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً**﴾[الإسراء:٢٣].

- ❖ أطع والديك دائماً في غير معصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.
- ❖ تلطف بوالديك ولا تعبس في وجوههما ولا تحدق النظر إليهما غاضباً.
- ❖ حافظ على سمعة والديك وشرفهما ومالهما ولا تأخذ شيئاً بدون إذنهما.
- ❖ اعمل ما يسرهما ولو في غير أمرهما كالخدمة وشراء اللوازم والاجتهاد.
- ❖ شاورهما في أعمالك كلها واعتذر لهما إذا اضطررت للمخالفة.
- ❖ أجب نداءهما مسرعاً بوجه مبتسم قائلاً لبيك يا أبي لبيك يا أمي.
- ❖ أكرم صديقهما وأقرباءهما ولا تصادق عدوهما في حياتهما وبعد موتهما.
- ❖ لا تجادلهما ولا تخطئهما وحاول بأدب أن تبين لهما الصواب.
- ❖ لا تعاندهما ولا ترفع صوتك عليهما وأنصت لحديثهما وتأدب معهما ولا تزعج أحد اخوتك إكراماً لوالديك.
- ❖ ساعد أمك في البيت ولا تتأخر عن مساعدة أبيك في عمله.
- ❖ لا تسافر إذا لم يأذن لك ولو لأمر هام فإن اضطررت فاعتذر لهما ولا تقطع رسائلك عنهما.
- ❖ لا تدخل عليهما بدون إذنهما ولاسيما وقت نومهما وراحتهما.
- ❖ إذا كان عندهما ضيف فقم بالخدمة وراقب نظرهما لعلهما يريدان شيئاً.
- ❖ لا تتناول طعاماً قبلهما وإكرمهما في الطعام والشراب واللباس.
- ❖ لا تكذب عليهما ولا تلمهما إذا عملا عملاً لا يعجبك.
- ❖ لا تفضل زوجتك وأولادك عليهما واطلب رضاهما قبل كل شيء – فرضا الله في رضا الوالدين وسخط الله في سخط الوالدين.
- ❖ لا تجلس في مكان أعلى منهما ولا تمش أمامهما.
- ❖ لا تتكبر من الانتساب إلى أبيك ولو كنت موظفاً كبيراً واحذر أن تنكر معروفهما

أو تؤذيهما ولو بكلمة واحدة.

- ❖ لا تبخل بالنفقة على والديك حتى يشكواك فهذا عار عليك وسترى ذلك من أولادك فكما تدين تدان والجزاء من جنس العمل.
- ❖ أكثر من زيارة والديك وتقديم الهدايا لهما واشكرهما على تربيتك وتعبهما عليك واعتبر بأولادك وما تقاسيه معهم.
- ❖ أحق الناس بالإكرام أمك ثم أبوك واعلم أن الجنة تحت أقدام الأمهات.
- ❖ احذر عقوق الوالدين وغضبهما فتشقى في الدنيا والآخرة. وسيعاملك أولادك بمثل ما تعامل به والديك.
- ❖ إذا طلبت شيئاً من والديك فتلطف بهما واشكرهما أن أعطياك وأعذرهما أن منعاك ولا تكثر طلباتك لئلا تزعجهما.
- ❖ إذا أصبحت قادراً على كسب الرزق فاعمل وساعد والديك فأنت ومالك لأبيك.
- ❖ إن لوالديك عليك حقاً ولزوجتك عليك حقاً ولأولادك عليك حقاً ولإخوتك عليك حقاً فأعط كل ذي حق حقه وحاول التوفيق بين هذه الحقوق إن اختلفت وقدم لهما الهدايا سراً وجهراً وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء.
- ❖ إذا اختصم أبواك مع زوجتك فكن حكيماً وأفهم زوجتك أنك معها إن كان الحق لها وأنك مضطر لترضي والديك.
- ❖ إذا اختلفت مع والديك في الزواج والطلاق فاحتكموا إلى الشرع فهو خير عون لكم.
- ❖ دعاء الوالدين مستجاب فاحرص على أن يدعوا لك بالخير واحذر دعاءهما عليك بالشر.

❖ تأدب مع الناس فمن سب الناس سبوه قال ﷺ «من الكبائر شتم الرجل والديه يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه» [متفق عليه].

❖ زر والديك في حياتهما وبعد موتهما وتصدق عنهما وأكثر من الدعاء لهما قائلاً: ﴿رب اغفر لي ولوالدي﴾ - ﴿رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾[تذكير شباب الإسلام ببر الوالدين وصلة الأرحام، عبد الله بن جار الله الجارالله].

أسأل الله أن يؤلف بين قلوب المسلمين، ويهديهم سبل السلام، وأن يجنبهم الفتن والآثام، وأن ينصرهم على أنفسهم وأعدائهم والشيطان، وصلى الله وسلم وبارك على محمد خير الأنام.

حقوق الأولاد(١)

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين؟ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قدير. وأشهد أن محمدا رسول الله، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة والسراج المنير. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين.

وبعد:

سأبدأ هذا اللقاء بسؤال أوجهه للآباء: ما هو أغلى ما تملكون في هذه الدنيا بعد دينكم؟ وما هو أحب شيء لكم في حياتكم؟ ومن الذين تفرحون بفرحهم وتحزنون بحزنهم وتغضبون لغضبهم؟ من هم الذين تسعون طيلة نهاركم لتحصِّلون لهم معايشهم وتسعدوهم في حياتهم؟ من هم يا ترى؟ إنهم أبناؤنا. نعم، إنهم أولادنا ثمرات قلوبنا وفلذات أكبادنا وهدية الله إلينا وزينة حياتنا والأثر الصالح الذي نُذكر به إذا كانوا صالحين وهم من كسبنا ودعاؤهم من العمل الذي لا ينقطع بموتنا ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[الكهف: ٤٦].

اللهم أصلحنا وأصلح ذرياتنا يارب العالمين.

إنها نعمة عظيمة جليلة عظيمة تحتاج منا شكر ووعد الله الشاكرين بالمزيد، أسالوا من حُرم الذرية كم يتمنى لو دفع كل ما يملك من اجل الحصول على الذرية.

أيها الأحبة في الله:

تصوروا أن رجلاً يملك بستاناً له، بستاناً فيه رياحين وأزهار وأشجار وثمار، وهو يتعهّد ذلك البستان، يتعهّده بالرعاية والسقي والعناية التامّة، يرعى ذلك البستان ويحميه ويصونه، يصونه طبعا من عبث العابثين وإفساد المفسدين، فماذا يحدث؟ ! وماذا تكون النتيجة؟ ! لا شك أنه سينمو ويعطي أحسنَ الثمار وأروع الأزهار، ما نظر فيه أحد وما فيه من خيرات إلا وقال: تبارك الله ما شاء الله.

ولكن لو جعل هذا البستان نسيًا منسيّا، لا يتعاهده، ولا يرعاه، ولا يسقي أشجاره، ولا يحفظه، ويتركه عرضة للعبث والفساد، فماذا سيكون مصير هذا البستان؟ ! هل تكون فيه ثمار؟ ! هل تكون فيه أزهار؟ ! هل تكون فيه رياحين؟ ! هل تكون فيه أشجار؟ ! الأكيد أنه لا يبقى من ذلك البستان شيء، بل أنّ اسمه كبستان سيندثر وينمحي.

هذا مثال أسوقه إليكم ورسالة أرسلها إليكم في العناية بأبنائنا، فهم بساتين وثمار وأزهار وأشجار سنقطف ثمارها في الدنيا وفي قبورنا ويوم القيامة إن كانوا صالحين وجمعك الله بهم في جنته ودار كرامته ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[الطور: ٢١].

كما أن للوالدين حقًّا على الأولاد، فكذلك للأولاد حق على الوالدين، وكما أن الله عز وجلّ أمرنا ببر الوالدين فكذلك أمرنا بالإحسان إلى الأولاد،

فالإحسان إليهم والحرص على تربيتهم أداء للأمانة، وإهمالهم والتقصير في حقوقهم غش وخيانة.

ولقد تظاهرت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة_آمرةً بالإحسان إلى الأولاد وأداء الأمانة إليهم، محذرة من إهمالهم والتقصير في حقوقهم.

قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾[النساء: ٥٨].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[الأنفال: ٢٧]. فإن من الخيانة لهذه الأمانة العظمى ـ أمانة تربية الأولاد ـ إضاعتهم وإهمالهم، وترك حبلهم على غاربهم، يخرجون في أي وقت يشاؤون، ويصاحبون من يريدون، ويسهرون الليل وينامون النهار، فهذا كله تضييع للأمانة.

رُوِيَ أن قاضيًا حَكَمَ على سارق بقطْعِ يدِهِ، فما أنْ لَفَظَ القاضي بالحُكْمِ حتى اهتَزَّتْ جَنَبَاتُ المَحْكَمَةِ بِصَوْتٍ يُجَلْجِلُ: اقْطَعُوا لِسانَ أُمِّي قَبْلَ أَنْ تقْطَعوا يَدِي، فلقد سَرَقْتُ في طفولتي بيضةً من جيراننا، فلم تؤنبني، وإنما هشّتْ لي وبشَّتْ، مستحسنةً ما فعلتُ، إنني لولا لسانُ أمِّي الذي هَلَّلَ للجريمة في صغري لما كنتُ اليوم سارقًا تقطعُ يدُهُ. وهذا حالنا اليومَ مع أولادنا، نسكتُ عن خطيئاتهم الصغيرة، بل نضحك لهم ونشجعهم على الإساءاتِ.

وعاتبَ بعضهم ولده على العقوق فقال: يا أبت، إنك عققتني صغيرًا فعققتك كبيرًا، وأضعتني وليدًا فأضعتُكَ شيخًا. لقد أهملنا رعايةَ أولادِنا في أول الطريق فساءت أخلاقُهُم في نهايته.

إخوة الإسلام:

من لم يتعب في تربية أبنائه وهم صغار سوف يتعب معهم إذا كبروا وانحرفوا، ومن زرع في البداية خيرا سوف يحصد خيرا في النهاية.

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يشكو إليه عقوق ولده، فأمر عمر بإحضار الولد، وأنّبَ عمر الولد لعقوقه لأبيه، فقال الولد: يا أمير المؤمنين، أليس للولد حقوق على أبيه؟ ! قال: بلى، قال: فما هي يا أمير المؤمنين؟ قال عمر: أن ينتقي أمه، ويحسن اسمه، ويعلمه الكتاب ـ أي: القرآن ـ، قال الولد: يا أمير المؤمنين، إن أبي لم يفعل شيئا من ذلك؛ أما أمي فإنها زنجية كانت لمجوسي، وقد سماني جُعلاً، ولم يعلمني من الكتاب حرفاً واحدا، فالتفت عمر إلى الرجل وقال له: جئت تشكو عقوق ابنك وقد عققته من قبل أن يعقَّك، وأسأت إليه من قبل أن يسيء إليك.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[التحريم: ٦]

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل في أهل بيته راع ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن

رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته، وكلكم راع ومسئول عن رعيته »، وفي قول النبي -ﷺ- المتفق على صحته: «ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاشٌ لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة».

أيها الأحبة:

في زمن تكالب فيه أعداء الإسلام على أهله، وفي زمنٍ كثّر الشر عن أنيابه، وفي زمنٍ انتشرت فيه وسائل الفساد وعمت وطمّت كان لزامًا علينا نحن الآباء والمربون وأولياء الأمور أن نهتمّ بشأن تربية الأولاد، وأن نبحث عن كل ما مِن شأنه أن يعيننا على القيام بهذه المسؤولية.

وإن مما يحزن له القلب ويتفتّت له الفؤاد أن ترى كثيرًا من الناس قد أهملوا تربية أولادهم، واستهانوا بها، وأضاعوها، فلا حفظوا أولادهم، ولا ربوهم على البر والتقوى، بل وللأسف الشديد إن كثيرًا من الآباء أصلح الله أحوالهم يكونون سببًا لشقاء أولادهم وفسادهم.

فمن مظاهر التقصير في تربية الأولاد الانشغال عنهم بمشاغل الدنيا الفانية التي لا تعدل عند الله جناح بعوضة، فكم هم الآباء الذين هجروا بيوتهم فلم يجلسوا فيها إلا قليلاً لأكل أو شرب أو نوم، أما سائر أوقاتهم فبين بيع وشراء، وبين جلسات ودوائر، ضاعت بسببها الواجبات وضاعت الحقوق، أَمَا عَلِم هذا أن خير ما يتركه بعده ولد صالح يدعو له؟ !

صلاحُ الأبناء والبنات أمنيّةٌ للآباء والأمهات، صلاح الأولاد ذكورهم وإناثِهم نعمةٌ عظيمة، ومِنَّة جليلة من رب العالمين. ما أسعدَ المسلمَ وهو ينظر إلى أولاده قد هداهم الله الطريقَ المستقيم، ورزقهم الاستقامة على الدين والهدى،

يحبهم ويحبونه، يودّهم ويودّونه، إنْ أمَرَهم أطاعوه، فهم يبرّونه، ويطيعونه، وينفّذون أوامره في طاعة الله، قرّت بهم عينُه، وانشرح بهم صدرُه، وطابت بهم حياته، تلك نعمة عظيمة من الله. أولادٌ رُبُّوا تربية صالحةً، هُذِّبت أخلاقهم، حسُن سلوكهم، طابَتْ ألْفاظُهم، حسُنت معاملتُهم لرَبّهم قبل كُلّ شيء، ثم للأبوين، ثم للإِخوانِ والجيران والأرحام والمسلمين عمومًا. رُبُّوا على مكارم الأخلاق وفضائل الأعمال، فصاروا عونًا للأبوين على كلّ ما أهمّهم من أمر دينهم ودنياهم.

فكيف يا ترى نحصل على الذرية الصالحة المؤمنة البارّة؟

أولاً: العناية باختيار الزوجة الصالحة:

فالبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكداً، والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات، والمرأة تنكح لأربع لجمالها ولحسبها ولنسبها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك، فلا يقدم على الزواج إلا بعد استخارة الله، واستشارة أهل المعرفة؛ فالزوجة هي أم الأولاد، وسينشئون على أخلاقها وطباعها، ثم إن لها تأثيرًا على الزوج نفسه؛ لذلك قيل: 'المرء على دين زوجته'. وقال أبو الأسود الدؤلي لبنيه: « **قد أحسنت إليكم صغارًا وكبارًا، وقبل أن تولدوا، قالوا: وكيف أحسنت إلينا قبل أن نولد؟ قال: اخترت لكم من الأمهات مَنْ لا تُسَبُّون بها**».

كما أنه يشرع للزوج عند اتصاله بزوجته أن يدعو فيقول: «**بسم الله، اللهم جنّبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا**»، فإذا رُزق مولودًا استُحبّ له أن يؤذِّن في أُذُنِه اليمنى ويُقيم في أُذُنِه اليسرى، كما وردت بذلك الأحاديث عن

النبي -ﷺ-. ليكون أول ما يسمع المولود كلمات الأذان، كلمات التوحيد، ولتكون دعوة المولود إلى دين الإسلام سابقة على دعوة الشيطان. ويختار الأب لولده الاسم الحسن، فقد أمر بتحسين الأسماء، لان بها تنادى يوم القيامة.

إن مهمة الآباء مهمة عظيمة يجب على الآباء أن يحسبوا لها حسابها، ويعدوا العدة لمواجهتها خصوصاً في هذا الزمان الذي تلاطمت فيه أمواج الفتن واشتدت غربة الدين، وكثرت فيه دواعي الفساد حتى صار الأب مع أولاده بمثابة راعي الغنم في أرض السباع الضارية إن غفل عنها أكلتها الذئاب، أو انتهشتها السباع.

وأغرب من ذلك أن ترى بعض الآباء هداهم الله يجلب الفتن والمغريات إلى بيته ويوفرها لأبنائه ثم يقول لهم: يا أبنائي كونوا رجالاً صالحين.

وآخر لا يأمر أبناءه بمعروف ولا ينهاهم عن منكر، بل يتركهم وأنفسهم مع الشيطان، فلا يأمرهم بصلاة ولا ينهاهم عن غي وفساد، ولو ناصحته لقال لك: الله الهادي، وهذه فترة شباب وتزول.

وما أدراك أنها ستزول، ولو فرضنا أنها قد تزول هل تضمن أن يعيش ولدك إلى تلك الساعة الموهومة التي سيتوب فيها ويثوب إلى رشده وعقله.

وأدهى من ذلك وأمرّ أن هناك بعض الآباء الصالحين أو ممن يشار إليهم بالصلاح والهداية ومع ذلك لا يعرف عن أبنائه إلا ما يعرفه عن أبناء الجيران، وكل وظيفته يومياً أن يقول لهم: الصلاة الصلاة، ثم ينطلق إلى المسجد ليلحق بالصفوف الأولى ومع ذلك أبناؤه غارقون في وحل المعصية والضياع.

ألا نتقي الله يا معشر الآباء، ألا نخاف الله، والله إنها أمانة سنسأل عنها، وحق لابد أن نؤديه حيث قال رسول الله -ﷺ-: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، الرجل راع في بيته ومسؤول عن رعيته»، فهل أدينا حق أبنائنا من التربية؟ وهل أعذرنا أمام الله ببذل ما نستطيع من جوانب التوجيه والتربية الإسلامية لأبنائنا؟

أخي الحبيب:

إذا أردت الولد الصالح فإن أول ما تحتاجه وتفتقر إليه دعوة صالحة تهديه إلى الله، يحتاج أول ما يحتاج إلى صالح الدعوات إلى الله فاطر الأرض والسماوات، مصلح الأبناء والبنات، قال تعالى عن نبيه وخليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام:

﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاء﴾[إبراهيم: ٤٠].

وقال سبحانه عن نبيه زكريا:

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء ﴾[آل عمران: ٣٨].

عليك أن تقول كما قال الأخيار، وصفوة الأبرار:

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾[الفرقان: ٧٤].

علم المؤمنون الأخيار أنه لا صلاح للأبناء والبنات إلا بالله، وأنه لا يهدي قلوبهم أحد سواه، فجأروا إلى ربهم بالدعوات، ما أحوج بناتك وأبنائك إلى

دعواتك الصالحة، سلوا الله لأبنائكم وبناتكم الصلاح، سلوا لهم الخير والسداد والفلاح.

أيها المسلم، أولادك من ذكورٍ وإناث بأمسِّ الحاجة إلى دعوات منك إلى الله أن يهديَهم صراطه المستقيم. الجأ إلى فاطر الأرض والسموات، وادعُه آناء الليل وأطراف النهار أن يصلحَ لك عقِبك، وأن يعيذهم من مكائد شياطين الإنس والجن، وأن يحفظهم بالإسلام، ويرزقهم الثباتَ والاستقامة عليه، فتلك قرة أعين المؤمنين.

فالآباء يوم القيامة قد تعلو منزلتهم وإن ضعُفت بأعمالهم؛ إكرامًا من الله للأبناء الصالحين، وقد يرفع الله منزلة الأبناء إكرامًا للآباء الصالحين؛ إذا كان الإيمان جامعًا للجميع.

أيها المسلم، أولادُك بأمسِّ الحاجة إلى دعائك، وبأمسِّ الحاجة إلى رعايتك، لتُربِّهم تربيةً صالحة، يسعدون بها في حياتهم وآخرتهم، وتسعَد أنت أيضًا بذلك، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[التحريم:٦].

ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين.

أسأل الله أن يصلح ذرياتنا، ويجعلهم قرة أعين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً.

حقوق الأولاد (٢)

الحمد لله رب السماوات ورب الأرض رب العالمين، وله الكبرياء في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وفق من شاء من عباده لمكارم الأخلاق، وهداهم لما فيه صلاحهم وسعادتهم في الدنيا ويوم التلاق.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل الخلق على الإطلاق، أدّبه ربه فأحسن تأديبه، وأنزل عليه الكتاب والحكمة وعلمه ما لم يكن يعلم، وكان فضل الله عليه عظيماً، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلي يوم الدين.

وبعد:

لا زلنا مع تربية الأولاد، مع حقوق الأبناء.

إن من أعظم ما يُربى عليه الولد ويؤدّب:

أولاً: معرفة الله والإيمان به، فالتربية الإيمانية هي أساس كل خير، ومجتمعنا الآن لا يعاني من قلة الأقوياء وإنما من قلة الأمناء، مجتمعنا مفتقر إلى الأمناء الذين يخشون الله تعالى ويطيعونه في السر والعلن.

ونعني بالتربية الإيمانية تربية الإنسان على معرفة الله ورسوله وطاعتهما، التربية على الإيمان بأن الله واحد لا شريك له، وبأن الله هو الذي يعطي، وأنه هو الذي يمنع، وأنه هو الذي ينفع، وأنه هو الذي يضر، وأنه سبحانه وتعالى مطلع

على خلقه، لا يخفى عليه شيء من أمرهم، وأنه سبحانه جامع الناس ليوم لا ريب فيه، لتوفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون.

علّم أولادك رقابة الله وخشية الله الذي يعلم السر وأخفى.

علّم ولدك أن يقول صباح مساء: الله معي الله يراني الله مطلع علي الله سوف يحاسبني.

وهذا رسولنا الكريم يربي ابن عمه على الصلة بالله عز وجل، حيث يقول لابن عباس: «**يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، إذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك بشيء إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك بشيء إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفّت الصحف**».

ثانياً: إن تربيةَ الأولاد وصلاحَهم واستقامتهم، بعد إرادة الله، متوقفٌ على حركاتِ وسكنات الأبوين، على أقوالهم وأفعالهم، فالأبناء والبنات من الصِّغر يرقُبون أخلاقَ الأبوين، ويرقبون كلامَهم وتصرّفاتهم كلَّها، يرقبون أحوال الأبوين، فالأبناء والبنات إنْ تَربَّوْا في أحضانِ أبٍ يَخافُ اللهَّ، وأمٍّ تَخْشى الله؛ نَشَؤُوا على ذلك الخلق الكريم. بل الأبلغ من ذلك بيان النبي أن الوالدين محدِّدان لمسار ولدهما، عن أبي هُرَيرَةَ قال: قَالَ رَسُولُ اللهَّ -ﷺ-: «**كلُّ مولودٍ يُولدُ على الفطرة، فأبواهُ يُهوِّدانِهِ أَو يُنصِّرانِهِ أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟ !** »[أخرجه البخاري في الجنائز (١٣٥٨)، ومسلم في القدر (٢٦٥٨)].

وصدق من قال:

مَشَى الطاووسُ يومًا باعْوجاجٍ فقلّدَ شكلَ مشيتِهِ بنوهُ
فقالَ: علامَ تختالونَ؟ فقالوا: بدأْتَ به ونحنُ مقلِدوهُ
فخالِفْ سيركَ المعوجَّ واعدلْ فإنا إن عدلْتَ مُعَدِّلُوه
أمَا تدري أبانا كلُّ فرعٍ يجاري بالخُطى من أدّبوه؟
وينشَأُ ناشئُ الفتيانِ منا على ما كان عوَّدَه أبوه

أيها الأب الكريم:

إنَّ أولادك مرآةٌ يعكسون أخلاقك وأعمالك، إنْ رأوك تعظِّم الله وتخافه؛ عظَّموا الله جل وعلا، إن رأوْكَ تَخشى الله وتتَّقيه؛ خَشَوُا الله واتقَوْه في أعمالهم بتوفيق من الله، إن رأوْكَ ذا محافظة على الصلوات الخمس في أوقاتها، تأسَّوا بك فحافظوا عليها، إن رأوك معظِّمًا لأبيك وأمك؛ فإنهم سيعاملونك كذلك، إن رأوك تجالس ذوي التقى والصلاح بعيدًا عن أهل الإجرام والإفساد؛ نفروا من تلك الشلل الفاسدة والمجتمعات الآسنة، إن سمعوا منك كلمات طيبةً وألفاظًا حسنة؛ كانت ألفاظهم كذلك، وإن سمعوا منك السِّباب واللعان والقبح والفحش في الأقوال؛ سمعتَ منهم مثل ذلك وأشدّ.

القدوة الصالحة نبراس للذريات، ودليل يهدي قلوب الأبناء والبنات.

ثالثًا: صلاح الأبناء والبنات يحتاج منك إلى كلمات نافعات وتوجيهات ومواعظ مؤثرات.

كثير من الآباء يظن التربية لا تكون إلا بالقسوة والشدة والغلظة والضرب، أين الرحمة أين اللطف والعطف واللين؟ يقول النبي -ﷺ-: « **ليس منا من لم يوقر صغيرنا ويرحم صغيرنا** »[أخرجه أحمد والترمذي، وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح"]، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قبّل رسول الله

الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبّلتُ منهم أحدًا، فنظر إليه رسول الله -ﷺ- ثم قال: «من لا يرحم لا يرحم، أوَ أملك لك أن كان الله نزع من قلبك الرحمة؟ ! »[متفق عليه]. وفي الصحيحين كذلك عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «جاء أعرابي إلى رسول الله -ﷺ- فقال: إنكم تقبلون الصبيان، وما نقبلهم، فقال رسول الله: أو أملك أن نزع الله الرحمة من قلبك » ومتى نُزعت- إخوة الإيمان- الرحمة من قلب المرء أباً أو أماً أو قريباً فهل تنفع التربية مع الولد؟ أو التلميذ؟ هل يتقبل منه موعظةً أو نصحا؟

لقد كان -ﷺ- مثلا مجسداً للرحمة بالأبناء، روى الترمذي وغيره عن عبدا لله بن بريدة عن أبيه - رضي الله عنها - قال: «رأيت رسول الله وهو يخطب فجاء الحسن والحسين - رضي الله عنهما -، وعليهما قميصان أحمران، يمشيان ويعثران، فنزل النبي، فحملهما ووضعها بين يديه ثم قال إنما أموالكم وأولادكم فتنة، نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما».

وروى النسائي والحاكم: « بينما كان رسول الله -ﷺ- يصلي بالناس، إذ جاءه الحسين، فركب عنقه وهو ساجد فأطال السجود بالناس، حتى ظنوا أنه قد حدث أمر، فلما قضى صلاته، قالوا: قد أطلت السجود يا رسول الله، حتى ظننا أنه حدث أمر، فقال: إن ابني قد ارتحلني - أي صعد على ظهري، فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته »، وجاء في الإصابة أنه كان يداعب الحسن والحسين - رضي الله عنهما - فيمشي على يديه وركبتيه ويتعلقان به من الجانبين فيمشي بهما، ويقول: « نعم الجمل جملكما، ونعم العدلان أنتما » وفي الصحيحين عن أنس - رضي الله عنه - أن النبي -ﷺ- قال: « إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها، فأسمع

بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي - أي أختصر - مما أعلم من وَجْد أمِه من بكائه»، وكان -ﷺ- كما ورد في الصحيحين إذا مر على الصبيان يسلم عليهم ويحادثهم.

اتقوا الله، واعلموا أن الرحمة الحقّة قد تأخذ طابع القسوة أحيانًا، وهي ليست كذلك، فالأطفال عندما يساقون إلى المدارس كرهًا ويُحفَّظون الدروس زجرًا، ولو تركوا وأهواءَهم لقتلهم اللهو واللعب، وعندما يؤدبون على الخطيئة أو ينهوا من قبل آبائهم وأمهاتهم عما تميل إليه نفوسهم وفيه ضرر عليهم إنما هو رحمة من الوالدين، وكذلك الطبيب عندما يجري جراحة بالجسم فيمزق اللحم، وقد يضطر لتهشيم العظام أو بترها، وما يفعل ذلك إلا رحمة بالمريض، فليست الرحمة حنانًا لا عقل فيه، أو شفقة تتنكّر للعدل والنظام، وإنما هي عاطفة ترعى الحقوق جميعها، فمنظر الإنسان وهو يقتصّ منه قد يستدرّ العطف، ولو أجيبت هذه العاطفة السريعة وأطلق سراح القاتل لامتلأت الأرض فوضى وفسادًا، ولذا قال الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حياة يا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة: ١٧٩]، والمسلم يسرّ ويفرح عند سماعه إقامة الحدود.

أيها الأب الكريم:

لا بدّ من عظةٍ للأبناء ونصيحة لهم بالحسنى، ورسم الطريق الصالح ليسلكوه، اسمع اللهَّ يُحَدّثنا عن لقمان الحكيم: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان:١٣].

رابعا: صلاح الأبناء والبنات يتوقف على أمرهم بالصلوات، الصلاة عماد الدين ومرضاة لله رب العالمين، فمروهم بها تصلح أحوالهم، وتصلح شؤونهم ؟. . . ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[العنكبوت: ٤٥].

علِم الخليل عليه الصلاة والسلام، عظيم شأن الصلاة فرفع كفه إلى الله داعياً سائلاً ضارعاً ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي. . . ﴾ [إبراهيم: ٤٠]أي رب اجعل ذريتي تُقيم الصلاة.

مُر أولادك بالصلاة لسبع سنين و اضربهم عليها لعشر، فالله سائلك يوم القيامة هل أمرت أبناءك بالصلاة، وليتعلقن الابن بأبيه بين يدي الله في يوم لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون، يقول: يا رب ما أمرني بالصلاة يا رب تركني نائماً، يا رب ما أمرني بطاعتك.

ما الفائدة من ولد لا يصلي ولو كان أذكى الناس وأغنى الناس، بيت فيه قاطع الصلاة يمحق الله فيه البركة.

والعجيب أن البيوت أيام الاختبارات حالة طوارئ هل ذاكرت؟ هل درست؟ هل راجعت؟ انتبه تأخر عن الاختبار وما حاسبوه على الصلوات ولا على قراءة القران.

خامساً: مما يُربى عليه الأولاد والبنات تنشئتهم على الآداب الإسلامية وتدريبهم عليها؛ ومن ذلك آداب الأكل والشرب، رأى النبي -ﷺ- عمر بن أبي سلمة تطيشُ يدُهُ في الصحفة، فقال لهُ النبي -ﷺ- مبادرًا لنُصحه وتوجيههِ: «**يا غلام، سمِّ الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك**»[رواه البخاري]. علموهم آداب النوم وآداب الضيافة وآداب المجلس وآداب السلام وآداب قضاء الحاجة وآداب الجار وتشميت العاطس وغير ذلك، فمتى اعتادها في الصغر نشأ عليها في الكبر، وسهل عليه القيام بها، وسرّ الأب بها وثناء الآخرين على حسن تربيته.

سادساً: الحرص على استعمال العبارات المقبولة الطيبة مع الأولاد، والبعد عن العبارات المرذولة السيئة: فإذا أعجَب الوالدين شيءٌ من عمل الأولاد على

سبيل المثال قالا: ما شاء الله، وإذا رأيا ما يثير الاهتمام قالا: سبحان الله، الله أكبر، وإذا أحسن الأولاد قالا لهم: بارك الله فيكم، أحسنتم، جزاكم الله خيرًا، وإذا أخطئوا قالا: لا يا بني، ما هكذا، إلى غير ذلك من العبارات المقبولة الحسنة؛ حتى يألف الأولاد ذلك، فتعفّ ألسنتهم عن السباب والتفحّش.

لا تستغربوا عندما تسمعوا أولاد صغار في سن الزهور يسبون بكل اللغات أين تعلموا هذا السب وممن من؟

سابعاً: الحرص على تحفيظهم كتاب الله عز وجل: فالاشتغال بحفظه والعمل به اشتغال بأعلى المطالب وأشرف المواهب، ثم إن فيه حفظًا لأوقاتهم وحماية لهم من الضياع والانحراف، فإذا حفظوا القرآن أثر ذلك في سلوكهم وأخلاقهم، وفجر ينابيع الحكمة في قلوبهم.

والله أسأل أن يؤلف بين قلوب المسلمين، ويهديهم سبل السلام، وأن يجنبهم الفتن والآثام، وأن ينصرهم على أنفسهم وأعدائهم والشيطان، وصلى الله وسلم وبارك على محمد خير الأنام.

حقوق الأولاد(٣)

الحمد لله المحمود بكل لغة ولسان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الرحيم الرحمن، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد الأنام، اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد. .

لقاءنا يتجدد معكم مع تربية الأولاد.

مع وسائل إصلاح الأولاد.

مع حقوق الأبناء على الآباء.

صلاح الأبناء والبنات يتوقف:

أولاً: على أمرهم بالأخلاق الفاضلة والآداب الكريمة. كثيرٌ من الناس يظن الناس أن الحسنات ليست إلا في العبادات بينما يقول النبي -ﷺ- : «**مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزانِ المؤمِنِ يَوْمَ الْقِيامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ**». [أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي الدرداء].

فلان من الناس بصيامه وقيامه وفلان من الناس بحسن خلقه كلاهما يوم القيامة في درجة واحدة، لذلك ويقول -ﷺ-: « **إِنَّ المؤمنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ القَائِمِ** ». [أخرجه أبو داود عن عائشة أم المؤمنين].

ومن أعظم الأخلاق التي يجب أن يتعلمها الأطفال منذ الصغر الصدق، وأعظم وسيلة لتحقيق ذلك القدوة الصادقة. يأتي طارق يسأل عن الأب في البيت، فيقول الأب لابنه: اذهب وقل له: إن أبي ليس في البيت! فيفتح الابن الباب فيقول للطارق: إن أبي يقول لك: إنه غير موجود في البيت! فيعمل الأب

بهذا الفعل على غرس بذور الكذب في شخصية ابنه، فإذا نمت تلك البذرة الخبيثة كان أول ضحاياها هذا الأب التعس، فإذا سأل ابنه: أين كان؟ قال: كنت في المدرسة، بينما الحقيقة أنه كان في الشارع. روى أبو داود والبيهقي عن عبد الله بن عامر - رضي الله عنه - قال: «دعتني أمي يوما ورسول الله قاعد في بيتنا فقالت: يا عبد الله تعال حتى أعطيك، فقال لها رسول الله: «**ما أردت أن تعطيه؟** قالت: أردت أن أعطيه تمرا، فقال: «**أما أنكِ لو لم تعطه شيئا كتبت عليك كذبة**»، وعنه عليه الصلاة والسلام فيما رواه أحمد وغيره: «**من قال لصبي تعال هاك - أي خذ- ثم لم يعطه، فهي كذبة**».

تربية الأطفال على الصدق وعدم الكذب منذ صغره يعودهم على الخير والصلاح، ويقودهم إلى مناهج الفلاح، أيها الأخوة الأكارم علموهم صدق الحديث وحفظ الأمانة، وإفشاء السلام وإطعام الطعام وخصال الكرام، عودوهم على هدي أهل الإسلام يكن لكم في ذلك خيري الدنيا والآخرة.

ثانياً: من وسائل صلاح الأبناء والبنات، أمْرهم بصلة الأرحام، وزيارة الأخوال والخالات، والعمات والأعمام، علموهم الرحمة بالضعفاء، وأدبوهم على احترام الكبير وتوقير أهل الفضل والدين.

كم من الآباء يغرس في قلوب أبناءه الحقد والكراهية لأهل زوجته، وكم من الأمهات تغرس بذور الحقد والكراهية في قلوب أبناءها لأهل زوجها.

ثالثاً: ومما لابد أن يتنبه له الآباء وهو العدل بين الأبناء، إن الله أمرك في أبنائك وبناتك أن تكون من العادلين فيهم، اعدلوا بين أبنائكم وبناتكم، لا تفضلوا الأبناء الذكور بعضهم على بعض. ولا تفضلوا الذكور على الإناث على البنات، واتقوا الله في الجميع، فإذا عدلت بين أبنائك وبناتك حللت منابر من

نور في الجنات على يمين الرحمن في يوم يغبطك فيه الأنبياء والصديقون كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي -ﷺ- أنه قال: «إن المقسطين على منابر من نور يوم القيامة يغبطهم عليها الأنبياء والشهداء الذين يعدلون في أهليهم وما ولوا»، إننا ننشد العدل من الحكام ولن يتأتى حتى نعدل بين أبنائنا، فإياك أن تفضل بعض أبنائك بالعطية، إياك أن تكتب أرضاً، أو تعطي مالاً أو تهدي سيارة أو عقاراً إلى ابن أو بنت وتحرم الآخرين، بل اتق الله فيهم واعدل بينهم.

إنّ ظلم الأبناء والبنات يوجب الحقد والبغضاء ويوجب انتشار الشحناء، فتتفرق قلوبهم، وتنقطع أواصر المحبة بينهم وتحدث بينهم العداوة والبغضاء ويكون الأب هو سبباً في كل ذلك.

لا يزال بين المسلمين اليوم من ﴿إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنْ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[النحل: ٥٩].

أُحِبُّ البناتِ وحُبُّ البناتِ فرضٌ على كل نفسٍ كريمه
فإن شعيبًا مِنْ أجل ابنتيه أخدمه اللهُ موسى كليمَه

يقول المصطفى -ﷺ- في الحديث المتفق على صحته من حديث أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -: «من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كُنّ له ستراً من النار».

وعن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - قال قال -ﷺ-: «من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن، وأطعمهن، وسقاهن، وكساهن من جِدته -يعني ماله - كن له حجاباً من النار» [صحيح الجامع ٥/ ٣٤].

فهذا هو الجزاء الأول، الذي تناله يا عبد الله، ستر وحجاب من النار، فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز. جعلني الله وإياكم من الفائزين.

وأما الجزاء الثاني وهو الحشر مع النبي -ﷺ-فعن أنس - رضي الله عنه - قال، قال رسول الله -ﷺ-: «**من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين وضم أصابعه**» [رواه مسلم].

وأما الجزاء الثالث: فتأمل معي هذه النصوص:

عن جابر - رضي الله عنه -: «**من كان له ثلاث بنات يُؤويهن ويكفيهن ويرحمهن فقد وجبت له الجنة البتة، فقال رجل بعض القوم: وثنتين يا رسول الله، قال: وثنتين**» [أحمد والبخاري في الأدب المفرد].

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله -ﷺ-: «**من كان له أختان أو ابنتان فأحسن إليهن ما صحبتاه كنت أنا وهو في الجنة، وفرق بين إصبعيه**»[السلسلة الصحيحة " ٣ / ٢٤].

رابعاً: مما يجب على الآباء تجاه الأبناء توعيتهم بحقوق المسلمين الأقارب والجيران فاحذر أيها المسلم من أن يكون أبناؤك وبناتك سبباً في أذية المسلمين إحفظهم عن أذية الأقرباء وعن أذية الجيران، ومن أذية المسلمين خاصة في بيوت الله، إذا دخلت بهم إلى المساجد فاجعلهم عن يمينك ويسارك واجعلهم تحت نظرك وملاحظتك، خذهم بالتوجيه والإرشاد وعلّمهم احترام بيوت الله والمحافظة على نظافتها وعلمهم السكينة والهدوء قبل أن تأخذهم دعوة عبدٍ صالح فتهلكهم وتهلكك معهم، بسبب تفريطك وتضييعك الأمانة.

وإياك أن يكون أبناؤك سبباً في أذية المسلمين فلا تسمح لصغير السن والحدث أن يقود سيارة بمفرده ثم ينطلق كالمجنون يزهق الأرواح ويسفك بها الدماء، ويكون بها الشقاء والعناء.

كثير من الآباء يقصر في حق أبناءه ومن مظاهر القصور إهمال الهاتف والجوال وترك مراقبته.

الجوال وما أدراك ما الجوال؟ ! أصبح وسيلة لنشر الفساد عند كثير من الناس.

أصبح وسيلة للتواصل بين العشاق من البنين والبنات على مرأى ومسمع من الآباء والأمهات.

الجوال وسيلة إذا أُسِيء استخدامه أصبح معولَ هدم وخراب؛ فكم جرّ من بلايا ورزايا، وكم قاد إلى الشرور والمحن، وكم انتُهِك بسببه من عِرض، وكم خَرِب لأجله من بيت.

ومن مظاهر التقصير احتقار الأولاد وقلّة تشجيعهم، ومن مظاهر هذا الاحتقار إسكاتهم إذا تكلّموا، والسخرية بهم وبحديثهم؛ مما يجعل الولد عديم الثقة بنفسه، قليل الجرأة في الكلام والتعبير عن رأيه، وكذلك التشنيع عليهم إذا أخطأوا ولمزهم إذا أخفقوا في موقف أو تعثّروا في مناسبة، مما يولّد لديهم الخجل والهزيمة.

ومن مظاهر القصور في تربية الأبناء عدم إعطائهم فرصةً للتصحيح والتغيير للأفضل؛ فبمجرد أدنى خطأٍ أو زلّة تجد بعض الآباء يزري بولده، ولا يكاد ينسى هذا الخطأ له، فإذا سرق الولد ناداه باسم السارق، وإذا كذب ناداه باسم الكذَّاب، وكأن هذه الأخطاء ضربة لازب لا تزول أو وصمة عار لا

تنمحي، ومن هنا ينشأ الولد وفي نفسه أنه سارق أو كذّاب، فلا يحاول التخلّص من عيبه، ولا يجد من يعينه على ذلك.

ومن مظاهر القصور قلة التعاون مع مدارس الأولاد أو انعدامه بالكلية؛ فكثير من الآباء لا يتعاون مع المدارس التي يدرس فيها أولاده، بل ربما لا يعلم أين يدرسون.

إننا لو سبرنا أحوالهم، وتتبعنا سيرهم لوجدنا أن وراء كل واحد منهم بعد توفيق الله_أباً عظيمًا أو أمًّا عظيمة يربون أولادهم على الكمال و المعالي.

ولنأخذ نماذج لبعض الأمهات ممن كن وراء الخدور، يربين الأولاد، ويغرسن الفضيلة في جوانحهم، ويثبتن دعائمها في مسارب دمائهم.

هذا عبد الله بن الزبير كان وراءه أمٌ كريمة شجاعة، هي أسماء بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما -، وهي القائلة وقد نعي ابنها عبد الله: ما يمنعني وقد أهدي رأس يحيى بن زكريا إلى بغيٍ من بغايا بني إسرائيل؟ ! وهي القائلة أيضًا قبل ذلك عندما استشارها ابنها عبد الله بن الزبير في قتال الحجاج: اذهب، والله لضربة بالسيف على عزٍّ أفضل من ضربة بالسوط على ذُل.

وهذا سفيان الثوري، وما أدراك ما سفيان الثوري؟ ! إنه فقيه العرب ومحدِّثهم، وأحد أصحاب المذاهب الستة المتبوعة، إنه أمير المؤمنين في الحديث، وما كان ذلك العَلَم الشامخ والإمام الجليل إلا ثمرةَ أمٍ صالحةٍ، حفظ لنا التاريخ مآثرها وفضائلها ومكانتها، وإن كان ضنَّ علينا باسمها.

روى الإمام أحمد بسنده عن وكيع قال: قالت أم سفيان لسفيان: يا بنيّ، اطلب العلم وأنا أكفيك بمِغْزَلي. فكانت رحمها الله تعمل وتقدِّم له ليتفرغ للعلم، وكانت تتخوّله بالموعظة والنصيحة؛ قالت له ذات مرة فيما يرويه الإمام

أحمد: يا بُني، إن كتبت عشرة أحرفٍ فانظر هل ترى في نفسك زيادةً في خشيتك وحلمك ووقارك، فإن لم ترَ ذلك فاعلم أنها تضرك ولا تنفعك.

واختم هذه السلسة في تربية الأولاد وحقوقهم برسالة تحوي كلمات يبثّها صدرٌ مفعَم بالحب والمودّة لك أنت أيها الأب المبارك على لسان ابنك، فافتح قلبك لها، وارع لها سمعك.

يا أبتي، استمع إلى شكواي أبثّها إليك، ومشكلتي أضعها بين يديك، فمشكلتي ـ يا أبتي ـ أنك مشكلتي، فأين أنت يا أبتاه؟ ! بيتك الذي بنيته يناديك، عشك الذي رعيته يناجيك، ابنك الذي نسيته يبحث عنك ليدنو منك، أعمالك، شركاؤك، عقاراتك، رفاقك، إنهم جميعًا أعدائي؛ لأنهم أخذوك مني وأبعدوك عني بالرغم من علمي أنك لا تعمل بها إلا من أجلي ولإخوتي.

يا أبتي، دعني أُقدم لك الشكر كله على ما بذلته من أجلي وفي سبيل راحتي وسعادتي، فقد بذلت لي أسباب الراحة والرفاهية من مأكل ومشرب ومسكن على قدر جهدك وطاقتك، ولكنك ـ يا أبتي ـ قد قصرت في أهمّ الجوانب وأعظم المطالب، إنها مطالب الروح والقلب والإيمان، فمتى أهديتني كتابًا دينيًا يأخذ بيدي وينير لي دربي في هذا الزمان الذي كثرت ظلماته؟ ! ومتى حفظتني القرآن؟ ! ومتى علمتني السنة؟ ! ومتى فقهتني في الدين؟ ! لقد هيأت لي ـ يا أبتي ـ جوّ المعصية، وأحطتني بسياج الخطيئة، فتنفست رائحة الشهوة، والتقطت كل ما يفتن، ألقيتني في بحر الشهوات ولم تلبسني طوق النجاة، ثم تريدني بعد ذلك أن أكون ملكًا معصومًا! يا أبتي، إني أمانة في عنقك، فأشغلني بطاعة الله حتى لا أشغل نفسي بمعصية، استعملني في مرضاة الله حتى لا أقع فيما يغضبه، سخرني في قربات الله كي لا أجترح ما يسخطه.

أبتاه، اسمح لي أن أقسو في العبارة قليلاً، إنك ربيتني لأكون عبدًا للدنيا، فعليها أعيش، ومن أجلها ألهث، ولم تربني لأكون عبدًا لله كما يحب الله. فهل تذكر ـ أيها الحبيب ـ عندما تأخرت عن المدرسة يومًا من دون عذر ولم أُصلّ لله ركعة واحدة في ذلك اليوم وأنت على عِلم بهذا واطلاع عليه، أُسائلك بالله: علام وقع لومك وعتابك؟ ! وعلام كان عقابك؟ ! إنك ـ يا أبتي ـ عاقبتني على تأخّري عن المدرسة ولكنك لم تعاقبني ولم تلمني مجرّد لوم على عدم صلاتي ووقوفي موقف العزّ بين يدي خالقي ومولاي. فهل تريدني أن أهتم بالدنيا أكثر من الدين؟ ! وهل ترغب أن أخاف منك أكثر من خوفي من الله؟ !

أيها الأب الكريم، ها هو ابنك يبثّ إليك ما دار في خلده وما احتبس في أعماقه وما احتوته جوانحه.

أيها المسلم، هؤلاء الأولاد متى أحسنتَ تربيتهم نِلتَ بهم السعادة في الدنيا والآخرة، واسمع نبيَّك إذ يقول: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاَّ من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفَع به، أو ولد صالح يدعو له**»[أخرجه مسلم في الوصية (١٦٣١) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -].

فأنت في ظلمات اللحود تصل إليك دعواتُ أولئك الأبرار الأخيار، يسألون الله لك ويدعون الله لك، وأنت في لَحْدك قد انقضى عملك، وأصبحت فريدًا في لحدك وحيدًا، تتمنَّى مثقال ذرة من خير، وإذا الدعوات الصادقة الصادرةُ من الأبناء والبنات الذين طالما غرستَ الفضائل في نفوسهم، وحبَّبت الإيمان إلى قلوبهم، فدعواتهم تصعد إلى الله لك بالمغفرة والرضوان والتجاوُز، فما أَنْعَمَهَا من حالٍ! وما أَطْيَبَهُ من فضل! هكذا التربية الصالحة ونتائجها الحميدة، وثمارها المباركة.

يجمع الله الآباء المؤمنين بأبنائهم الصالحين في دار كرامته ومستقر رحمته في جنات النعيم كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[الطور: ٢١].

أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - بسند صحيح أن رسول الله - ﷺ - قال: «**إن الله يرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يا رب من أين لي هذا فيقول: باستغفار ولدك لك**».

اتقوا الله في أولادكم، وجنبوهم مواطن السوء وقرناء السوء واغرسوا في أنفسهم حب المعالي وأعدوهم على مائدة القرآن ليكونوا جيل النصر المنشود الذي بواسطته تحرر الأوطان ويحمى به الدين والعرض والمال ولن يحصل ذلك إلا بتحمل المسئولية وتربية الأولاد على حب الله والرسول والمؤمنين فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته.

اللهم أصلح ذرياتنا، اللهم أصلح شباب المسلمين من البنين والبنات وخذ بنواصيهم إلى البر والتقوى وألهمهم السداد والهدى، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين.

حقوق المسنين (١)

الحمد لله الذي قدّر الأمور وقضاها، وعلى ما سبق علمه بها أمضاها، وكما قدّر مبدأها قدّر منتهاها، أحمده حمداً يدوم ولا يتناهى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أظهر الأدلة على وحدانيته وجلاها، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أرسله إلى جميع الناس أدناها وأقصاها، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وأصحابه الذين آتى الله نفوسهم تقواها.

وبعد:

، لا زلنا نتحدث مع سلسلة الحقوق في الإسلام.

اليوم حديثنا اليوم عن حقوق الكبار والمسنين في الإسلام . هل للمسنين حقوق في الإسلام نعم.

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾[الروم: ٥٤]. ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ﴾ صغيراً ضعيفاً، ليس له قَدَم تسعى، ولا يَدٌ تبطش، ولا سِنٌّ تقطع

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ﴾ضعف النطفة ضعف العلقة ضعف المضغة ضعف الولادة ضعف الطفولة.

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾، قوة الشباب قوة العضلات قوة العقل قوة التحمل التي يعيش بها أجمل الأيام والذكريات مع الأصحاب والأحباب، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ثم تمر السنون والأعوام، وتتلاحق الأيام تلو الأيام، حتى يصير إلى المشيب والكبر، ويقف عند آخر هذه الحياة، فينظر إليها

فكأنها نسج من الخيال أو ضرب من الأحلام، يقف في آخر هذه الحياة وقد ضعف بدنه وانتابته الأسقام والآلام، ثم بعد ذلك يفجع بفراق الأحبة والصحب الكرام، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾.

نعيش مع حقوق الكبار والمسنين في الإسلام

إنه الكبير إنه المسن الذي رق عظمه وكبر سنه، وخارت قواه وشاب رأسه، إنه الكبير الذي نظر الله إلى ضعفه وقلة حيلته فرحمه وعفا عنه، قال الله تعالى: ﴿إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً *فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[النساء: ٩٩].

اسألوا كبار السن عن حالهم وطبيعتهم وتغير أحوالهم وضعف أبصارهم وتزايد عللهم وصدق الله القائل: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلا يَعْقِلُونَ﴾[يس: ٦٨] سُئل احد الشيوخ عن حاله، فقال: « أجدني قد ابيضّ مني ما كنت أحب أن يسودّ، واسودّ مني ما كنت أحب أن يبيضّ، ولان مني ما كنت أحب أن يشتدّ، واشتدّ مني ما كنت أحب أن يلين، و أجدني يسبقني من بين يديّ، ويدركني من خلفي، وأنسى الحديث، وأذكر القديم، وأنعس في الملأ، وأسهر في الخلاء، وإذا قمتُ قربت الأرض مني، وإذا قعدتُ بعدت عني ».

تقارب الخطو وضعف البصر
وقلة الطعم إذا الزاد حضر
وكثرة النسيان ما بي مُدّكر
وقلة النوم إذا الليل اعتكر
أوله نومٌ وثلثاه سهر

وسـعلة تعتادنـي مع السحر
وتركي الحسناء في حين الطُهر
وحـذراً أزداده إلى حـذر
والناس يبلون كما يبلى الشجر

وصدق من قال:

ابـن عشرٍ مـن السـنين غُـلام رُفعـت عـن نظـيره الأقـلام
وابـن عشرين للصبا والتصابي لـيس يثنيه عـن هـواه مـلام
والثلاثـون قـوةٌ وشـباب وهيـام ولوعـة وغـرام
فـإذا زيـد بعـذلك عشرا فكـمالٌ وقـوةٌ وتمـام
وابـن خمسـين مـر عنـه صـباه فـيراه كأنـه أحـلام
وابـن سـتين صـيّرته الليـالي هـدفاً للمنـون وهـي سـهام
وابـن سبعين عـاش مـا قـد كفـاه واعترتـه وسـاوس وسـقام
فـإذا زيـد بعـد ذلـك عشرا بلـغ الغايـة التـي لا تـرام
وابـن تسـعين لا تسـلني عنـه فـابن تسـعين مـا عليـه كـلام
فـإذا زيـد بعـد ذلـك عشرا فهـو حـيٌ كميـت والسـلام

سأل الحجاج رجلاً من بني ليث، قد بلغ سناً كبيرة، قال: كيف طعمك؟ قال: إذا أكلت ثقلت، وإذا تركت ضعفت. . قال: كيف نومك؟ قال: أنام في المجمع وأسهر في المضجع. قال: كيف قيامك وقعودك؟ قال: إذا أردت الأرض تباعدت منّي، وإذا أردت القيام لزمتني. قال: كيف مشيتك؟ قال: تعقلني الشعرة وأعثر بالبعرة. لا اله إلا الله.

لكـل شيء إذا مـا تـم نقصـان فـلا يُغـرّ بطيـب العـيش إنسـان

قال تعالى: ﴿واللهُ خَلَقَكُم ثمَّ يَتَوَفَّاكُم ومِنكُم مَّن يُـرَدُّ إلى أَرذَلِ العُمُرِ لكـيلا يَعلَمَ بَعدَ عِلمٍ شَيئاً إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ قَـدِيرٌ﴾[النحل: ٧٠]. وأرذل العمر كما ذكر المفسرون هو: أخسّه وأدونه وآخره الذي تضعف فيه القوى، وتفسد فيه الحواس، ويختل فيه النطق والفكر، ويحصل فيه قلة العلم وسوء الحفظ والخرف، وخصّه الله بالرذيلة لأنه حالة لا رجاء بعدها لإصلاح ما فسد.

هل هناك دواء يعيد الشيخ شاباً؟ لو كان موجوداً لبُذل له الغالي والرخيص وكان أول من يشتريه الحكام لأنهم يريدون أن يستمروا شباباً يحكمون إلى ما شاء الله، وسيشتريه الأغنياء ليبقون عند أموالهم وتجاراتهم لكن شاء الله أن كل شيء إلى زوال. . ﴿كُـلُّ مَـنْ عَلَيْهَـا فَـانٍ وَيَبْقَـى وَجْـهُ رَبِّـكَ ذُو الْجَـلالِ وَالإِكْرَامِ﴾[الرحمن: ٢٧]

إلا أن من المفسرين من ذكر أن بعض المؤمنين يُستثنون من حالة الردّ إلى أرذل العمر. قال القرطبي - رحمه الله -: « إن هذا لا يكون للمؤمن ـ يعني الخرف والرد إلى أرذل العمر ـ، لأن المؤمن لا يُنزع عنه علمه » ، وورد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قوله: « **ليس هذا في المسلمين لأن المسلم لا يزداد في طول العمر والبقاء إلا كرامة عند الله وعقلاً ومعرفة** »، كما نُقل عن عكرمة قوله: « **من قرأ القرآن لم يُرَد إلى أرذل العمر حتى لا يعلم بعد علم شيئاً** » وقال طاووس: « إن العالم لا يخرف »، وذكر السيوطي عن عبد الملك بن عمير أنه قال: « كان يقال: إن أبقى الناس عقولاً قُرّاء القرآن »· كما ذكر ابن أبي الدنيا عن الشعبي أنه قال: « من قرأ القرآن لم يخرف ».

نعرف أُناسا بلغوا الثمانين وربما أكثر ولا زالوا بعقولهم وصلاتهم وحياءهم وصبرهم.

وهناك من بلغ الخمسين أو تزيد وقد بدا في الخرف والسب واللعن يؤذي أهله بصياحه ويشغلهم بإلحاحه.

اللهم أحسن ختامنا ولا تردنا إلى أرذل العمر يارب العالمين.

الكبار الذي تعلمنا منهم وعلمونا.

ماذا تعلّمنا من المسنين

كبار السنّ عالم آخر وروح عجيبة وقصص وحكايات وأخبار.

الكبار والشيوخ لهم ميزات وصفات تعلمناها منهم وشاهدناهم عليها وننصحهم بالاستمرار والثبات عليها من هذه الصفات:

أولاً: كثرة ذكرهم لله تعالى قائمين قاعدين وعلى جنوبهم ، حتى إننا لا نشعر بدخولهم في أيّ مكان إلا من خلال سماعنا لما تعطّرت به أفواههم من ذكر الله تعالى من مثل: (لا إله إلا الله – لا حول ولا قوة إلا بالله – يا الله سترك – يا الله حُسن الخاتمة – يا الله عونك – سبحان الله – اللهم رحمتك. . .) ومن طريف ما سمعته عن أحد الأطفال الصغار قوله: جاء جدّي من المسجد ، قالت أمّه: وكيف عرفت ذلك حبيبي؟ قال الصبي: أسمع صوته الآن يقول (لا إله إلا الله) وهو لم يره ، وهنا لفتة جميلة في التربية وهي تعويد الأطفال الذكر ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[الرعد: ٢٨].

ثانياً: صبرهم على المرض ـ وفي ذلك عبرة وعظة – مع ضعف أجسامهم.

ثالثا: حرصهم على صلة الرحم ، وقد سمعت شيخاً كبيراً يقول لأحد أحفاده: يا بني متى نذهب لزيارة عمّك وعمّتك نسلّم عليهم ونعود؟

رابعاً: قوة عزيمتهم في العبادة، فمن الطبيعي أن تجد الكبير المسنّ يصلي من الليل – ويطيل الصلاة- واقفاً أو مستنداً على عصا ، وشاهد ذلك في قيام رمضان ، يقول لي احدهم والله ما قمت في ساعة من ساعات الليل إلا وارى أمي قائمة بيد يدي ربها إما قائمة أو راكعة أو ساجدة لله عزو جل.

وهذا رجل تركي بلغ الستين يصلي في الحرم المكي صلاة القيام وبعد الصلاة الشباب يستريحون من طول القيام وهو قام يصلي والأعجب من ذلك أننا لمن نكن نعرف انه يصلي برجل واحدة لا يتحرك واقف كأن له رجلين نعم إنها الصلاة يوم يجد العبد لها لذة وحلاوة.

وكذلك قوة عزيمتهم في صيام النافلة. . فمن كبار السن من يصوم الشهر والشهرين والثلاثة لا يفتر فأين الشباب ومن يتدفقون حيوية؟

ومن صفات كبار السن من أهل الإيمان:

خامسا: الخبرة الواسعة والتجارب والحكمة والمعرفة بالأحوال والأمور لهم منها نصيب الأسد فأين المستشير المستنير؟ . ولا أنسى ذلك الشيخ الكبير الذي ركبت مع في سيارة فسألته عن عمره فقال ثمانين عاما فقلت ماشا الله كيف مرّت عليك هذه السنين؟ كأنها عام قال: لا اقل. قلت كأنها شهور. قال: والله اقل. قلت كيف مرّت قال مثل أن تفتح عينيك ثم تغمضها فقلت سبحان ما أسرع مرور الأيام.

فقلت نصيحة وموعظة تعلمتها من هذه الأيام؟ فقال: يا بني عليك بحرف الصاد. قلت وما حرف الصاد قال عليك بالصلاة فلا خير في الإسلام لمن ضيع الصلاة.

عليك بالصدقة فالصدقة تطفئ غضب الرب وتشفي المريض وترفعك درجات.

عليك بالصبر فأحسن حياة وأجمل حياة واسعد حياة تنالها بالصبر وبشر الصابرين.

عليك بالصوم فهو جنة ووقاية من العذاب.

عليك بصلة الرحم فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله.

قلت سبحان الله إنها نصيحة مباركة.

صبراً أيها المسنين

نعيش مع كبير السن نعيش مع حقوقه التي طالما ضُيِّعت، ومشاعره وأحاسيسه التي طالما جُرحت، ومع آلامه وهمومه وغمومه وأحزانه التي كثرت وعظمت.

أصبح كبير السن اليوم أحيانا غريبًا حتى بين أهلِه وأولاده، ثقيلاً حتى على أقربائه وأحفاده، من هذا الذي يجالسه؟ ! ومن هذا الذي يؤانسه؟ ! بل من هذا الذي يدخل السرور عليه ويباسطه؟ !

إذا تكلم الكبير قاطعه الصبيان، وإذا أبدى رأيه ومشورته سفهه الصغار، فأصبحت حكمته وخبرته في الحياة إلى ضياع وخسران. أما إذا خرج من بيته فقد كان يخرج بالأمس القريب إلى الأصحاب والأحباب وإلى الإخوان والخلان، يزورهم ويزورونه، يقضي حوائجهم ويقضون حوائجه، أما اليوم فإن خرج فإنه يخرج إلى الأشجان والأحزان، يخرج اليوم إلى أحبابه وأصحابه من أقرانه وممن كان يجالسهم، يخرج اليوم يُشيّع موتاهم ويعود مرضاهم، فالله أعلم كيف يعود إلى بيته، يعود بالقلب المجروح المنكسر، وبالعين الدامعة، وبالدمع الغزير

المنهمر؛ لأنه ينتظر دوره. يرجع إلى بيته ويرى أن معظم أقرانه وجُلسائه قد فارقوا الحياة، فصار وحيدًا غريبًا ينتظر أمر الله عز وجل.

أيها الآباء الكبار، الله وحده يرحم ضعفكم، الله يجبر كسركم، في الله عوض عن الفائتين، وفي الله أنس للمستوحشين. إنا لنعلم أنه قد تجعّد جلدك، وثقل سمعك، وضعف بصرك، وبطِئت حركتك، وترهلت عضلاتك، وتغيّر لون شعرك، ومع ذلك ـ فيا معاشر الكبار ـ أنتم كبار في قلوبنا، وكبار في نفوسنا، وكبار في عيوننا، كبار بعظيم حسناتكم وفضلكم بعد الله علينا، أنتم الذين عَلّمتم وربيتم وبنيتم وقدمتم وضحيتم، لئن نسي الكثير فضلكم فإن الله لا ينسى، ولئن طال العهد على ما قدمتموه من خيرات وتضحيات فإن الخير يدوم ويبقى، ثم إلى ربك المنتهى، وعنده الجزاء الأوفى، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾[الكهف: ٣٠].

ولئن جحد الكثير معروفكم فإن المعروف لا يَبْلى، وما أكثر من يجحد المعروف وينسى الإحسان هذه الأيام.

أحدهم يدخل إلى البيت ومعه زملاؤه فيدخل عليهم أبوه الشايب رث الثياب. فقالوا من هذا فاستحى أن يقول أبي فقال هذا يعمل عندنا. سمعها أبوه كالصاعقة يستحي من ذكري لهم.

وهذا آخر يأخذ أبوه معه في السيارة ليضعه في طريق عام ويتركه هناك ومعه ورقة ووعده بالوعود مرت الساعة الأولى والثانية والثالثة حتى بدأت الشمس تغرب فجاءه رجل قائلاً يا حاج هل تنتظر احد؟ قال نعم ابني وعدني أن يعود ذهب يشتري لي حاجات. وهل تعرف رقم جواله قال لا لكنه ترك معي ورقة.

نظر إليها الرجل وإذا فيها من وجد صاحب الورقة فليفعل فيه خير وليدخله دار المسنين.

يا معاشر الآباء الكبار، أمّا الآلام والأسقام والأمراض التي تجدونها بسبب كبر السن فالملائكة كتبت حسناتَها، والله عظّم أجورها، وستجدونها بين يدي الله، فالله أعلم كم كان لهذه الأسقام والآلام من حسنات ودرجات، اليوم تُزعجكم وتقلقكم وتُبكيكم وتقض مضاجعكم، ولكنها غدًا بين يدي الله تفرحكُم وتضحككُم، فاصبروا على البلاء، واحتسبوا عند الله جزيل الأجر والثناء، فإن الله لا يمنع عبده المؤمن حسن العطاء، قال -ﷺ-: «**عجبت لأمر المؤمن، إن أمره كله خيرٌ؛ إن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له**». عظّم الله أجوركم، وأجزل في الآخرة ثوابكم، فأحسنوا الظن بما تجدونه عند ربكم.

ثم **يا معاشر الأبناء الشباب**، توقير الكبير وتقديره أدب من آداب الإسلام وسنة من سنن سيد الأنام عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى السلام.

يا **معاشر الأبناء الشباب**، إجلال الكبير وتوقيره وقضاء حوائجه سنة من سنن الأنبياء وشيمة من شيم الصالحين الأوفياء، ﴿**قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ *فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ**﴾ [القصص: ٢٣].

يا معاشر الشباب، ارحموا كبار السن وقدروهم ووقروهم وأجلُّوهم؛ فإن الله يحب ذلك ويثني عليه خيرًا كثيرًا، قال النبي -ﷺ-: «**إن من إجلال الله إجلال ذي الشيبة المسلم**»، وقال: « **ما شاب رجل في الإسلام شيبة إلا رفعه الله بها درجة، ومحيت عنه بها سيئة وكتبت له بها حسنة** » وقد تقدم حديث أنس بن

مالك - رضي الله عنه -أن رسول الله -ﷺ- قال كما في المسند: « ما من مُعمَّر يعمَّر في الإسلام أربعين سنة إلا صرف الله عنه ثلاثة أنواع من البلايا، الجنون والجذام والبرص، فإذا بلغ خمسين سنة ليَّن الله عليه الحساب، فإذا بلغ ستين سنة رزقه الله الإنابة إليه بما يُحب، فإذا بلغ سبعين سنة أحبه الله وأحبه أهل السماء، فإذا بلغ الثمانين قبل الله حسناته وتجاوز عن سيئاته، فإذا بلغ تسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وسُمي أسير الله في أرضه، وشفَّع لأهل بيته »، وقال -ﷺ-: «ليس منّا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا». إذا رأيت الكبير فارحم ضعفه، وأكبر شيبَهُ، وقدِّر منزلته وارفع درجته، وفرج كربته، يَعظُم لك الثواب، ويُجزِل الله لك به الحسنى في المرجع والمآب، ، فإنَّ الله سيجعل لك في كبَرك من يعامِلكَ بتلك المعاملةِ الحسنَة، لا يَغرَّنَّك الشبابُ والقوّةُ والمال والجاه، ، هذه القوّة التي خدَعَك بها الشباب وغرَّك بها شبابك، فإنّ الأيامَ آتيةٌ، وستعود ضعيفًا بعد قوّتِك وعاجِزًا بعد قدرتِك ووهنًا بعد تحرُّكِك.

يا معاشر الشباب، أحسنوا لكبار السن، لا سيما الوالدين من الآباء والأمهات، ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا *وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنْ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾، لا سيما إن كان الكبار من الأعمام والعمات والأخوال والخالات. كم تجلسون مع الأصحاب والأحباب من ساعات وساعات، كم تجالسونهم وتباسطونهم وتدخلون السرور عليهم، فإذا جلستم مع الأقرباء الكبار مللتم وضقتم وسئمتم، فالله الله في ضعفهم، الله الله فيما هم فيه من ضيق نفوسهم.

يا معاشر الشباب، ما كان للكبار من الحسنات فانشروها واقبلوها واذكروها، وما كان من السيئات والهنات فاغفروها واستروها، فإنه ليس من البر إظهار زلة من أحسن إليك دهرا، وليس من الشيمة إعلان هفوة مَن مَا بِكَ مِن خير فبسببه.

أسأل الله أن يوفقنا لطاعته، وأن يجنبنا معصيته، ، إنه خير مسؤول، وصلى الله وسلم على الرسول وعلى آله وصحبه أجمعين.

حقوق المسنين (٢)

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ولي الصالحين وأشهد أن محمدا عبده ورسوله سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد:

لا زلنا وإياكم مع حقوق الكبار والمسنين في الإسلام.

سُئل بعض السلف فقيل له: من أسعد الناس؟ قال: أسعد الناس من ختم الله له بالخير. أسعد الناس من حسُنت خاتمته، وجاءت على الخير قيامتُه، قال -ﷺ-: «**خيركم من طال عمره وحسن عمله، وشركم من طال عمره وساء عمله**»[رواه أحمد (٥/ ٤٠) والترمذي في كتاب الزهد].

يا ابن آدم، إذا رق عظمك وشاب شعرك فقد أتاك النذير، قال تعالى: ﴿**أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ**﴾[فاطر:٣٧]؛ تذكرة من الله جل جلاله، وتنبيه من الله سبحانه وتعالى رحمةً بعباده. كان السلف الصالح رحمة الله عليهم إذا بلغ الرجل منهم أربعين سنة لزم المساجد وسأل الله العفو عما سلف، و الإحسان فيما بقي من الأزمان. أما اليوم فعض أبناء ستين وسبعين في الحياة يلهثون، غافلون لاهون، من طلوع الصباح إلى غروب الشمس يلهثون في هذه الدنيا، بل من الغريب أن بعض من بلغ الخمسين والستين تراهم مقصرين في

صلاة الفجر والبعض يسل لسانه في الناس بالغيبة والنميمة وما هذا إلا سوء توفيق، فيا أيها الأب الكبير اتق الله فالموت اقرب إليك من غيرك.

يا معاشر الآباء الكبار، أنتم قدوة لأبنائكم وبناتكم وأهليكم، قدوة في مجتمعاتكم، فإن كنت محافظًا على الخير والطاعات أحبوك وهابوك وأجلّوك وأكرموك، وإن وجدوك مقصرا في الطاعات تسب الناس وتشتمهم وتنتقصهم وتعيبهم وتغتابهم أهانوك وأذلوك ثم وعابوك، وهكذا يُجزى المحسن بالإحسان، والمسيئون بالخيبة والخسران.

معاشر الآباء الكبار، إنكم قدوة في مجتمعاتكم، أردتم أم لم تريدوا، من هم دونكم في السن ينظرون إليكم نظرة إجلال واقتداء، فالحذر الحذر من المخالفة والعصيان، إن المجتمع لا يقبل أن يُرى كبير السن سيئًا في خلقه وتعامله، لا يرضى المجتمع أن يُرى كبير السن يدخن مثلاً، فكيف بما هو أعظم من التدخين؟ ! أو يلاحظ عليه ما يشين. نعم يا معاشر الكبار، إن من حقكم علينا الاحترام والتقدير والمواساة، ومن حقنا عليكم القدوة وأن تكونوا نماذج يُحتذى بكم ويستفاد من خبرتكم وتجاربكم.

وفي صحيح مسلم وسنن النسائي من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال -صلى الله عليه وسلم-: «**ثلاثة لا ينظر الله إليهم ولا يزكيهم ولا يكلمهم يوم القيامة ولهم عذاب أليم» قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «شيخ زانٍ، وملك كذاب، وعائل مستكبر**».

يقول الرسول -صلى الله عليه وسلم- ثلاثة لا ينظر إليهم الله ولا يزكيهم ولا يكلمهم يوم القيامة يا ترى من هم خابوا وخسروا ورب الكعبة؟ ! قال: الأول: شيخ زانٍ،

قَلَّت عنده الشهوة وضعفت عنده الرغبة وبالرغم من ذلك ذهب ليتمرغ في أوحال الفاحشة العفنة، ويرتع في مستنقع الرذيلة القذر! ! .

يا معاشر الآباء الكبار، إنابة إلى الله الواحد القهار، وتوبة من الحليم الغفار، إذا تقربت إلى الله شبرًا تقرب منك ذراعًا، وإن تقربت منه ذراعًا تقرب منك باعًا، وإذا أتيته تمشي أتاك هرولة، إذا نظر الله إلى قلبك أنك تحب التوبة وتحب الإنابة إليه فتح لك أبواب رحمته ويسر لك السبيل إلى مغفرته وجنته.

قال بعض كبار السن: اللهم أحسن لي الخاتمة، فمات بين الركن والمقام. وقال ثان: اللهم أحسن الختام، فمات وهو ساجد بين يدي الله جل جلاله. وقال ثالث: اللهم إني أسألك حسن الخاتمة، فمات يوم الخميس صائمًا لله جل جلاله. أحسنوا الختام، وأقبلوا على الله جل جلاله بسلام، وودعوا هذه الدنيا بأحسن الأعمال وشيم الكرام، فإن الأعمال بالخواتيم. اللهم احسن ختامنا يارب العالمين.

يا معاشر الآباء الكبار، إن مما يحفظ عليكم صحتكم وقوتكم حتى مع كبر سنكم طاعة الله جل وتعالى، وأن لا تُستخدم هذه الجوارح في معصيته، ولذا يقول النبي -ﷺ-: «**احفظ الله يحفظك**»، أي: من حفظ الله في صباه وقوته حفظه الله في حال كبره وضعف قوته، ومتعه بسمعه وبصره وحوله وقوته وعقله.

رُوي عن أبي الطيب الطبري - رحمه الله -أنه جاوز المائة سنة وهو ممتع بقوته وعقله، فركب مرة سفينة، فلما خرج منها قفز قفزةً قوية لا يستطيعها الشباب، فقيل له: ما هذا يا أبا الطيب؟ ! فقال: ولِمَ وما عصيت الله بواحدة منها قط؟ ! هذه جوارح حفظناها في الصغر فحفظها الله لنا وقت الكبر.

إنها جوارح متى ما حُفِظت حَفَظَت، «احفظ الله يحفظك».

معاشر الآباء الكبار، لقد دلّنا رسول الله -ﷺ- إلى بعض الأعمال التي بسببها يطول عمر الإنسان، وعُدّ إطالة العمر جزاءً لهذه الأعمال الفاضلة، ومن ذلك بر الوالدين وصلة الأرحام وحسن الخلق وحسن الجوار وتقوى الله عز وجل.

فنسأل الله جل وتعالى طول عمر مع حسن عمل، كما نسأله سبحانه صحة في قلوبنا وصحة في أبداننا، وأن لا يحوجنا إلى غيره سبحانه.

إن مرحلة الشيخوخة من العمر مرحلة عصيبة، ولا عجب فلقد تعوذ منها رسول الله -ﷺ- فيما رواه عنه أنس - رضي الله عنه - أن النبي -ﷺ- كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم»[رواه البخاري]، وفي رواية أخرى أنه عليه الصلاة والسلام كان يتعوذ من أن يرد إلى أرذل العمر. عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله -ﷺ- قال: «بادروا بالأعمال سبعًا: هل تنتظرون إلا فقرًا مُنسيا أو غنى مطغيا أو مرضًا مفسدا أو هرمًا مفندا أو موتًا مجهزا؟ ! ».

رعاية المسنين

ولئن اعتنت الدول بهذه المرحلة من عمر الإنسان فظهر ما يسمى بنظام التقاعد والتأمينات الاجتماعية، فإن الإسلام قد نظّم وأكد هذا الأمر قبل أكثر من أربعة عشر قرنًا. إن المسنّين يدخلون ضمن الرعية التي يعَدّ إمام المسلمين راعيًا لهم ومسؤولاً عنهم، «كلكم راع ومسؤول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته»[رواه البخاري من حديث ابن عمر].

ورعاية المسنين تلزم ولي أمر المسلمين، وهي مسؤولية شاملة لجوانب الرعاية، من اقتصادية واجتماعية وطبية ونفسية وغيرها. عن معقل بن يسار - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يُحِطها بنصحه إلا لم يجد رائحة الجنة**»[رواه البخاري].

أتَى الصّدِّيق - رضي الله عنه - عامَ الفتح بأبيه أبي قُحَافةَ إلى النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- لكَي يبايع النّبيَّ ويعلنَ إسلامَه، فقالَ النبيّ -صلى الله عليه وسلم- للصدِّيق: «**ألا تركتَ الشيخَ في بيتِه فنأتيهِ نحن**» [أخرجه أحمد (٦/ ٣٤٩)، والطبراني في الكبير (٢٤/ ٨٨) عن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنها -]، فصلوات الله وسلامُه عليه أبدًا دائمًا إلى يومِ الدين. «**ألا تركتَ الشيخ في بيتِه حتى نأتي**»، هكذا يعامل رسول الله المسِنِّين، وهَكذا يرحَمهم ويُشفِق عليهم، وهكذا يعلِّم أَصحابَه كيفَ التعاملُ معَ الكِبار. كان إذا تحدَّث الصغير قال: «**كبِّر كبِّر**» [رواه البخاري في الجزية (٣١٧٣)، ومسلم في القسامة (١٦٦٩) من حديث سهل بن أبي حثمة - رضي الله عنه -]، فيُقدِّم الكِبارَ ليتَحدّثوا تأدِيبًا للصّغار؛ ليعلَموا حقَّ الكبارِ وفضلَ الكِبار. مرَّ رَجلٌ بابن عمَر وهو يطوف بالبَيت حاملاً أمَّه علَى كتِفِه يطوف بها، قال: يا عَبدَ الله بن عمر، أَتَراني قمتُ بحقِّ أمّي؟ قال: يَا هذا، لاَ والله، ولا طَلقة من طلقاتِ الوِلادةِ، ولكنَّك محسِن والله يثيبك. [أخرجه أحمد، وأبو داود في الأدب، والترمذي في البر ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٢٥).].

أيّها الأبُ الكريم، أبناؤُك على اختلاف مراحِلِ أعمارهم أدِّبهم، وقل للصّغير: لا تجلِس قبلَ الكبير، وقل للصّغير: لا تتقدَّم علَى الكبير، وقل للصّغير: لا تأخُذ أشياء قبلَ الكبير، فلنبدأ بأنفسِنا في بيوتِنا وأبنائِنا ثم أقاربِنا ثم المسلِمين.

لقد جاءت هذه الشريعة رحمة للبشرية، ومن صور هذه الرحمة أن الله عز وجل خص كبار السن ببعض الأحكام؛ رحمةً بهم وإشفاقًا عليهم، مراعاةً لحالتهم الصحية والبدنية، من ذلك:

أنه أمر الأئمة في المساجد بتخفيف الصلاة مراعاة لكبار السن والمرضى، روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**إذا صلى أحدكم للناس فليخفف؛ فإن منهم الضعيف والسقيم والكبير، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء**».

ومن الأحكام أن الأكبر سنا مقدّم في الإمامة في الصلاة إذا تساووا في قراءة القرآن.

وأيضا من الأحكام أن كبير السن الذي لا يستوي على الراحلة يحج عنه ويعتمر ولو كان حيا، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: جاءت امرأةٌ من خثعم عام حجة الوداع قالت: يا رسول الله، إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخا كبيرا لا يستطيع أن يستوي على الراحلة، فهل يقضي عنه أن أحج عنه؟ قال: «**نعم**»[رواه البخاري].

ومن الأحكام الرخصة لكبير السن بالإفطار في رمضان حين عجزه، والإطعام عن كل يوم مسكينا أخذا بقول الله تعالى: ﴿**فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ**﴾[البقرة: ١٨٤].

ومن الأحكام أنه أمر الصغير أن يسلم على الكبير، وأن يبدأه إجلالا له وتقديرا لسنه، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يسلم الصغير على الكبير، والمار على القاعد، والقليل على الكثير**»[رواه البخاري].

ومن أحكام كبار السن أنه -ﷺ- أمر أن يُبدأ بتقديم الشرب للأكابر، ففي الحديث أن رسول الله -ﷺ- كان إذا سُقي قال: «ابدؤوا بالكبراء»، أو قال: «بالأكابر». ومرةً جاءه عيينة بن حصن وعنده أبو بكر وعمر وهم جلوس على الأرض، فدعا لعيينة بوسادة وأجلسه عليها، وقال: «إذا أتاكم كبير قوم فأكرموه».

ومن أحكام المسنين أن الشريعة نهت عن قتل كبير السن من العدو الكافر حال الجهاد، فقد كان رسول الله -ﷺ- يوصي أصحابه عند بعث السرايا والجيوش في الغزوات: «أن لا يقتلوا صغيرًا ولا امرأةً ولا شيخًا كبيرًا»، روى الطبراني عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله -ﷺ- إذا بعث جيشًا أو سريةً دعا صاحبهم فأمره بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: «اغزوا بسم الله وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، لا تغلّوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا ولا شيخًا كبيرًا».

فتأمل ـ يا رعاك الله ـ إلى شريعة الإسلام حتى مع العدو حال القتال، لا يقتل كبير السن، ولا تقتل المرأة، فضلاً عن الأطفال، وقارن ـ يا أخي الحبيب ـ بين هذا وبين ما يمارسه الكفار اليوم بجميع مللهم ونحلهم، ابتداءً من اليهود ومرورًا بالنصارى وانتهاءً بالصرب والشيوعيين، وكيف أنهم لم يرحموا طفلاً رضيعًا ولا شيخًا كبيرًا ولا امرأةً مسكينة، بل بهم يبدؤون، وعليهم ترسل الصواريخ والقذائف، بل وتدمر البيوت والمساكن فوق رؤوسهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله، إنها شريعة الغاب التي يدين بها الغرب.

وإن تعجب فأعجب من موقف عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - مع ذلك الرجل الكبير المسنّ الضرير اليهودي، وقد ذكره أبو يوسف في كتاب الخراج أن

عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - مرَّ بباب قوم وعليه سائل يسأل، شيخ كبير ضرير البصر، فضرب عضده من خلفه، فقال: من أيّ أهل الكتاب أنت؟ قال: يهودي، قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسنّ، قال: فأخذ عمر - رضي الله عنه - بيده فذهب به إلى منزله فأعطاه من المنزل شيئًا، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباءه، فوالله ما أنصفناه إذ أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم، ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾[التوبة: ٦٠]، فالفقراء هم المسلمون والمساكين من أهل الكتاب، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه.

ألا فلتسمع الدنيا مثل هذه المعاملة، ولتسمع بخالد بن الوليد - رضي الله عنه - عندما صالح أهل الحيرة وجاء في صلحه معهم أنه قال: (وجعلت لهم أيّما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيًا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين).

المسنين في الغرب

أين منظمات حقوق الإنسان اليوم عن مثل هذه الأحكام وهذه التشريعات؟ ! إن الغرب - أيها الأحبة - الذي يدّعي حقوق الإنسان اليوم زعموا، إليك بعض أخباره مع كبار السن عندهم:

تطالعنا الأخبار بين حين وآخر عما يحدث لبعض المسنِّين هناك، فهذا مسنٌّ يبقى متوفياً داخل شقته لأكثر من سنة ولم تكتشف جثته إلا صُدفة. أترى لو كان أبناء أصدقائه يزورونه ويصلونه هل سيصل إلى هذه الحالة؟ ! ! وهذا تقرير يصدر عن وزارة الأسرة والشبيبة والكهولة في ألمانيا جاء فيه: أن هناك (٤٤٠) ألف مسنّ تعرضوا لإيذاء جسدي ومعاملة سيئة مرة واحدة على الأقل عام

١٩٩٣م ، والغريب في الأمر أن ذلك الإيذاء صادر من أفراد الأسرة، فهل ينتظر من أفراد الأسرة تلك صلة صديق والدها؟

وهذه عجوز تموت جوعاً في شقتها بسبب ابنها الذي قطع عنها الماء والكهرباء والغاز، وأصبحت رهينة شقتها عاجزة عن الحركة حتى اكتشف الجيران أمرها، ولكن بعد فوات الأوان! ويضيف الخبر أن أقرباء المسنَّة لم يبدوا أيَّ اهتمام تجاه الأمر ! !

ولا يقتصر الأمر على العالم الغربي فحسب! بل حتى العالم الشرقي عمّه هذا البلاء، فقد ذكرت مجلة (فوكوس) اليابانية أنه عُثر على جثّة مسن بعد مضي سنة ونصف من وفاته في شقته بأحد الأحياء الراقية جداً في مدينة طوكيو، وهذه مسنة عثر عليها في شقتها بمدينة طوكيو وقد ماتت جوعاً، وأشدها غرابة ذلك العجوز الذي توفي وقد تجاوز عمره التسعين عاماً، إلا أن أحداً لم يدر بموته إلا بعد خمسة أيام، ومبعث الاستغراب أنه مات في دار خاصة بالمسنِّين في مدينة (سابور) باليابان ولم يشعر العاملون بموته رغم وجوده في دار خاصة برعايته والعناية به! ! ! ، وقد علم بوفاته بعض أفراد عائلته عندما جاؤوا لزيارته إذا فالحل لمشاكل الأمة والعالم اجمع في الإسلام وشريعة الإسلام ورحمة الإسلام.

إذاً فالمسنُّ في المجتمع المسلم يعيش في كنف أفراده، ويجد له معاملة خاصة تتميز عن الآخرين، ولم تقتصر هذه الرعاية والعناية على المسن المسلم، بل امتدت يد الرعاية لتشمل غير المسلم طالما أنه يعيش بين ظهراني المسلمين.

إنه لا خلاص للبشرية من الممارسات الوحشية اليوم في العالم كله إلا بالإسلام، ويوم يرجع الإسلام لحكمه في الأرض فستنعم البشرية في ظله، وهو يوم آت لا نشك في ذلك، ولتعلمُنّ نبأه بعد حين.

اللهم ارحمنا رحمة اهد بها قلوبنا، اللهم اختم لنا بخير، اللهم اختم لنا بخير، اللهم اجعل خير أعمالنا أواخرها، وخير أعمارنا خواتمها، وخير أيامنا يوم لقائك، اللهم اجعل أسعد اللحظات وأعزها لحظة الوقوف بين يديك برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم ارحم كبارنا، ووفق للخير صغارنا، وخذ بنواصينا لما يرضيك عنا. . .

حقوق الأم (١)

الحمد لله الذي منّ علينا بالإسلام والإيمان، وتفضل علينا ببيان الشرائع والأحكام، وأحل الحلال وحرم الحرام، أحمده على نعمه الكاملة في كل آن، وأشكره على آلائه الشاملة لكل إنس وجان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الأطهار.

وبعد:

سنعيش مع من؟ مع القلب الرحيم والصدر الحنون، مع القلب المجبولُ على الشفقة، مع القلب الذي خلِق يوم خُلِق فركّبت فيه الرحمة مع القلب الذي يحِبَّ وإن لم يُحَبّ، ويحنو وإن أغلِظ عليه.

هل عرفتموه إنه قلب الأم.

يا الله ما أحلى الحديث عن الأم وحنانها وعطفها؛ كيف ولا ودخول الجنة مُعلّق بطاعتها.

نتكلم عن الأم يوم جعل غير المسلمين لها يوماً واحداً وسموه: (عيد الأم) وهذا ليس من الإسلام في شيء، فالإسلام أمر ببرها في كل العام.

نتكلم عن الأم في زمن نرى فيه الزوجات تُفضّل على الأمهات إلا من رحم الله.

نتكلم عن الأم ونحن في زمن قلوب كثير من الأمهات تئن من العقوق و عيونهن لا تزال تدمع ألماً وقهراً من جُرم أبنائهم، عقوق وقطيعة يندى الجبين لها، وتقشعر الأبدان عند سماعها، بل إن العقل ليكاد ينكرها لبشاعتها.

إنها الأم المخلوق الذي قدّم وضحّى ولم يزل.

أمك يا عبد الله:

كم حزنت لتفرح، وجاعت لتشبع، وبكت لتضحك، وسهرت لتنام، وتحمّلت الصعاب في سبيل راحتك، إذا فرحْت فرحَت، وإن حزنْتَ حزنَت، إذا دَاهمك الهمّ فحياتها في غمّ، أملها أن تحيا سعيدًا رضيًّا راضياً مرضيًا.

الأم المخلوق الضعيف الذي يُعطي ولا يطلب أجرًا، ويبذل ولا يأمل شكرًا، هل سمعتَ عن مخلوق يحبّك أكثر من ماله؟ لا، بل أكثر من دنياه، لا، بل أكثر من نفسه التي بين جنبيه، نعم يحبّك أكثر من نفسه، إنها الأم، الأم وكفى، رمز الحنان.

تأمّل ـ أخي الحبيب:

حالَ صغرك، تذكّر ضعف طفولتك، فقد حملتك أمك في بطنها تسعةَ أشهر وهنًا على وهن، حملتك كرهًا ووضعتك كرهًا، تزيدها بنموّك ضعفًا، وتحملها فوق طاقتها عناءً، وهي ضعيفة الجسم واهنة القوى، وعند الوضع رأت الموتَ بعينها، زفرات وأنين، غصص وآلام، ولكنها تتصبّر، تتصبّر، تتصبّر، وعندما أبصرتك بجانبها وضمتك إلى صدرها واستنشقت ريحك وتحسست أنفاسك تتردّد نسيت آلامها وتناست أوجاعها، رأتك فعلّقت فيك آمالها ورأت فيك بهجة الحياة وزينتها، ثم انصرفت إلى خدمتك ليلها ونهارها، تغذيك بصحتها، وتنميك بهزالها، وتقوّيك بضعفها، فطعامك درّها وبيتك حجرها، ومركبك

يداها، تحيطك وترعاك، تجوع لتشبع، وتسهر لتنام، فهي بك رحيمة، وعليك شفيقة، إن غابت عنك دعوتَها، وإذا أعرضت عنك ناجيتها، وإذا أصابك مكروه استغثتَ بها، تحسب الخير كلَّه عندها، وتظنّ الشرّ- لا يصل إليك إذا ضمّتك إلى صدرها أو لاحظتك بعينها، فلما تم فصالك في عامين وبدأت بالمشي، أخذت تحيطك بعنايتها وتتبعك نظراتها وتسعى وراءك خوفًا عليك، ثم كبرت وأخذت منك السنين، فأخذ منها الشوق والحنين، صورتك أبهى عندها من البدر إذا استتمّ، صوتك أبدى على مسمعها من تغريد البلابل وغناء الأطيار، ريحك أروع عندها من الأطياب والأزهار، سعادتك أغلى من الدنيا لو سيقت إليها بحذافيرها، يرخص عندها كلّ شيء في سبيل راحتك، حتى ترخص عندها نفسها التي بين جنبيها، فتؤثر الموت لتعيش أنت سالمًا معافى.

أمك يا عبد الله

اسمع يا عبد الله وأعلم أن المحروم الضائع الخائب في الدنيا والأخرى من ضيّع حقوق الوالدين وخاصة الأم.

روى أحمد والنسائي وابن ماجه عن معاوية السلمي - رضي الله عنه -، قال: أتيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقلت: يا رسول الله، إني كنت أردت الجهاد معك، أبتغي وجه الله والدار الآخرة، قال: «**ويحك، أحية أمك؟**» قلت: نعم، قال: «**ارجع فبرها**»، ثم قال: «**ويحك، الزم رجلَها فثمّ الجنة**».

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: أتى رجل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله، إني جئت أُريد الجهاد معك أبتغي وجه الله والدار الآخرة، ولقد أتيت وإن والدي ليبكيان، قال: «**فارجع إليهما، فأضحكهما كما أبكيتهما**» [رواه ابن ماجه وصححه الألباني].

عن أنس بن نضر الأشجعي قال: استقت أم ابن مسعود - رضي الله عنها - ماءً في بعض الليالي، فجاءها بالماء فوجدها قد ذهب بها النوم، فثبت عند رأسها حتى أصبح، ولما قدم أبو موسى الأشعري وأبو عامر على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فبايعاه وأسلما، قال لهم عليه الصلاة والسلام: «ما فعلت امرأة منكم تدعى كذا وكذا؟» قالوا: تركناها في أهلها، قال: «فإنه قد غفِر لها» قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: «ببرها والدتها» قال: «**كانت لها أم عجوز كبيرة، فجاءهم النذير: إن العدوّ يريد أن يغير عليكم، فجعلت تحمل أمها على ظهرها، فإذا تعبت وضعتها، ثم ألزقت بطنها ببعض أمها وجعلت رجليها تحت رجلي أمها من حر الأرض حتى نجت**» [أخرجه عبد الرزاق في مصنفه].

إنها الأم، يا من تريد النجاة، الزم رجليها، فثمّ الجنة، قال ابن عمر - رضي الله عنهما - لرجل: (أتخاف النار أن تدخلها، وتحب الجنة أن تدخلها؟) قال: نعم، قال: (برّ أمك، فو الله لئن ألنت لها الكلام وأطعمتها الطعام لتدخلن الجنة ما اجتنبت الموجبات)، يعني: الموبقات. وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثةٌ: وذكر منهم صاحب جُرَيج، وكان جُرَيج رجلاً عابدًا فاتخذ صومعةً، فكان فيها، فأتته أمه وهو يصلي فقالت: يا جُريج، فقال: يا رب أمّي وصلاتي، فأقبل على صلاته، فانصرفت، فلما كان من الغد أتته وهو يصلي، فقالت: يا جريج، فقال: يا رب أمّي وصلاتي، فأقبل على صلاته فانصرفت، فلما كان من الغد أتته وهو يصلي، فقالت: يا جريج، فقال: يا رب أمّي وصلاتي، فأقبل على صلاته، فقالت: اللهم لا تمته حتى ينظر وجوه المومسات ـ أي: الزواني ـ، فتذاكر بنو إسرائيل جُريجًا وعبادتَه، وكانت امرأةٌ بَغِيٌّ يتمثل بحسنها، فقالت: إن شئتم لأفتننّه لكم، قال:

فتعرضت له فلم يلتفت إليها، فأتت راعيًا كان يأوي إلى صَومَعَتِه، فأمكنته من نفسها، فوقع عليها فحملت، فلما ولدت، قالت: هو من جريج، فأتوه فاستنزلوه وهدموا صَومعته وجعلوا يضربونه، فقال: ما شأنكم؟ ! قالوا: زنيت بهذه البَغِيِّ فولدت منك، فقال: أين الصبي؟ فجاؤوا به، فقال: دعوني حتى أصلي، فصلَّى، فلما انصرف أتى الصبيّ فطعن في بطنه وقال: من أبوك؟ قال فلانٌ الراعي، قال: فأقْبَلوا على جريج يُقبلونه ويتمسحون به، وقالوا: نبني لك صومعتك من ذهب، قال: لا، أعيدوها من طين كما كانت، ففعلوا» الحديث.

ثلاث مراتٍ تناديه وهو لا يُلقي لها بالاً، وكان الواجب عليه أن ينصرف من صلاته ويجيب أمه؛ لأن ذلك أولى من صلاة النافلة.

وروى الطبراني بسندٍ ضعيف عن عبد الله بن أبي أوفى - رضي الله عنه - قال: { كنا عند النبي -ﷺ- فأتاه آت فقال شاب يجود بنفسه قيل له قل لا إله إلا الله فلم يستطع ، فقال كان يصلي؟ فقال نعم ، فنهض رسول الله -ﷺ- ونهضنا معه فدخل على الشاب فقال له قل لا إله إلا الله ، فقال لا أستطيع ، فقال لم؟ قال كان يعق والدته ، فقال النبي -ﷺ- أحية والدته؟ قالوا نعم ، قال ادعوها ، فدعوها فجاءت ، فقال هذا ابنك؟ فقالت نعم. فقال لها أرأيت لو أججت نار ضخمة فقيل لك إن شفعت له خلينا عنه وإلا حرقناه بهذه النار أكنت تشفعين له؟ قالت يا رسول الله إذن أشفع ، قال فأشهدي الله وأشهديني أنك قد رضيت عنه ، قالت اللهم إني أشهدك وأشهد رسولك أني قد رضيت عن ابني ، فقال له رسول الله -ﷺ- يا غلام قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له واشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فقالها ، فقال رسول الله -ﷺ-: «الحمد لله الذي أنقذه بي من النار » ورواه الإمام أحمد مختصرا.

ورد عن عائشة - رضي الله عنها - أن امرأة جاءت إليها ومعها بنتان لها، قالت: فسألتني فلم تجد عندي غير تمرة واحدة، فأعطيتها إياها، فأخذتها فقسمتها بين ابنتيها، ولم تأكل منها شيئًا، ثم قامت فخرجت وابنتاها، فَدَخَلَ عَلَيَّ النبيّ - ﷺ - فحدثتهُ حديثها، فقال: «**من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترًا من النار**» [رواه البخاري ومسلم]، وفي لفظ: «**إن الله قد أوجب لها بها الجنة، وأعتقها بها من النار**».

ما أعجب حنان الأم؟ ما هذه الرحمة التي في قلبها؟ ترى ابنها يعقها ويقطعها ولا تريد أن تدعو عليه، إن الرحمة التي في قلبها تنسيها مرارة العقوق وآلام القطيعة، إنها أمه لا تزال تحبه وترجو له الهداية، وتطمع في ذلك ولا تيأس.

أخي الحبيب: هل تحرك قلبك لامك هل ندمت على ما فعلت وقصرت في حق أمك.

أعرف رجلاً قطع أمه ما يقارب الثلاثين عاماً، ثلاثون عاماً لم يسافر إليها لزيارتها مع قدرته، ما منعه إلا الكبر، ومع ذلك لما جاءت ساعة وفاتها، أرسلت إليه تريد أن تراه، وتستأنس بلقياه قبل أن تفارق الدنيا، رحماك يا الله بها، وبجميع الأمهات الأحياء منهن والأموات.

يدخل الزوج وهو يعيش مع والديه أو أن والديه يعيشان عنده، يدخل البيت معبس الوجه مكفهرّ الجبين، فإذا دخل غرفة نومه سمعت الأمّ الضحكات تتعالى من وراء باب الحجرة، أو يدخل ومعه هدية لزوجه فيعطي زوجته، ويدع أمه، ويل هؤلاء من رب العالمين، ويلهم من الله، لماذا يعيش هؤلاء؟ أي خيرٍ يريدونه وأي رحمةً يرجونها؟ ! وأي بركة في حياتهم ينتظرونها؟

! ! ليس لهم إلا السخط والغضب من رب العالمين، ألم يقل الرسول -ﷺ-: «**إن سخط الرب في سخط الوالد وإن رضا الرب في رضا الوالد**» إنهم لو صدقوا في طلب مرضاة الله ورحمته لوجدوها في بر الوالدين.

جاء في الأثر انه: « **إذا ماتت أم العبد نودي ماتت من كنا نكرمك من أجلها** ».

إن البر دأب الصالحين وسيرة العارفين، أراد ابن الحسن التميمي قتلَ عقرب فدخلت في جحر، فأدخلها أصابعه خلفها فلدغته، فقيل له في ذلك، قال: «**خفت أن تخرج فتجيء إلى أمي وتلدغها**».

قال محمد بن سيرين: "بلغت النخلة على عهد عثمان - رضي الله عنه - ألف درهم، فعمد أسامة بن زيد - رضي الله عنه - إلى نخلة فاشتراها، فنقرها وأخرج جمّارها، فأطعمها أمه، فقالوا له: ما يحملك على هذا وأنت ترى النخلة قد بلغت ألف درهم؟ ! قال: **إن أمي سألتني ولا تسألني شيئًا أقدر عليه إلا أعطيتها**».

عبد الله بن عون نادته أمه فعلا صوته صوتها، فأعتق رقبتين، وزين العابدين كان أبر الناس بأمه، وكان لا يأكل معها في صحفة واحدة، فقيل له: إنك أبرّ الناس ولسنا نراك تأكل معها في صحفة واحدة؟ ! فقال: «**أخاف أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها فأكون قد عققتها، ولقد مضى بين أيدينا أقوام لا يعلو أحدهم بيته وأمه أسفله**».

إنها الجنة، يا طالب الجنة، الزم قدميها فثمّ الجنة.

روى الترمذي وصححه عن أبي الدرداء - رضي الله عنه -، قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «**الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه**».

وفي صحيح الترمذي عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما -، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «رضا الرب من رضا الوالد، وسخطه الرب من سخط الوالد».

قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: «ما من مسلم له والدان مسلمان يصبح إليهما محتسبًا إلا فتح الله بابين - يعني من الجنة - وإن كان واحدًا فواحد، وإن أغضب أحدهما لم يرضى الله عنه حتى يرضى عنه)، قيل: وإن ظلما؟ قال: (وإن ظلما).

لأُمك حق لو علمتَ كبير ... كثيرك يا هذا لديه يسير
فكم ليلة باتت بثقلك تشتكي ... لها من جواها آنّة وزفير
وفي الوضع لا تدري عليها مشقة ... فمن غصص منها الفؤاد يطير
وكم غسّلت عنك الأذى بيمينها ... وما حجرها إلا لديك سرير
وكم مرة جاعت وأعطتك قوتها ... حنوا وإشفاقًا وأنت صغير
فضيعتها لما أسئت جهالة ... وطال عليك الأمر وهو قصير
فآهاً لذي عقل ويتبع الهوى ... وآهًا لأعمى القلب وهو بصير
فدونك فارغب في عميم دعائها ... فأنت لما تدعو إليه فقير

اللهم أعنا على بر أمهاتنا، والإحسان إليهن أحياءً وميتن.

حقوق الأم (٢)

الحمد لله المستحق للحمد والخشية، المتفردِ بالجبروت والعزة والعظمة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أنزل من الحكمة والبيان ما تخشع له القلوب وتقشعر الأبدان، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله الله تعالى بالهدى والحق والفرقان، أكملُ وأجلُّ من خَشِي الواحدَ الديّان، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

لا زال الحديث عن حقوق الأم.

هذا شاب تخلّص من أمه المعاقة برميها عند باب أحد المستشفيات، وآخرُ يطرد أمه طاعة لزوجته، وأم تقول لي ابن ثلاث سنوات والله ما سلم عليّ، وآخر يُسمِعُها كلماتِ السب والشتائم، إذا تكلمت في زوجته وعصيت أمرها.

الله أكبر يا عبدَ الله، هل هذا جزاء من حملتك في أحشائها تسعة أشهر وهنًا على وهنٍ، حملتك كرهًا ووضعتك كرهًا.

رأى ابن عمر - رضي الله عنهما - رجلاً يمانيًا يطوف بالبيت حمل أمه وراءه على ظهره، يقول: إني لها بعيرها المدلَّل، إن أذعِرت ركابها لم أذعر، الله ربي ذو الجلال الأكبر، حملتها أكثر مما حملتني، فهل ترى جازيتها يا ابن عمر؟ ! قال ابن عمر: (لا، ولا بزفرة واحدة).

إلى الذين يفضلون أزواجهم على أمهاتهم

إلى الذين يعطون أزواجهم ويمنعون أمهاتهم.

فـلا تُطـع زوجـةً في قطـع والـدة عليك يا ابن أخي قد أفنت العمرا
فكيـف تنكـر أمًـا ثُقلَـك احتملـت وقـد تمرّغـت في أحشـائها عُسرا
وعالجت بك أوجاع النفاس وكم سُرّت لما ولدت مولودها ذكرا
وأرضـعتك إلى الحـولين مكملـة في حجرها تستقي من ثديه الدررا
ومنـك ينجسـها مـا أنـت راضـعه منهـا ولا تشـتكي نتنـاً ولا قـذرا
و"قـل هـو الله" بـالآلاف تقرؤهـا خوفًا عليك وترخي دونك السُتُرا
وعاملتـك بإحسـانٍ وتربيـة حتـى استويت وحتى صرت كيف ترى
فـلا تفضـل عليهـا زوجـة أبـدًا ولا تـدع قلبهـا بـالقهر منكسرًـا

يأتي رجل وزوجته، وأمه تحمل ولده؛ ليشتروا ذهباً من بائع ذهب في هذه المنطقة، وبائع الذهب هو الذي يروي هذه الحادثة، تدخل زوجة هذا الرجل وتأخذ ذهباً بما يساوي عشرين ألف ريال، وتقف الأم واجمة هناك تحمل ولده ثم تتقدم لتأخذ خاتماً يساوي ثمانين ريالاً، فيقوم الابن بتسديد قيمة ذهب زوجته فيقول البائع: بقي ثمانون ريالاً، قال: لماذا؟ قال: قيمة الذهب الذي أخذته أمك، فانفجر غاضباً وقال: كبار السن لا يحتاجون للذهب، أخذت الأم الخاتم وأعادته للبائع ولسان حالها يقول: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾[يوسف:٨٦]خرجت تحمل ولده تريد السيارة وكأن زوجته أنبته على هذا الفعل وقالت: من يمسك لنا ابننا، أعطيها الخاتم.

فأعطاها إياه فرمته وانفجرت تبكي قائلة: والله لا ألبس ذهباً في حياتي أبداً، حسبي الله ونعم الوكيل!

لا إلـه إلا الله آبـاء يئنـون وأمهـات يشـتكين! ولا إلـه إلا الله يحـز في الـنفس ويدمي القلـب ويـندي الجبـين يـوم نسـمع بـل نـرى بعـض الأبنـاء يعـق والديـه! يؤذيهما ويجاهرهما بالسوء وفاحش القول! يقهرهما وينهرهما! يرفع صوته عليهما، يتأفف منهما! يقول بعضهم: أراحنا الله منك وعجل بزوالك يا شيبة النحس ويـا عجوز الشؤم، لا إله إلا الله قول يستحي إبليس أن يقولـه وبعـض شـبابنا يـردده ناسياً أو متناسياً قول الله: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِـدَيْنِ إِحْسَـاناً ﴾[النساء:٣٦] لا إله إلا الله!

يا عبد الله! كم وكم من الرجال من يأخذ زوجته في سفر، وفي رحلة، وفي نزهة، ولا يكلف نفسه أن يقول لأمه: أتريدين الذهاب معنا؟ هلا سافرت معنا! فتجده لا يريدها.

يقول ابن عباس - رضي الله عنهما -: «**إني لا أعلم عملاً أقرب إلى الله من بر الوالـدة** » يقول: ما في الدنيا عمل أكثر قربة إلى الله من بر الوالدة: (**الزم قدميها فثم الجنة**).

واسمع إلى هذه القصة، التي لولا أنها ذكرت في جريدة وتواترت على ألْسنة بعض الناس -والله- ما ذكرتها ولا قصصتها ولا كنت أظن أن من الناس من يفعل هذا، وسوف أتصرف في ذكرها فاسمعها -يا عبد الله- لتعلم أن هذا الشر مستطير، وأن هذا الفعل يوشك أن يؤذن لهذه المجتمعات بالعقوبة، وأن ينزل الله عز وجل عليها عذابه، بسبب ما يفعله كثير من الناس.

يقول الراوي: إنه خرج مع أسرته إلى شاطئ البحر، فلما وصل -هو وعائلته- يقول: رأينا عجوزاً على بساط على الشاطئ لوحدها، يقول: فجلسنا على الشاطئ، فتعشينا في الليل، يقول: ثم بعد العشاء تسامرنا، وأخذنا نلهو

ونتحدث حتى حلَّ منتصف الليل، يقول: وأردنا الرجوع، فلما أردنا الرجوع قلت في نفسي: سبحان الله! ما بال هذه العجوز جالسة لوحدها؟ ! لم يأتها أحد، ولم يقربها أحد، يقول: فلما قفلنا جئتها، فقلت لها -اسمع إلى هذا الخبر، واسمع إلى هذا العقوق- فقلت لها: يا أماه! خيراً إن شاء الله، أنت لوحدك وليس معك أنيس ولا جليس، فقالت هذه العجوز: إن ابني أتى بي إلى هنا، وقال لي: أن عنده عملاً سوف يذهب إليه ثم يرجع.

فقال لها: يا أماه! الوقت متأخر فهلا رجعت معنا؟ قالت: لا. سوف أنتظر ابني ولو تأخر، فقد أخبرني أنه: سوف يتأخر وسوف يرجع.

قال: يا أماه! لكن الوقت متأخر جداً ولا أحد في هذا المكان. قالت: لن أرجع حتى يرجع ابني، وعدني أنه سوف يرجع، وأعطاني هذه الورقة. قال: وما هذه الورقة؟ فقالت: اقرأها تعرف ما فيها.

فقرأتها فإذا في هذه الورقة: يرجى ممن يقرأ هذه الورقة أن يأخذ العجوز إلى دار الرعاية.

لعن الله من لعن والديه، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من لعن والديه، فهذه في الكلمات فكيف إذا كانت في الأفعال؟ ! يرميها على شاطئ البحر ويقول: يرجى ممن عثر على هذه العجوز أن يأخذها إلى دار الرعاية.

اسمع هذه الأم، والشاعر يتكلم بلسانها، وكأنها تقول:

لا تسبوا ولدي ما كنت ... رغم الغدر خصمه

إن لي في قلبه حباً ... وليس الحب تهمه

هو طفلي وأنا ... أضمه مذ كان لحمه

هو في الليل سميري ... وأنيسي في الملمه

فـإذا خـاف سـكبت الأمـن ... كـــي أذهـــب همـــه
وإذا عـــاد تـــداعيت لـــه ... صـــوتاً ونغمـــه
فأناغيـــه بلحـــنٍ ... وأناجيـــه بكلمـــه
ولـــدي مـــا عقنـــي بـــل ... فعلـــه بـــر ورحمـــه
جـــاء بي للبحـــر كـــي ... أنعـــم في رمـــل ونسـمه
فـــدعوه ولا تسـيئوا ... الظـــن فيـــه بالمذمـــه
واذهبـــوا للـــدار بي ... مـــا الـــدار للأبنـــاء وصـــمه
غـــاب عنـــي لم يغـــب ... إلا لأمـــر قـــد أهمـــه
هـــو مشـــغول ... وللمشـــغول أعـــذار وحرمـــه
وسـيأتي ولـدي للـدار ... إن أنهـــى المهمـــة
ولـــدي أعرفـــه ... مـــن ذا الـــذي ينكـــر أمـــه

﴿وَقَضَى رَبُّكَ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً *وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾[الإسراء: ٢٣].

إخواني: كم ساعات قضى فيها المسلم للوالدين حاجات، غفر الله عز وجل بها الذنوب والزلات، وخرج بها الهموم والكربات، كم ولد بار أو فتاة بارة قاما من عند والديهما بعد سلام أو طيب كلام أو هدية متواضعة وقد فُتحت أبواب السماء بدعوات مستجابات لهما من والديهما الضعيفين الكبيرين.

فاتقوا الله في الوالدين، سيّما إذا بلغا من الكبر والسنّ ما بلغا، ووهن العظم منهما واشتعل الرأس شيبًا، إذا بلغت بهما الحال ما بلغت وأصبحا ينظران إليك نظر الذي ينتظر لقمة هنية أو أعطية جزية.

﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴾[الإسراء:٢٣].

حَدّث أحد الضباط العاملين في جهاز الدفاع المدني فقال: إنهم وصلوا إلى بيت قد اشتعلت فيه النيران وفي البيت أم وأطفال لها ثلاثة، بدأ الحريق في إحدى الغرف، فحاولت الأم الخروج من الأبواب فإذا هي مقفلة، صعدت سريعا مع أطفالها الثلاثة إلى سطح المنزل لتخرج من بابه فألقته مغلقًا كذلك، حاولت فما استطاعت، كررت فأعياها التكرار، تعالى الدخان في المنزل، وبدأ النفس يصعب، احتضنت صغارها، ضمتهم إلى صدرها، وهم على الأرض حتى لا يصل الدخان الخانق إليهم، والأم الرؤوف تستنشقه هي، لما وصلت فرق الإنقاذ إلى سطح المنزل وجدوها ملقاة على بطنها، رفعوها فإذا بأبنائها الثلاثة تحتها أموات، كأنها طير يحنو على أفراخه يجنبهم الخطر، تدافع عنهم من عدوّ كاسر، وجدوا أطراف أصابع يدها مهشّمة وأظافرها مقطوعة إذ كانت تحاول فتح الباب مرّة، ثم نرجع إلى أولادها لتحميهم من لهيب النار وخنق الدخان مرة أخرى، حتى قضت وقضوا.

في صورة تجسّد روعة التضحية، في لوحة مصونة بألوان الحنان منقوشة بريشة العطف والرحمة.

ومع كلّ هذه التضحية والتفاني في الحفظ والرعاية التي تقدمها الأم لوليدها وفلذة كبدها، حتى قال النبي -ﷺ- في بيان عظم حقها مع الوالد: «**لا جزي ولد والده إلا أن يجده مملوكًا فتشتريه فيعتقه**»[رواه مسلم].

مع هذا الحب الفياض والعطف الرؤوف والحنان المتدفق نسمع ونرى من صور العقوق ونكران الجميل والقسوة العجيبة والغلظة الرهيبة وإساءة العمل وسوء التعامل ما لا يتحمله عقل ولا قلب.

ها هي رسالة تكتبها أم بدموعها.

رسالة تبعَثها أم مكلومة إلى وليدها وريحانة فؤادها، قالت الأم المسكينة:

"يا بني، منذ خمسة وعشرين عامًا كان يومًا مشرقًا في حياتي عندما أخبرتني الطبيبة أني حامل، والأمهات ـ يا بني ـ يعرفن معنى هذه الكلمة جدًّا، فهي مزيج من الفرح والسرور وبداية معاناة مع التغيرات النفسية والجسدية، وبعد هذه البشرى حملتك ـ يا بني ـ تسعة أشهر في بطني فرحة جذلة، أقوم متثاقلة، وأنام بصعوبة، وآكلُ مرغمة، وأتنفّس بألم، ولكن كل ذلك لم ينقص من محبتي لك وفرحي بك، بل نمت محبتك مع الأيام وترعرع الشوق إليك. حملتك ـ يا بني ـ وهنًا على وهن وألمًا على ألم، بيد أني كنت أفرح وأفرح كلما شعرت بحركتك داخل جوفي، وأسرّ بزيادة وزنك، مع أنه حمل ثقيل علي، إنها معاناة طويلة، أتى بعدها فجر تلك الليلة التي لم أنم فيها ولم يغمض لي فيها جفن، ونالني من الألم والشدة والرهبة والخوف ما لا يصفه القلم ولا يتحدّث عنه اللسان، ورأيت بأمي عيني ـ والله يا بني ـ الموت مرات عدّة حتى خرجت إلى الدنيا، فامتزجت دموع صراخك بدموع فرحي، وأزالت كل آلامي وجراحي. يا بني، مرّت سنوات من عمري وأنا أحملك في قلبي وأغسلك بيدي، جعلت حجري لك

فراشًا، وصدري لك غذاء، أسهرت ليلي لتنام، وأتعبت نهاري لتسعد، أمنيتي أن أرى ابتسامتك، وسروري كلّ لحظة أن تطلب مني شيئًا أصنعُه لك، فتلك منتهى سعادتي. ومرت الأيام والليالي وأنا على تلك الحال، خادمة لم نقصّر، ومرضعة لم تتوقف، وعاملة لم تفتر، حتى اشتدّ عودك واستقام شبابك، وبدأت تظهر عليك معالم الرجولة، فإذا بي أجري يمينا ويسارًا لأبحث لك عن المرأة التي طلبت، وأتى موعد زفافك فتقطع قلبي وجرت مدامعي فرحة بحياتك السعيدة الجديدة وحزنا على فراقك، ومرّت الساعات ثقيلة فإذا بك لست ابني الذي عرفت، لقد أنكرتني وتناسيت حقي، تمرّ الأيام لا أراك، ولا أسمع صوتك، وتجاهلت من قامت لك خير قيام، يا بني، لا أطلب إلا القليل اجعلني من أطرف أصدقائك عندك وأبعدهم خطوة لديك.

اجعلني ـ يا بني ـ إحدى محطات حياتك الشهرية لأراك فيها ولو لدقائق.

يا بني، أحدودب ظهري وارتعشت أطرافي وأنهكتني الأمراض وزارتني الأسقام، لا أقوم إلا بصعوبة، ولا أجلس إلا بمشقة، ولا يزال قلبي ينبض بمحبتك، لو أكرمك شخص يومًا لأثنيت على حسن صنعه وجميله، وأمك ـ يا رعاك ربي ـ أحسنت إليك إحسانًا لا تراه ومعروفًا لا تجازيه، لقد خدمتك وقامت بأمرك سنوات وسنوات، فأين الجزاء والوفاء؟ ! إلى هذا الحد بلغت بك القسوة وأخذتك الأيام؟ !

يا بني، كلما علمت أنك سعيد في حياتك زاد فرحي وسروري، ولكني أتعجب وأنت صنيع يدي، وأتساءل: أي ذنب جنيته حتى أصبحت عدوة لك لا تطيق رؤيتي وتتثاقل عني؟ ! لن أرفع شكواك، ولن أبثّ الحزن لأنها إن ارتفعت فوق الغمام واعتلت إلى باب السماء أصاب شؤم العقوق ونزلت بك

العقوبة، وحلت بدارك المصيبة، لا، لن أفعل، لا تزال ـ يا بني ـ فلذة كبدي وريحانة حياتي وبهجة دنياي.

أفق يا بني، بدأ الشيب يعلو مفرقك، وتمر سنوات ثم تصبح أبا شيخًا، والجزاء من جنس العمل وستكتب رسائل لابنك بدموع مثل ما كتبت لك، وعند الله تجتمع الخصوم. يا بني.

اتق الله في أمك، كفكِف دمعها، وخفف حزنها، وإن شئت بعد ذلك فمزّق رسالتها، واعلم أنه من عمل صالحًا فلنفسه ومن أساء فعليها. »

سُئل الحسن البصري: ما دعاء الوالدين للولد؟ قال: نجاة، قال: فقلت: فعليه؟ قال: استئصاله، يعني الهلاك.

لا إله إلا الله ما أعظم بر الوالدين! ما أحوجنا إلى الدعاء منهم، ما أحوجنا إلى رضاهم، ما أحوجنا إلى برهم وصلتهم، علَّ الله أن يكتب لنا بذلك الرضوان، لكننا مع عظيم الأسف نرى البعض كأنه ليس بحاجة لدعائهم.

أخي الحبيب:

إن حق الأم على الولد عظيم، وشانها كبير، فلا يدعُها باسمها، بل نادها بما تحبّ من اسم أو كنية، لا تجلس قبلها، ولا تمشي أمامها، قابلها بوجه طلق، قبل رأسها، والثم يدها، إذا نصحتها فبالمعروف من دون إساءة، أجب دعوتها إذا دعتك من دون ضجر أو كراهية، تكلم معها باللين، أطعمها إذا جاعت، أو اشتهت صنفًا وإن تأنيت في ذلك، أهدها قبل أن تسأل شيئًا، تحسَّس ما تحبّ فاجلبه لها، كان خادمًا مطيعًا لها، أطعها في غير معصية، لا تسبقها بأكل أو شرب، أبهجها بالدعاء لها آناء الليل وأطراف النهار بالرحمة والمغفرة، غضّ الطرف عن أخطائها وزلاتها، لا تتأسّف أو تحدّث أحدًا عن سبيل الشكاية أو

النكاية، وقرها واحترمها، لا تتكبّر عليها فقد كنت في أحشائها وبين يديها، أدخل السرور عليها، صاحبها بالمعروف، اطلب الدعاء منها فله تفتح أبواب السماء.

أخي الحبيب:

اعلم رحمك الله ـ أن بر الوالدين لا ينتهي بموتهما، فعن أبي أسيد الساعدي قال: فيما نحن عند رسول إذ جاءه رجل من بني سلِمة فقال: يا رسول الله، هل بقي من بر أبويّ شيء أبرّهما بعد موتهما؟ قال: «**نعم، الصلاةُ عليهما والاستغفارُ لهما وانفاذُ عهدهما من بعدهما وصلة الرحِم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما**».

وبر الوالدين يستمرّ في ذرية الإنسان وعقبِه من بعده، عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «**بروا آباءكم تبركم أبناؤكم، وعِفّوا تعِف نساؤكم**». كذلك بر الوالدين يزيد في العمر، عن سهل بن معاذ – رضي الله عنه –أن رسول –صلى الله عليه وسلم– قال: «**من بر والديه طوبى له، زاد الله في عمره**».

أسأل الله أن يعينني وإياكم على بر الوالدين وطاعتهم والإحسان إليهم أحياء وأموات وأن لا يميتنا وإياكم إلا وهو راضٍ عنا وصلى اللهم وبارك.

ختاماً

انتهى الجزء الأول من كتاب **بستان الحقوق** في الإسلام (**الجزء الأول**) ونلتقي بإذن الله قريبا في الجزء الثاني، وآمل ممن ينتفع بهذه الحقوق ومن يقرؤها ومن يسمعها ومن يخطب أو يحاضر بها أن يذكرني في دعائه، فإن دعوة الأخ لأخيه في ظهر الغيب مستجابة، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[الحجرات:١٠]، وفي الحديث النبوي الشريف «المسلم أخو المسلم. . ». والله تعالى أسأل أن يوفقني دائماً إلى خدمة دينه وبيان معاني شريعته وأن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم وأن يثيبني عليه يوم ﴿لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَّ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[الشعراء:٨٨] وأن يوفق المسلمين لما يحبه ويرضاه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

اللهم لا تعذب لساناً يخبر عنك، ولا عيناً تنظر إلى علوم تدل عليك، ولا قدماً تمشي إلى خدمتك، ولا يداً تكتب في سبيلك، فبعزتك لا تدخلني النار.

تم بحمد الله الجزء الأول من بستان الحقوق في الإسلام ونلتقي في الجزء الثاني بإذن الله - ﷻ -. وصلّ اللهم على محمد وعلى آله وصحبه. . .

أمير بن محمد المدري

اليمن – المهرة

١٤٤١هـ

Almadari_١@hotmail. com

وتس/٧١١٤٢٣٢٣٩
٧٧٠٣٤٣٤٧٠